ستار جيرل

چيري سبينيللي

Twitter: @alqareah
20.1.2016

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م
مصر

ستارجيرل

چيري سبينيللي

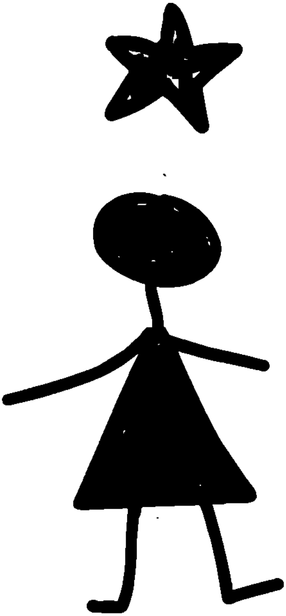

ترجمة

علا أحمد إصلاح

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م
مصر

Twitter: @alqareah

الدار الدولية
للاستثمارات الثقافية ش.م.م

ستارجيرل (فتاة النجوم)
جيري سبينيللى

STARGIRL
By: Jerry Spinelli
Copyright © 2000 by Jerry Spinelli.
This translation published by arrangement with Random House
Children's Books,
A division of Random House, Inc.
ALL RIGHTS RESERVED.

حقوق النشر © 2006 محفوظة للدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م.
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع
أو نقله على أى نحو أو بأى طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف
ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدمًا.
رقم الإيداع: 11418 /2005
ISBN 977-282- 207-5

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م
8 إبراهيم العرابى. النزهة الجديدة. مصر الجديدة. ج.م.ع.
ص.ب: 5599 هليوبوليس غرب/ القاهرة. تليفون: 6222105/6221944 فاكس: 6222105 (00202)
بريد إلكتروني: ihci@link.net
International House for Cultural Investments S.A.E
8, Ibrahim El-Orabi St., El-Nozha El-Gedida
Heliopolis West, Cairo, Egypt
E-mail: ihci@link.net

Twitter: @alqareah

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
1	المحتويات	3
2	إهداء	5
3	إشادة بقصة ستار جيرل	7
4	إشادات نقدية بقصة ستار جيرل	8
5	ربطة عنق القنفذ	11
6	الفصل الأول	13
7	الفصل الثاني	19
8	الفصل الثالث	28
9	الفصل الرابع	37
10	الفصل الخامس	41
11	الفصل السادس	48
12	الفصل السابع	52
13	الفصل الثامن	61
14	الفصل التاسع	68
15	الفصل العاشر	72
16	الفصل الحادي عشر	80
17	الفصل الثاني عشر	90
18	الفصل الثالث عشر	101
19	الفصل الرابع عشر	112
20	الفصل الخامس عشر	120

Twitter: @alqareah

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
21	الفصل السادس عشر	125
22	الفصل السابع عشر	139
23	الفصل الثامن عشر	155
24	الفصل التاسع عشر	163
25	الفصل العشرون	171
26	الفصل الحادي والعشرون	181
27	الفصل الثاني والعشرون	192
28	الفصل الثالث والعشرون	204
29	الفصل الرابع والعشرون	208
30	الفصل الخامس والعشرون	214
31	الفصل السادس والعشرون	223
32	الفصل السابع والعشرون	233
33	الفصل الثامن والعشرون	245
34	الفصل التاسع والعشرون	252
35	الفصل الثلاثون	257
36	الفصل الحادي والثلاثون	266
37	الفصل الثاني والثلاثون	280
38	الفصل الثالث والثلاثون	287
39	أكثر من مجرد نجوم	291
40	حديث خاص مع جيري سبينيللي	295

Twitter: @alqareah

إلى أيلين
فتاة نجومي

وإلى لورين أيسلي

وإلى سوني ليستون

Twitter: @alqareah

إشادة بقصة ستار جيرل

* أحد أفضل عشرة كتب موجهة للنشىء.
* اختارتها مجلة بابلشرز ويكلى كأفضل كتاب للعام.
* فازت بالجائزة الذهبية لمنظمة Parents' Choice
* جائزة كتاب NAIBA للفائز فى أدب الأطفال.
* اختارتها كلية بانك ستريت للتربية كأفضل كتاب فى العام.
* اختيار مؤسسة ABC Children's Booksellers
* كتاب مكتبة نيويورك العامة المختار لسن المراهقة.
* أحد أفضل الكتب مبيعًا وفقًا لجريدة نيويورك تايمز.
* «تملك ستار جيرل - التى تجمع بين كونها أمًّا روحية خرافية، وفتاة منبوذة وحلمًا تحقق - كثيراً من صفات «ماجى المجنونة» الخرافية».

ـ مجلة بابلشرز ويكلى Publishers Weekly

«ستار جيرل فتاة تشع بريقًا وتـألقًا.. سبينيللى يقدم لنا كتابًا من الطراز الأول وبطلة رائعة وسحرية بعض الشىء».

ـ ذا كريستيان ساينس مونيتور The Christian Science Monitor

«ستار جيرل نورانية متـألقة ... هذا الكتاب يتردد صداه قبل أن يُطوى غلافه بمدة طويلة»

ـ ذا ديترويت نيوز آند فرى بريس The Detroit News and Free Press

●●●

Twitter: @alqareah

إشادات نقدية بقصة ستار جيرل

«قصة مسلية ومثيرة للتفكير»

ـ صوت أنصار الشباب Voice of youth Advocates

«يستحوذ جيرى سبينيللى على انتباه القراء بصور شعرية ذات طبيعة غامضة. قصة ستار جيرل قصة عميقة ومؤثرة».

ـ تشايلد هوود إيديوكيشن Childhood Education

«تروى ستار جيرل قصة فتاة سحرية غامضة.. وتعد تقديراً رائعًا للاستقلالية».

ـ شيكاغو تريبيون Chicago Tribune

«ينسج سبينيللى خيوط قصة مؤثرة فى المشاعر وتبعث فى النفس متعة مشوبة بالألم، وتعبر عن جوهر الاستقلالية وثقافة المراهقين، وسوف تبدو قصة ستار جيرل واقعية للقارئ الشاب وكذلك القارئ الأكبر سنًا الذى يتذكر صباه»

ـ بووك ريبورت Book Report

«ستار جيرل حكاية ذات مغزى أخلاقى عن روعة وعظمة الاستقلالية».

ـ ذا فلادلفيا إنكوايارر The Philadelphia Inquirer

«تكمن جاذبية قصة ستار جيرل المتوهجة فى تصوير المؤلف لفتاة لا تعرف الأنانية سبيلاً إلى قلبها ولا تفكر قط فى نفسها بل تفكر فقط فى الآخرين ـ إلى حد التطرف. قصة رائعة».

ـ تشيلدرنز بووك ووتش Children's Book Watch

Twitter: @alqareah

«كـان سبـينيللى الحائز علـى وسام نيـوبرى عن قصـته مـاجى المجنونة Maniac Magee أمـينًا إلى أبعد الحـدود فى تصويره لهـشاشـة وقسوة عـلاقات المراهقين، وتعد قـصة ستار جيـرل التى تجمع بين روح الفكاهة والشـجن الموجع للقلب تقديراً للاسـتقلاليـة قبل أن تكون شيئًا آخر».

ـ فاميلى لايف Family Life

«إذا كنت قد مررت من قبل بتجـربة أن تكون الفتاة الجديدة بالمدرسة، إذًا فهذا هو الكتاب الملائم لك. اقـرأ هذا الكتاب قبل أن تعود إلى الفصل، وعندئذ سيتكون لديك منظور جديد تمامًا لمحاذير الشعبية وانكسار الفؤاد فى الحب الأول».

ـ تين Teen

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

ربطة عنق القنفذ

حينما كنت طفلاً صغيراً، كان لدى عمى بيت Pete ربطة عنق مرسوم عليها قنفذ، وكنت أعتقد أن ربطة العنق هى أكثر شيء أناقة فى العالم. وكان عمى بيت يقف أمامى بصبر بينما كنت أمرر أصابعى على سطحها الحريرى وأنا أكاد أتوقع أن تخزنى إحدى الأشواك. وذات مرة سمح لى بارتدائها فظللت أبحث عن ربطة عنق خاصة بى ولكننى لم أعثر على ربطة عنق شبيهة بها أبداً.

وعندما كنت في الثانية عشرة من عمرى، انتقلنا من بنسلفانيا إلى أريزونا، وحينما جاء عمى بيت ليودعنا، كان يرتدى ربطة العنق، وأظن أنه فعل ذلك ليمنحنى فرصة إلقاء نظرة أخيرة عليها، فشعرت بالامتنان، ولكننى فوجئت به ينزعها من حول رقبته ويلفها حول عنقى ويقول: «إنها ملكك»، «إنها هدية الوداع».

لقد أحببت ربطة العنق تلك لدرجة أننى قررت البدء فى تكوين مجموعة، وبعد انقضاء سنتين على استقرارنا فى أريزونا، كان عدد ربطات العنق فى مجموعتى لا يزال ربطة واحدة، فأين يمكن أن تعثر على ربطة عنق مرسوم عليها قنفذ فى ميكا بولاية أريزونا... أو أى مكان آخر؟

Twitter: @alqareah

وعندما حل عيد ميلادى الرابع عشر، وجدت اسمى منشوراً فى مقال بالصحيفة المحلية، فقد أجرى باب الأسرة تحقيقًا عن الأطفال الذين يحتفلون بأعياد ميلادهم وأرسلت أمى بعض المعلومات عنى. وكانت الجملة الأخيرة فى المقال: «يقوم ليو بورلوك Leo Borlock بجمع ربطات العنق المرسوم عليها قنافذ على سبيل الهواية».

وبعد ذلك بعدة أيام، وجدت لدى عودتى من المدرسة كيسًا بلاستيكيًا على عتبة بابنا الأمامى، وكان بداخله ظرداً مغلفًا بغلاف من ذلك النوع المستخدم فى لف الهدايا ومربوط حوله شريط أصفر، وقد كتبت على البطاقة عبارة «عيد ميلاد سعيد!». فتحت الطرد فوجدت بداخله ربطة عنق مرسوم عليها قنفذان يلعبان لعبة قذف السهام المريَّشة بأشواكهما، بينما ينظف قنفذ ثالث أسنانه بعود خلة.

فحصت الصندوق والبطاقة والورق بعناية فلم أستطع العثور على اسم المهدى. سألت أبوى وأصدقائى واتصلت بعمى بيت، فأنكر الجميع معرفتهم بأى شىء يخص هذا الأمر.

وقتها اعتبرت الأمر لغزاً ببساطة، ولم يخطر على بالى أننى كنت مراقبًا.. لقد كنا جميعًا مراقبين.

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

«هل رأيتها؟»

كانت تلك هى العبارة التى ابتدرنى بها كيفين Kevin فى اليوم الدراسى الأول.. الصف الحادى عشر.. وكنا ننتظر قرع الجرس.

قلت: «رأيت من؟»

«هه!» مدَّ كيفين عنقه وهو يُقلِّب عينيه فى الحشد المجتمع. لقد رأى شيئًا لافتًا للنظر.. بدا ذلك على وجهه. ابتسم كيفين ابتسامة عريضة وهو لا يزال يقلب بصره فى الحشد ثم قال: «ستعرف».

كنا بالمئات.. نتجول على غير هدى ونتنادى على بعضنا ونشير إلى وجوه لوَّحتها أشعة الشمس ولم نكن قد رأيناها منذ يونيو الفائت. وبلغ اهتمامنا ببعضنا أشده خلال الـ 15 دقيقة السابقة لانطلاق صوت الجرس معلنًا بدء أول يوم فى الدراسة.

لكزته فى ذراعه وقلت: «من؟»

دق الجرس، فدلفنا إلى الداخل.

سمعته من جديد فى قاعة الدراسة.. صوت هامس خلفى أثناء أدائنا قسم الولاء:

Twitter: @alqareah

«هل رأيتها؟»

وسمعت السؤال نفسه يتردد في الردهات وفي حصة اللغة الإنجليزية والهندسة:

«هل رأيتها؟»

من عساها تكون؟ طالبة جديدة؟ شقراء رائعة الجمال من كاليفورنيا؟ أم من الشرق حيث جاء كثيرون منا؟ أم أنها واحدة من أولئك اللاتي تغادرن في يونيو وهن يبدين بناتًا صغيرات ثم يعدن في سبتمبر شابات مكتملات الأنوثة وكأن معجزة قد وقعت خلال عشرة أسابيع؟

ثم سمعت اسمًا في حصة علوم الأرض: ستار جيرل Stargirl.

استدرت نحو الطالب الجالس خلفي وتساءلت: ستار جيرل؟ أي اسم هذا؟

«هذا هو اسمها.. ستار جيرل كاراواي Stargirl Caraway.. لقد سمعتها تقوله».

«ستار جيرل؟»

«بلى».

Twitter: @alqareah

ثم رأيتهـا، وكان ذلك وقت الغـداء. كانت ترتدى ثوبًا أبيـضًا ضـاربًا إلى الصفـرة وطويلاً حتـى أنه غطى حذاءها، وكـان هناك كـشكشة حـول العنق وأسـاور الأكـمام فـبـدا وكأنه ثوب زفـاف جدتها الكبرى. وكـان شعرها بلون الرمال ومنسدلاً على كتـفيها، وعلى ظهـرها كان هناك شيء مـا مربـوطًا ولكنه لم يكن حقـيبـة مدرسية. فى البداية ظننت أنه جيـتار صغير الحجم، ولكننى عرفت فيما بعد أنه قيثارة برتغالية الأصل.

لم تحمل صينية غداء، بل كانت تحمل حقيبة كبيرة مصنوعة من قماش الكنـفاة مطبوع عليها زهـرة عباد شمس بالحجم الـطبيعى. وران صـمت مطبق على قـاعة الغـداء عندمـا دلفت إلى داخلهـا. توقفت الفتاة عند طاولة خالية وأنزلت حقيبتها وعلقت حزام الآلة الموسيـقية على مقـعدها وجلست ثم أخرجـت شطيرة من الحقيـبة وشرعت تأكل.

ظل نصف الحاضـرين فى قاعة الغداء يحـملق والنصف الآخر يهمهم بكلام غير مفهوم.

ابتسم كيفين وقال: «ماذا قلت لك؟»

فأومأت برأسى.

Twitter: @alqareah

قال: «إنهـا فى الصف العـاشر. وقد سـمعت أنهـا ظلت تتلقى تعليمها فى المنزل حتى الآن».

فقلت: «ربما كان ذلك هو سبب ما نراه».

كان ظهرهـا لنا، فلم أستطع رؤية وجههـا، ولم يكن هناك أحد جالس مـعهـا، غير أن الموائد المجـاورة لها كان الـطلاب مكدسون فيهـا اثنان على مقعد واحد، ولكن يبـدو أنها لم تلاحظ ذلك. لقد بدت أشبه بجزيرة معزولة فى بحر من الوجوه المحملقة الهامسة.

عادت الابتسامـة العريضة ترتسم على وجه كيـفين وقال: «هل تفكر فيما أفكر فيه؟»

فابتسمت أنا الآخر وأومأت برأسى. «برنامج المقعد الساخن»

كان برنامج «المقـعد السـاخن» برنامجنا التليـفزيونى المدرسى. وكنا قد بدأناه فى العام الماضى. كنت أنا المنتج والمخرج، بينما كان كيـفين هو مقـدم البرنامج. وكـان يجرى حواراً مـع أحد الطلاب كل شـهر. حـتى الآن كـان معـظم ضيـوف البـرنامج من الطلاب المكرمـين والرياضـيـين والمواطنين المثـاليين. إنـهم بارزون بالمعنى التقليدى، ولكنهم ليسوا مثيرين للاهتمام بصفة خاصة.

Twitter: @alqareah

وفجأة جحظت عينا كيڤين. لقد التقطت الفتاة قيثارتها وبدأت تداعب أوتارها.. بدأت تغنى! وهى تهز رأسها وكتفيها: «إننى أتفحص نبتة برسيم بها أربع أوراق كنت قد تجاهلتها من قبل». أطبق صمت عميق على القاعة، ثم ارتفع صوت تصفيق صادر من شخص واحد. نظرت فوجدته صرّاف خط وجبات الغداء.

هبت الفتاة واقفة وعلقت حقيبتها على أحد كتفيها وسارت بين الموائد وهى تداعب أوتار القيثارة وتغنى وتتبختر وتدور. استدارت الرءوس وتبعتها العيون وانفغرت الأفواه فى حالة من عدم التصديق. وعندما مرت بمائدتنا، استطعت أن أشاهد وجهها عن قرب للمرة الأولى. لم تكن رائعة الجمال، ولم تكن قبيحة، وكان النمش يغطى أنفها. لقد بدت مثل مئات غيرها من طالبات المدرسة فيما عدا شيئان. لم تكن تضع أى مكياج وكانت عيناها أوسع عينين شاهدتهما فى حياتى. كانت كعينى غزال عالقتين فى مصباحى سيارة أماميتين. دارت الفتاة أثناء مرورها فمست تنورتها المنتفخة ساق بنطلونى، ثم خرجت من قاعة الغداء.

من وسط الموائد ارتفع صوت ثلاثة تصفيقات بطيئة، وصفرً أحدهم، وأطلق آخر صوتًا أشبه بالعواء.

Twitter: @alqareah

أخذنا كيڤين وأنا نحدق فى بعضنا.

رفع كـيـڤـين يديه عـاليًا ورسم فى الهـواء مـا يشـبه شـاشـة التليفزيون المربعة.

«المقعد الساخن..» ضيف الحلقة القادمة ـ «ستار جيرل!»

هويت بقبضتى على المائدة. «نعم».

وصفقنا أيدينا.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثانى

حينما وصلنا إلى المدرسة فى صباح اليوم التالى، كانت هيلارى كيمبل تعقد محاكمة عند الباب.

قالت هيلارى بلهجة ساخرة: «إنها ليست حقيقية.. إنها ممثلة.. إن فى الأمر خدعة».

فصاح أحدهم: «من يخدعنا؟»

هزت هيلارى رأسها فى امتعاض من سخف السؤال وقالت: «الإدارة.. مدير المدرسة.. من غيرهما؟ من يبالى؟»

ولوحت يد فى الهواء: «لماذا؟»

فردت: «الروح المدرسية. إنهم يرون أن هذا المكان افتقد الحيوية فى العام الماضى. وهم يظنون أنهم إذا زرعوا وسط الطلاب شخصًا ما ـ»

صاح طالب آخر مقاطعًا: «مثل زراعة النباتات المخدرة فى المدارس!».

حدقت هيلارى فى المتحدث ثم واصلت كلامها.

Twitter: @alqareah

«ـــ شخص ما يحرك الأحداث ويثير فى المكان الحيوية والنشاط، وربما عندئذ يذهب الطلاب الصغار لحضور مباراة بين الحين والآخر أو ينضم إلى أحد الأندية».

ورنّ صوت آخر: «بدلاً من المداعبة بين فتى وفتاة!» فضحك الجميع ودق الجرس فدخلنا.

انتشرت نظرية هيلارى كيمبل فى أرجاء المدرسة وسرعان ما نالت قبولاً واسعًا.

سألنى كيفين: «هل تعتقد أن هيلارى على حق؟ هل ستار جيرل مدسوسة علينا؟»

فضحكت ضحكة نصف مكبوتة وقلت «اصغ إلى نفسك».

فبسط ذراعيه وقال: «ماذا؟»

فقلت له مذكّراً: «هذه مدرسة ميكا الثانوية العليا، وليست إحدى عمليات وكالة الاستخبارات المركزية».

«ربما لم تكن كذلك ولكننى آمل أن تكون هيلارى على حق».

«ولماذا تأمل ذلك؟ إذا لم تكن الفتاة طالبة حقيقية، فلن نستطيع استضافتها فى برنامج «المقعد الساخن...»

Twitter: @alqareah

هز كيڤين رأسه وتألق محيًاه بابتسامة عريضة. «كعادتك دائمًا يا سيدى المخرج أنت تخفق فى رؤية الصورة الكاملة. بإمكاننا أن نستخدم البرنامج لفضح حقيقة أمرها». ألا ترى معى ذلك؟ ثم رسم فى الهواء من جديد شاشة التليفزيون المربعة وقال: «برنامج المقعد الساخن يميط اللثام عن مكيدة دبرتها إدارة المدرسة!».

نظرت إليه مليًا وقلت: «أنت تريدها أن تكون طالبة مزيفة .. أليس كذلك؟»

لاحت على وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ وقال: «بالتأكيد.. فسوف ترتفع تقديراتنا إلى عنان السماء!»

كان على أن أعترف بأننى كلما شاهدتها كلما سهل على الاعتقاد بأنها مدسوسة علينا.. إنها مزحة.. أى شىء آخر سوى أن تكون طالبة حقيقية. فى اليوم الثانى من العام الدراسى، ارتدت شورتًا فضفاضًا لونه أحمر فاقع بحمالات كالذى يرتديه الأطفال، وكان شعرها الذهبى مجدولاً على هيئة ضفيرتين ربطت كل منهما بشريط أحمر فاقع. وقد لطخت وجنتيها بلون أحمر

Twitter: @alqareah

كالتفاح. بل إنها نثرت على وجهها بعض بقع النمش المبالغ فى حجمها، فبدت مثل هايدى أو بو بيب.

وعندما حان وقت تناول الغداء جلست إلى مائدتها بمفردها من جديد. وكما حدث من قبل، ما أن فرغت من تناول الطعام، حتى التقطت قيثارتها، ولكنها لم تعزف هذه المرة، بل نهضت وسارت بين الموائد وحدقت فينا. كانت تحدق فى أحد الوجوه ثم تنتقل إلى غيره وغيره، بنظرة جريئة نادرًا ما تطل من عيون الناس، والغرباء بصفة خاصة. وبدا أنها تبحث عن شخص ما، وكان جو من عدم الارتياح قد بدأ يخيم على قاعة الغداء.

وحينما اقتربت من مائدتنا، قلت لنفسى: ماذا لو كانت تبحث عنى؟ أرعبنى هذا الخاطر فأشحت بوجهى عنها ونظرت إلى كيفين، فرأيته يبتسم لها فى بلاهة ثم هز أصابعه فى وجهها وهمس قائلاً: «مرحبًا يا ستار جيرل». لم أسمع جوابًا. وأحسست بها تمر خلف مقعدى.

توقفت الفتاة بعدنا بمائدتين، وكانت تبتسم لطالب بدين فى السنة النهائية اسمه آلان فيركو. وران على قاعة الطعام صمت تام، وبدأت تداعب أوتار القيثارة وتغنى. كانت أغنية «عيد ميلاد

Twitter: @alqareah

سعـيد». وعندما وصلت إلى اسـمه لم تذكر اسمـه الأول فقط بل اسمه بالكامل:

«عيد ميلاد سعيد يا عزيزى آلان فيركووو»

تورد وجه آلان فيركو حـتى صار كلون شرائط ضفائر بو بيب، وسرت فى المكـان موجة من الصـفيـر وصيحـات الاستـهزاء التى أعتقد أنها كانت موجهة إلى فيركو أكثر منها إلى الفتاة.

وأثناء خـروج ستـار جـيرل من قـاعـة الغداء، رأيت هيـلارى كيـمبل تنهض من مقـعدها وتشـير بيدها وتقـول شيئًـا لم أستطع سماعه.

قـال لى كـيـفـين ونحن ننضم لجـمـوع الطلبـة فى الردهات: «سأخبرك بشيء.. الأفضل لها أن تكون مزيفة».

فسألته عما يقصده.

«أقصد أنها إذا كانت طالبة فعلاً، فإن معنى ذلك أنها فى ورطة كـبـيـرة. إلى مـتى يمـكن أن يظل شـخص مـثلهـا بيننـا هنا فى اعتقادك؟»

سؤال وجيه.

Twitter: @alqareah

إن مدرسة ميكا الثانوية العليا Mica Area High School (MAHS) لم تكن بؤرة للاستقلالية بالمعنى الدقيق. بالطبع كانت هناك فوارق فـردية هنا وهناك ولكن ضمـن حدود ضـيقـة نوعًا مـا كنا نرتدى جميعًـا نفس الملابس ونتكلم بنفـس الطريقة ونأكل نفس الطعـام ونستمع إلى نفس المـوسيقى. وإذا حدث وميزنـا أنفسنا بشىء ما، كنا نعود سـريعًا إلى عرف الجمـاعة، مثلمـا يرتد الشريط المطاطى إلى مكانه بعد جذبه.

لقد كان كيفين على حق، فلم يكن معـقولاً أن تتمكن سـتار جيـرل من البقاء وسطنا ـ أو على الأقل البـقاء دون تغيـير. إلا أنه كان واضحًـا أيضًا أن هيلارى كيمبل كـانت على حق بنسبة 50% على الأقل: هذه الفتاة التى تدعى ستار جـيرل ربما كانت مدسوسة علينا مـن إدارة المدرسـة لإذكـاء الروح المدرسـيـة أو ربما لم تكن كذلك، ولكن أيًا كانت فإنها ليست طالبة حقيقية.

لا يمكن أن تكون غير ذلك.

لقـد ظهرت مـرتدية ملابس غـريبة عـدة مرات أثناء الأسـابيع الأولى من شهـر سبـتمبـر. فستـان موضة العـشرينيـات.. سروال هندى مصنوع من جلد الغزال.. كيمونو يابانى. وذات يوم ارتدت

Twitter: @alqareah

تنورة قصيرة من قماش الدينم وارتدت تحتها جوربًا أخضر شبكت فيه مجموعة من الدبابيس على هيئة خنافس مرقطة زاحفة وفراشات. «العادى» بالنسبة لها كان فساتين وتنورات الجدات الطويلة التي تمس الأرض برفق أثناء السير.

وكل بضعة أيام فى قاعة الغداء كانت تغني لشخص ما جديد أغنية «عيد ميلاد سعيد» احتفاءً به. كنت سعيداً لأن عيد ميلادى كان فى الصيف.

وفى الردهات كانت تلقى التحية على أشخاص غرباء تمامًا.. ولم يستطع طلاب السنة النهائية تصديق ذلك، فهم لم يشاهدوا من قبل طالبة بمثل هذه الجرأة فى الصف العاشر.

وفى الحصة، كانت دائمًا تلوح بيدها فى الهواء وتوجه أسئلة، برغم أن الأسئلة لم تكن تمت لموضوع الحصة بصلة فى أغلب الأحيان، ففى أحد الأيام طرحت سؤالاً عن الشخصيات الخرافية فى الميثولوجيا الإسكندنافية أثناء حصة التاريخ الأمريكى.

وألفت أغنية عن المثلثات متساوية الساقين وغنتها فى حصة الهندسة المستوية. كان اسم الأغنية: «لدى ثلاث أضلاع ولكن ضلعين منها متساويان».

Twitter: @alqareah

وانضمت لفريق سباق اختراق الضاحية، وكانت المسابقات تجرى فى ملعب الجولف التابع لنادى ميكا الريفى، ووضعت رايات حمراء لإرشاد العدائين إلى الطريق الذى يجب أن يسلكوه. وفى سباقها الأول، وفى منتصف المضمار انعطفت يسارًا بينما انعطف الجميع صوب اليمين، وانتظروها عند خط النهاية، ولكنها لم تظهر أبدًا، فطردت من الفريق.

وفى أحد الأيام صرخت فتاة فى الردهة، فقد أبصرت وجهًا بنيًا صغيرًا يبرز خارج حقيبة ستار جيرل المصنوعة من نسيج الكنفاه. لقد كان فأرها الداجن، وكانت تحمله معها إلى المدرسة داخل الحقيبة كل يوم.

وذات صباح أمطرت السماء، وكان ذلك حدثًا نادرًا فى منطقتنا. هطل المطر أثناء حصة الألعاب الرياضية، فطلب منا المعلم الدخول. وفى الطريق إلى الحصة التالية نظروا خارج النوافذ فوجدوا ستار جيرل لا تزال بالخارج.. ترقص تحت المطر!

لقد أردنا أن نجد لها تعريفًا أو تصنيفًا مثلما كنا نفعل مع بعضنا البعض، ولكننا لم نستطع تجاوز وصف «غريبة الأطوار» و«غريبة»

Twitter: @alqareah

و«بلهاء». لقد أفقدتنا تصرفاتها توازننا، وبدا أن هناك كلمة واحدة تحوم فى سماء المدرسة الخالية من السحب:

هه؟

وبدا أن كل شىء تفعله يردد صدى مقولة هيلارى كيمبل: إنها ليست طالبة حقيقية.. إنها ليست طالبة حقيقية...

كل ليلة وأنا مستلق فى فراشى كنت أفكر فيها عندما يتسلل ضوء القمر إلى داخل غرفتى. كان بوسعى أن أسدل الستائر لأجعل المكان مظلمًا فيغلبني النوم بسهولة، ولكنى لم أفعل ذلك أبدًا، فقد راق لى الشعور الذى منحنى إياه ضوء القمر في تلك الساعة. وكأنه لم يكن نقيض النهار، بل جانبه السفلى.. جانبه الخاص.. شىء ما كان يصدر صوت خرخرة على ملاءتى الناصعة البياض كقطة داكنة اللون آتية من الصحراء.

وأثناء إحدى هذه الليالى المقمرة، خطر ببالى أن هيلارى كيمبل ربما تكون مخطئة. لقد كانت ستار جيرل حقيقية.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث

كنا نتشاجر ـ كيڤين وأنا ـ يوميًا.

فقد كانت مهمتى الرئيسية بوصفى منتجًا أن أجلب الناس من أجل برنامج (المقعد الساخن)، وبعد أن كنت أتفق مع شخص ما، كان كيڤين يبدأ فى دراسته وإعداد أسئلته.

كل يوم كان يسألنى: «هل فاتحتها فى الأمر؟»

وكل يوم كنت أجيب بالنفى.

فاستشاط غضبًا وكان يتملكه الإحباط.

«ماذا تعنى بكلا؟ ألا تريد الاتفاق معها؟»

فقلت له إننى لست متأكدًا.

جحظت عينا كيڤين وقال: «لست متأكدًا؟ كيف يمكن ألا تكون متأكدًا؟ لقد صفقنا أيدينا اتفاقًا على الموضوع فى قاعة الغداء قبل أسابيع، بل كنا نفكر حتى فى إنتاج مسلسل صغير عن ستار جيرل. لقد هبطت علينا هذه الفرصة من السماء».

هززت كتفى وقلت: «كان ذلك وقتها أما الآن فأنا لست متأكدًا».

Twitter: @alqareah

نظر لى كيڤين وكأن لى ثلاث آذان وقال: «مم أنت لست متأكدًا؟»

فهززت كتفى.

فقال: «حسنًا.. سأتفق معها أنا» ومشى بعيدًا.

قلت: «سوف يتعين عليك أن تجد مخرجًا آخر إذًا».

توقف كيڤين. وكدت أن أشاهد البخار يتصاعد من كتفيه من فرط غضبه. ثم استدار وقال لى وهو يوجه إصبعه نحوى: «ليو.. إنك يمكن أن تصبح مجنونًا حقيقيًا أحيانًا». ثم مضى.

أصابنى هذا الموقف بشعور بعدم الارتياح، فقد كنا - كيڤين كوينلان وأنا ـ نتفق على كل شىء عادة، وربطت بيننا صداقة حميمة منذ أن وصلنا إلى أريزونا فى نفس الأسبوع قبل أربع سنوات. وكنا نحن الاثنان نعتقد أن نبات التين الشوكي يشبه مضارب بنج بونج لها شوارب وأن نبات Saguaros الصحراوى يشبه قفازات الديناصورات. وكنا نحب مخفوق الفراولة المزوجة بالموز. وكنا نريد الاشتغال فى مجال الإعلام التليفزيونى، وكثيراً ما قال لى كيڤين أنه يود أن يكون مقدم برامج حوارية، ولم يكن

Twitter: @alqareah

يمزح. أما أنا فكنت أريد أن أصبح معلقًا رياضيًا أو مذيع نشرات إخبارية. وكنا نحن أصحاب فكرة برنامج (المقعد الساخن) وأقنعنا إدارة المدرسة بالسماح لنا بتنفيذها، فحقق نجاحًا باهرًا وسرعان ما اكتسب شعبية طاغية فى المدرسة.

فإذًا ما سبب إحجامى عن التحدث إليها فى الأمر؟

لا أدرى. راودتنى بعض المشاعر الغامضة، إلا أن الشعور الوحيد الذى أمكننى التعرف عليه هو تحذير: دعها وشأنها.

بمرور الوقت، حلت محل «فرضية هيلارى» (كانت تلك هى التسمية التى أطلقها كيفين عليها) عن أصول ستار جيرل نظريات أخرى:

كانت تحاول الحصول على فرصة اكتشافها للعمل فى السينما.

كانت تشم الأدخنة.

أصابها التعليم المنزلى بلوثة.

كانت مخلوقًا قادمًا من الفضاء.

الفأر الذى أحضرته إلى المدرسة لم يكن سوى طرف جبل جليدى، فقد كان لديها المئات من الفئران بالمنزل وبعضها بحجم القطط.

Twitter: @alqareah

عاشت فى بلدة أشباح فى الصحراء.

عاشت فى حافلة.

كان والداها لاعبى أكروبات فى السيرك.

كان والداها ساحرين.

كان والداها نزيلين فى مصحة للأمراض العقلية فى يومٍ.

لقد شاهدناها تجلس فى الفصل وتخرج من حقيبتها المصنوعة من نسيج الكنفاة ستارة مكشكشة لونها أزرق وأصفر كانت تضعها على ثلاثة جوانب فى مكتبها. وشاهدناها تخرج فازة من الزجاج الشفاف وتضع داخلها زهرة الديزي لونها أبيض وأصفر. كانت تفعل ذلك فى كل حصة تحضرها وعلى مدى ست مرات فى اليوم. فقط فى صباح يوم الاثنين كانت زهرة الديزي يانعة، وبحلول الحصة الأخيرة، كانت الأوراق تتدلى، وبحلول الأربعاء كانت الأوراق تبدأ فى التساقط والساق تنحني. وبحلول يوم الجمعة كانت الزهرة تميل فوق حافة الفازة الخالية من الماء، ناثرة غباراً أصفراً فى الأخدود المخصص لوضع أقلام الرصاص.

Twitter: @alqareah

كنا ننضم لها عندما تغنى أغنية «عيد ميلاد سعيد» لنا فى قاعة الغداء، وسمعناها تحيينا فى الردهات وقاعات الدراسة، وتساءلنا كيف عرفت أسماءنا وتواريخ ميلادنا.

لقد جعلتها عيناها الواسعتان تبدو وكأنها فى حالة دهشة دائمة، فوجدنا أنفسنا نستدير وننظر فوق أكتافنا، متساءلين إن كان هناك شيء قد فاتنا.

كانت تضحك بغير نكات وترقص بغير موسيقى.

لم يكن لها أصدقاء، ومع ذلك فقد كانت أكثر الطلاب إظهاراً للمودة فى المدرسة.

وفى إجاباتها فى الفصل، كانت تتحدث كثيراً عن فرس البحر والنجوم، ولكنها لم تكن تعرف ما هى كرة القدم.

وقالت إنه لا يوجد جهاز تليفزيون فى منزلها.

كانت محيرة.. كانت اليوم.. كانت الغد.. كانت عبير زهرة صبار خفيف.. كانت ظل بومة ترفرف بجناحيها. لم نستطع أن نعطيها وصفًا دقيقًا. فى أذهاننا حاولنا تثبيتها على لوحة من الفلين بدبوس كالفراشة، لكن الدبوس اخترق اللوحة وحسب وطارت الفراشة بعيدًا.

Twitter: @alqareah

لم يكن كيفين الشخص الوحيد، فقد أخذ الطلاب الآخرون يلحون على: «استضفها فى برنامج (المقعد الساخن)!»

لقد كذبت، فقلت إنها فى الصف العاشر وأن الشخص يجب أن يكون فى السنة الأولى بالمدرسة الثانوية على الأقل لكى تتم استضافته فى برنامج (المقعد الساخن).

فى الوقت ذاته، حافظت على المسافة الفاصلة بينى وبينها، ورحت أراقبها وكأنها طائر فى قفص كبير وذات يوم انعطفت عند أحد الأركان فوجدتها قادمة فى اتجاهى، وتنورتها الطويلة تصدر صوت حفيف خفيف، ونظرت إلى مباشرة فشعرت بعينيها الواسعتين تحيطان بى، فاستدرت ومضيت مسرعًا فى الاتجاه الآخر. وبعد أن جلست فى الحصة التالية شعرت بالدفء يغمرنى وبرعشة فى جسدى. وتساءلت إن كان حمقى قد ظهر على.. هل أنا بسبيلى إلى التحول إلى أبله أحمق أنا الآخر؟ لقد كان الشعور الذى سيطر على عندما شاهدتها عند الركن أشبه بالفزع.

وذات يوم قررت أن أتبعها بعد المدرسة، وحافظت على مسافة آمنة بينى وبينها، وحيث إنه كان معروفًا أنها لا تستقل حافلة، فقد توقعت أن تكون المسيرة قصيرة، ولكنها لم تكن كذلك، فقد

Twitter: @alqareah

اجتزنا ميكا كلها، مارين أمام مئات الأفنية الأمامية العارية من العشب وخلال مركز تيودورايزد Tudorized للتسوق، متحاشين متنزه أعمال الإلكترونيات الذى أُنشِئَت حوله المدينة قبل 15 عامًا فقط.

وأثناء سيرنا، أخرجت ستار جيرل ورقة من حقيبتها ونظرت إليها، وبدا أنها تقرأ أرقام المنازل وهى سائرة. وفجأة دخلت فناء أحد المنازل واتجهت إلى الباب الأمامى وتركت شيئًا فى صندوق البريد.

انتظرت حتى غادرت المكان ونظرت حولى ـ فوجدت الشارع خاليًا من المارة، فاتجهت نحو صندوق البريد وجذبت بطاقة مصنوعة منزليا وفتحتها، فوجدت كلمة Congratulations مكتوبة عليها وكل حرف بلون مختلف. ولم تحمل البطاقة أى توقيع.

تابعت السير وراءها، وبدأت السيارات تدخل الممرات الخاصة بها فى أفنية المنازل، فقد حان وقت العشاء، ولا بد أن والدى يتساءلان عن سبب تأخرى.

أخذت ستار جيرل الفأر من داخل الحقيبة ووضعته على كتفها، فسار قليلاً وبرز وجهه الصغير المثلث الشكل خلال شعرها

Twitter: @alqareah

الذهبى وكـان ينظر للخلف: لـم أستطع رؤية عـينيـه السـوداوين اللتين تـشبهـان حبات الخـرز، ولكننى خمنت أنه كـان ينظر إلى، وتخيلت أنه أخبرها بما شاهده، فتراجعت إلى الوراء.

سقطت الظلال عبر الشوارع.

مـررنا بمغسلة السـيـارات ومتـجر الـدراجات، ومـررنا بملعب الجولف بالنادى الريفى، أكـبر مسـاحة ممتدة من العشب الأخـضر حتى ملعب الجـولف التالى فى البلدة التاليـة. مررنا بلافتة «مـرحبًا بكم فى مـيكا»، وكنا نسيـر فى اتجاه الغـرب. لم يكن هناك إلا أنا وهى والطريق السريع والصحراء والشمس ترسل أشـعتها الحارقة أعلى جـبـال مـاريكـوبا وتمنيت عندئذ لو أنـنى أحـضـرت نظارة الشمس الخاصة بى.

وبعد برهة من الوقت، انـحرفت عن الطريق السريع، فـترددت ولكنى تابعت سيرى. كـانت تسير باتجاه الشمس الغاربـة مباشرةً، وكانت الشـمس قد تحولت إلى برتقالة ضـخمة جاثمـة فوق قمم الجبال. للحظة بدت الجبال مصطبغة بنفس لون تنورتها الأرجوانى الشاحب. ومع كـل خطوة خيم الصمت على المـكان أكثر وأكـثر، ونما معـه إحساس بأنها تعـرف ـ منذ البداية ـ أننى أتبعهـا، أو أنها كانت تقودنى، فهى لم تنظر إلى الوراء أبدًا.

Twitter: @alqareah

داعبت ستار جيرل أوتار قيثارتها وغنت. ما عدت أستطيع رؤية الفأر، وتخيلت أنه قد غلبه النعاس داخل ستارة شعرها وربما كان يغنى معها أيضًا. غربت الشمس خلف الجبال.

إلى أين هى ذاهبة؟

فى ضوء الغسق، ألقت نباتات Saguaros ظلالاً تشبه العمالقة على الأرض المكسوة بالحصى. وشعرت بنسيم بارد يصافح وجهي، وشممت فيه رائحة التفاح. ثم سمعت شيئًا ـ هل كان ذئبًا؟ لقد فكرت فى الحيات ذات الجرس والعقارب.

توقفت عن السير، ورحت أرقبها وهى تواصل المشى، وخنقت بداخلى رغبة ملحة فى أن أناديها لأحذرها.. من ماذا؟

درت على عقبى ومشيت ثم عدوت عائدًا إلى الطريق السريع.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع

فى مدرسة ميكا الثانوية العليا، كانت هيلارى كيمبل مشهورة بثلاثة أشياء: فمها والخدعة ووين بار.

أما عن فمها فقد كان ثرثاراً ويجأر بالشكوى معظم الوقت.

أما الحدث الذى أصبح معروفًا باسم خدعة هيلارى فقد وقع عندما كانت فى السنة الثانية بالمدرسة وأدت تجربة أداء للانضمام إلى فريق التشجيع. كان وجهها وشعرها وقوامها مناسبين تمامًا فضلاً عن فمها، ونجحت هيلارى فى الاختبار بسهولة، ولكنها أذهلت الجميع برفضها الانضمام فعليًا لفريق المشجعات، وقالت إنها أرادت فقط أن تثبت لنفسها أنها قادرة على القيام بذلك، وأنه لم يكن لديها النية للقفز والصياح أمام مدرجات خالية (وهذا ما كان يحدث فعلاً)، وأنها تكره الرياضة على أية حال.

أما بالنسبة لوين بار، فقد كان صديقها، ولكنه لم يكن ثرثاراً مثلها، بل كان نادراً ما يفتح فمه ليتكلم. ولم يكن مضطراً لذلك، فقد كان كل ما ينبغى عليه أن يفعله هو الظهور. كانت تلك وظيفته: الظهور، وبمعايير الشباب والشابات معًا، كان وين بار رائعًا.

Twitter: @alqareah

إلا أنه كان أكثر ـ وأقل ـ من ذلك.

فمن حيث الإنجاز، كـان وين بار نكرة، فلم يكن عضواً فى أى فريق رياضى أو فى أى منظمة ولم يفز بأى جوائز ولم يحصل قط على درجة ممتاز. لم يسبق انتخابه فى أى شىء أو تكريمه من أجل أى شىء، ومع ذلك (وهذا ما لم أدركه إلا بعـد عدة سنوات) فقد كان قائد عرضنا اليومى.

إننا لم نستـيقظ ذات صباح ونـسأل أنفسنا «ترى ماذا سـيرتدى وين بار اليوم؟» أو «كـيف سيتصـرف وين بار اليوم؟» على الأقل ليس بشكل واعٍ، ولكن عند مـستوى مـعين تحت الشعـور، هذا ما فعلناه بالضبط. إن وين بار لم يكن يتفرج على مباريات كرة القدم وكـرة السلة، ولا نحن أيضـًا. ولم يكـن وين بار يطرح أسـئلة فى الفصل أو يثيـر غضب المعلمين ولم يكن خطيبًا مـفوهًا قادراً على إثارة حماس جمهوره، ولا نحن أيضًا. لم يبالى وين بار كثيراً ولا نحن.

هل شكَّل بار سمات شخصيـتنا أم أنه كان ببساطة انعكاسًا لنا؟ لم أعرف. كل مـا أعرفه هو أنك إذا نزعت عن الجـسد الطلابى كل طبقـاته الواحدة تلو الأخرى، فلـن تجد فى قلبه الروح المدرسـية بل

Twitter: @alqareah

ستجد وين بار. ولهذا السبب طلبت منه الظهور فى برنامج (المقعد الساخن) عندما كنا فى السنة الثانية، وأثار ذلك دهشة كيڤين.

وقال لى: «لماذا بار بالذات؟ ما الإنجاز الذى حققه؟»

ماذا كان بوسعى أن أقول؟ إن بار يستحق الاستضافة فى البرنامج تحديداً لأنه لم يفعل شيئًا.. لأنه كان شديد البراعة فى عدم فعل أى شىء؟ لقد كان لدى بصيرة غامضة فقط لم أستطع ترجمتها إلى كلمات، ولذا فقد اكتفيت بهز كتفى.

وجاءت أهم لحظة فى تلك الحلقة من البرنامج عندما سأل كيڤين بار عن بطله ومثله الأعلى، وكان ذلك واحداً من أسئلة كيڤين المعتادة.

فأجاب بار : «ج ك».

فى غرفة التحكم، ظننت أن عطلاً ما أصاب الصوت فلم أسمع جيداً ما قاله.

قال كيڤين ببلاهة «ج ك؟ تقصد مجلة چنتلمانز كوارترلى Gentleman's Quarterly؟»

لم ينظر بار إلى كيڤين بل نظر إلى الكاميرا مباشرةً، وأومأ برأسه معتداً بنفسه، ثم مضى يقول إنه يريد أن يصبح عارض

Twitter: @alqareah

أزياء، وأن أقصى طموحه أن يظهر على غلاف مجلة جنتلمانز كوارترلى. ثم وقف أمام الكاميرا، ولاحت فى عينيه تلك النظرة الازدرائية التى تميز عارضى وعارضات الأزياء. وفجأة أدركت أنه يمتلك مقومات النجاح كعارض أزياء: الفك المربع كزاوية غلاف مجلة، الوجنتان الواضحتا المعالم وكأنهما منحوتتان بإزميل فنان تشكيلى.. الأسنان والشعر الجميلان.

لقد حدث ذلك قرب نهاية السنة الثانية لنا فى المدرسة. وقتها كنت أظن أن وين بار سيظل قائدنا دومًا، ولكن ما أدرانى أن فتاة يغطى النمش أنفها وظلت طوال عمرها تتلقى التعليم بالمنزل ستنافسه بعد فترة وجيزة؟

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس

جاءت المكالمة الهاتفية من كيفين مساء يوم جمعة. وكان يحضر مباراة فى كرة القدم. قال: «بسرعة ! أسرع! اترك ما بيدك وتعالى الآن!»

كان كيفين أحد الأشخاص القلائل الذين كانوا يذهبون لمشاهدة المباريات، و ظلت المدرسة تهدد بإلغاء مباريات كرة القدم بسبب قلة مشاهديها، وقالت إن عائدات بيع التذاكر تكفى بالكاد لدفع أجرة الكهرباء اللازمة لإضاءة الملعب.

إلا أن كيفين كان يصرخ على الهاتف، فقفزت داخل السيارة البيك أب المملوكة لأسرتى وانطلقت مسرعًا إلى الاستاد.

اندفعت خارج الشاحنة بسرعة، فألفيت كيفين واقفًا عند البوابة وأخذ يلوح بذراعه قائلاً: «أسرع!» فدفعت على عجل دولارين ثمنًا لتذكرة الدخول عند شباك التذاكر وأسرعت إلى داخل الاستاد. قال كيفين وهو يجذبنى إلى داخل المدرجات «ستكون المشاهدة أفضل من هنا». كنا فى الاستراحة بين الشوطين، وكانت الفرقة الموسيقية موجودة على أرض الملعب بجميع أعضائها البالغ عددهم 14. وكانت هذه الفرقة معروفة بين

Twitter: @alqareah

الطلاب باسم «أصغر فرقة موسيقية واقفة فى العالم»، فلم يكن عدد أعضائها كـافيًا لتكوين أى حرف أو أشكال يمكن تمييزها فـيما عدا حرف آى (I)، ولذا فهم لم يسـيروا كثيـراً فى فترات الاستـراحة فى المباريات بل كانوا يقفون مـعظم الوقت على شكل صفين كل منهما مؤلف من سبعـة عازفين بالإضافة إلى الطالب قائد الفرقة المـوسيقية لا حرس يرتدون سترات ملونة ولا فتيات يحملن أعلامًا وبنادق.

إلا هذه الليلة، فقد كـانت ستار جيرل كاراواى مـوجودة معهم على أرض الملعب، وبينمـا راح أفراد الفرقـة يعزفـون وهم وقوف فى مكانهم، أخذت هـى تتبخـتر على العشب بقـدميهـا الحافيـتين وفستانهـا الطويل الأصفر الليمونى، وتنتـقل من مرمى إلى مرمى، وتدور كالإعـصار، وتمشى مـشيةً عـسكريةً متـصلبة كـأنها جندى خشبى، وتنفخ فى فلوت وهمى وتقـفز فى الهواء، ضاربة كعـبيها العاريين بـبعضهـما. فغرت فـتيات فـريق التشجـيع أفواههن عند الخطوط الجانبية، وصفرّ عدد قليل من المتفرجين فى المدرجات، أما الباقون ـ والذين فاق عددهم عدد أعضاء الفرقة الموسيقية بالكاد ـ فـقد جـلسوا هنـاك وقد عـقـدت الدهشـة ألسنتـهم وارتسم على وجوههم تعبير نم عن الحيرة وعدم الفهم.

Twitter: @alqareah

توقفت الفرقة عن العزف واتجهت إلى خارج الملعب، إلا أن ستار جيرل بقيت هناك، وكانت تلف وتدور حول نفسها عند خط الأربعين ياردة عندما عاد اللاعبون، ولما قاموا بتدريبات إحماء لمدة دقيقة انضمت إليهم متظاهرةً أنها دمية وثَّابة(*). واصطف الفريقان انتظاراً لبدء الشوط الثانى، ووضعت الكرة فى مكانها على أرض الملعب. وكانت ستار جيرل لا تزال هناك. فنفخ الحكم فى صفارته وأشار لها بيده لكى تغادر الملعب، ولكنها بدلاً من ذلك اندفعت نحو الكرة ورفعتها من على الأرض وأخذت ترقص بها وتديرها وتحتضنها وتقذفها فى الهواء. نظر اللاعبون إلى مدربيهم، ونظر المدربون إلى المسئولين، فنفخ هؤلاء فى صفاراتهم وبدأوا يندفعون نحوها، واتجه رجل الشرطة الوحيد المتواجد فى الاستاد إلى الملعب، فما كان منها إلا أنها قذفت الكرة فوق دكة الفريق الزائر وركضت خارج الملعب والاستاد.

هلل الجميع: المتفرجون وفتيات التشجيع والفرقة الموسيقية واللاعبون والمسئولون والآباء الذين يديرون كشك السجق (هوت دوج) ورجل الشرطة وأنا، وأخذنا نصفر وندق بأقدامنا على المدرجات المكشوفة المصنوعة من الألومنيوم، فنظرت فتيات

(*) الدمية الوثَّابة : هي دمية على هيئة رجل إذا جذب المرء سلكًا مشدودًا إلى أوصاله أخذ في الوثب والرقص.

Twitter: @alqareah

التشجيع إلى أعلى فى دهشة ممزوجة بالسعادة، فقد كانت تلك أول مرة يسمعن فيها صوتًا حماسيًا صادرًا من المدرجات، برغم أنهن كن من قبل يتشقلبن على هيئة عجلة العربة وإلى الوراء بل ويشكلن أيضًا هرمًا ثلاثى المستويات. وقالت المتمرسات منهن ـ وقد عاصرن نشأة مدينة ميكا الفتية ـ أنهن لم يسمعن من قبل مثل هذه الجلبة.

★ ★ ★

فى المباراة التالية حضر أكثر من ألف متفرج. الجميع عدا وين بار وهيلارى كيمبل، واصطف الناس أمام شباك التذاكر، ونفد السجق من كشك المرطبات، وتم استدعاء رجل شرطة ثانٍ، وبدت فتيات التشجيع فى أحسن حالاتهن، وأخذن يصحن مخاطبات المدرجات «أسمعونا حرف إئى ! Gimme An E»، فردت عليهن المدرجات صائحة: «EEEE !» (لقد كان اسم فريقنا إليكترونز Electrons تكريمًا لتراث البلدة من الإليكترونيات).

أدت فتيات التشجيع جميع عروضهن الروتينية قبل انتهاء الربع الأول، وعزفت الفرقة موسيقى عالية ومفعمة بالنشاط والحيوية، وأحرز فريق كرة القدم هدفًا، وفى المدرجات، ظلت الرءوس تستدير نحو حواف الملعب ونحو المدخل ونحو المساحة

Twitter: @alqareah

المظلمة المحيطة بالاستاد والمضاءة بأنوار مصابيح الشارع. ومع اقتراب الشوط الأول من نهايته تعاظم الإحساس بالتوقع. ومشت الفرقة الموسيقية بخطوات منتظمة رشيقة إلى داخل الملعب. حتى أفرادها كانوا يتلفتون حولهم.

أدى الموسيقيون برنامجهم، بل وكونوا أيضًا دائرة صغيرة منحرفة فى أحد جوانبها، وبدا أنهم يتلكأون فى مغادرة الملعب وينتظرون شيئًا، ولكنهم اضطروا فى النهاية إلى مغادرة الملعب على مضض، وعاد اللاعبون ولكنهم ظلوا يتلفتون حولهم أثناء أداء تدريبات الإحماء. وحينما رفع الحكم ذراعه ونفخ فى صفارته معلنًا بدأ الشوط الثانى، ساد الاستاد شعورٌ بخيبة الأمل، وارتخت أكتاف فتيات التشجيع.

إنها لن تأتى.

★ ★ ★

فى يوم الاثنين التالى، أصبنا بصدمة فى قاعة الغداء فقد كانت ميلورى ستيلويل Millory Stillwell الشقراء الجميلة قائدة فريق الفتيات المشجعات تجلس مع ستار جيرل. جلست معها وأكلت معها وتحدثت معها وخرجت معها. وعندما جاءت الحصة

Twitter: @alqareah

السادسة كانت المدرسة بأكملها قد عرفت: لقد تمت دعوة ستار جيرل للانضمام إلى فريق الفتيات المشجعات وهي وافقت.

لا بد أن الناس فى فينيكس سمعونا نهمهم.. هل سترتدى التنورة والكنزة المعتادتين مثل بقية الفتيات؟ هل ستؤدى حركات التشجيع المعتادة؟ هل أرادت كل فتيات التشجيع ذلك أم أنها كانت فكرة القائدة فقط؟ هل كن يشعرن بالغيرة؟

اجتذبت تدريبات التشجيع حشداً كبيراً من الطلاب، ووقف ما لا يقل عن مائة منا عند موقف السيارات فى ذلك اليوم نشاهدها وهى تتعلم عروض التشجيع وتقفز فى فستانها الطويل العتيق.

أمضت ستار جيرل أسبوعين وهى تتدرب، وفى أثناء الأسبوع الثانى، ارتدت الزى الموحد: كنزة قطنية بيضاء لها فتحة رقبة على شكل حرف V وشريط أخضر فى نهاية الأكمام وتنورة ذات كسرات باللونين الأخضر والأبيض، فبدت مثل بقية الفتيات فى الفريق تمامًا.

ومع ذلك فقد شعرنا أنها ليست فتاة تشجيع حقيقية بل ستار جيرل فى ثوب فتاة تشجيع، فقد واصلت مداعبة أوتار قيثارتها وغناء أغنية «عيد ميلاد سعيد» للناس، وكانت لا تزال ترتدى

Twitter: @alqareah

تنورتها الطويلة فى غير أيام المباريات وتحول مكتبها المدرسى إلى مائدة منزلية. وعندما حل عيد جميع القديسين وجد كل من فى فصلها حلوى مصنوعة من القرع على مكتبه أو مكتبها، ولم يسأل أحد من فعل ذلك، فقد شعر معظمنا أننا نحب وجودها معنا، ووجدنا أنفسنا نتطلع للحضور إلى المدرسة لنشاهد تقاليعها الغريبة. لقد قدمت لنا مادة للحديث.. كانت مسلية.

فى الوقت نفسه، فقد أحجمنا عن الاقتراب منها، لأنها كانت مختلفة، فلم يكن هناك شخص يمكننا مقارنتها به. كانت منطقة مجهولة وغير آمنة فخشينا الاقتراب منها أكثر من اللازم.

أيضًا أعتقد أننا كنا جميعًا ننتظر نتيجة حدث بدا أكبر وأكبر يومًا بعد يوم، فموعد عيد الميلاد القادم هو عيد ميلاد هيلارى كيمبل.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل السادس

هيأت هيلاري الأجواء في اليوم السابق ليوم ميلادها، ففي منتصف فترة تناول الغداء، نهضت من مائدتها واتجهت إلى ستار جيرل، ولمدة نصف دقيقة وقفت خلف مقعد ستار جيرل. وخيم الصمت على المكان إلا من أصوات اصطدام الآنية المعدنية في المطبخ. فقط ستار جيرل كانت لا تزال تمضغ، وتحركت هيلاري من مكانها ووقفت بجانب ستار جيرل.

قالت: «أنا هيلاري كيمبل».

رفعت ستار جيرل رأسها وابتسمت ثم قالت: «أعرف».

«عيد ميلادي غداً».

«أعرف»

وجمت هيلاري وضاقت عيناها، ثم صوبت أصبعها نحو وجه ستار جيرل وقالت: «لا تحاولي الغناء لي.. أنا أحذرك».

وسمع الجالسون إلى الموائد القريبة رد ستار جيرل الخافت: «لن أغني لك».

علت وجه هيلاري ابتسامة رضا ثم مضت بعيداً.

Twitter: @alqareah

منذ اللحظة التى وصلنا فيها إلى المدرسة فى اليوم التالى، كانت أجواء التوتر والترقب تخيم على المكان وتنذر بوقوع حدث كبير. وعندما انطلق الجرس معلنًا بدء فترة الغداء الأولى، أسرعنا إلى الأبواب، ووقفنا فى صفوف استلام الوجبات واخترنا أصناف طعامنا على عجل ثم أسرعنا بالجلوس إلى الموائد. لم يسبق لنا أن تحركنا بهذه السرعة الشديدة، وأقصى ما فعلناه هو الهمس. وبهذا الهدوء جلسنا وأكلنا، وكنا نخشى مضغ رقائق البطاطس المقرمشة لكيلا يفوتنا شىء.

كانت هيلارى أول الداخلين، فمشت إلى داخل القاعة تتقدم صديقاتها وكأنها جنرال غاز. وعند صف استلام وجبات الغداء، وضعت أصناف طعامها المختارة فى صينيتها، وحدقت فى الصراف. وبينما أخذت صديقاتها يتمعنَّ النظر فى الطلاب الموجودين بالقاعة بحثًا عن ستار جيرل، أخذت هيلارى تحدق فى شطيرتها والشرر يتطاير من عينيها.

وجاء وين بار وجلس بعيدًا عنها بعدة موائد وكأنه كان يخشاها هو أيضًا فى ذلك اليوم.

ثم حضرت ستار جيرل أخيرًا، فاتجهت مباشرة إلى صف استلام وجبات الطعام وهى باسمة كعادتها، وبدا أن ستار جيرل وهيلارى لم تفطنا إلى وجود بعضهما.

Twitter: @alqareah

أخذت ستار جيرل تتناول طعامها، وكذلك فعلت هيلارى، ورحنا نرقب الاثنتين، ولم تتحرك سوى عقارب الساعة.

أطلت عاملة فى المطبخ برأسها فوق السير الناقل وصاحت: «الصوانى!»

فرد عليها صوت حاد: «اصمتى!»

انتهت ستار جيرل من تناول غدائها، وكالعادة دست الأغلفة الورقية فى كيسها الورقى ثم حملت الكيس إلى الوعاء المخصص لإلقاء الأوراق فقط عند شباك إعادة الصوانى وألقته فيه. عادت ستار جيرل إلى مقعدها والتقطت قيثارتها، فحبسنا أنفاسنا. وحدقت هيلارى فى شطيرتها.

بدأت ستار جيرل تداعب أوتار قيثارتها وتدندن ثم هبت واقفة وتجولت بين الموائد وهى تدندن وتعزف على القيثارة، وتبعتها ثلاث مائة زوج من العيون. ووصلت إلى مائدة هيلارى ولكنها واصلت سيرها حتى وصلت إلى المائدة التى كنا نجلس إليها كيفين وأنا مع طاقم برنامج المقعد الساخن، فتوقفت وغنت «عيد ميلاد سعيد»، وجاء اسم هيلارى فى نهاية الأغنية، ولكنها ـ وفاءً بالوعد الذى قطعته على نفسها فى اليوم السابق ـ لم تغنى

Twitter: @alqareah

لهيلارى، بل غنت الأغنية لى. وقفت عند كتفى ونظرت إلى وهى تبتسم وتغنى واحترت ماذا أفعل.. هل أنكس بصرى أم أنظر إلى وجهها ففعلت شيئًا من الاثنين وشعرت بحرارة تلهب وجهى.

وعندما انتهت ستار جيرل خرج الطلاب من صمتهم وصفقوا بحرارة، وغادرت هيلارى كيمبل القاعة. نظر كيفين إلى ستار جيرل وأشار إلى ثم سألها سؤالاً لا بد وأنه كان يدور بخلد الجميع: «لماذا هو؟»

عطفت ستار جيرل رأسها وكأنها تتفحصنى ثم ابتسمت فى دلال وجذبت شحمة أذنى وقالت «إنه ظريف»، ثم مضت إلى خارج القاعة.

كان قلبى مرتعًا لتسعة مشاعر اصطرعت بداخلى فى آن واحد، وزالت جميعًا عندما لمست يدها أذنى، ثم مد كيفين يده وجذب شحمة الأذن نفسها وقال: «بدأ الأمر يصبح مثيرًا للاهتمام.. أعتقد أن الوقت قد حان لزيارة آرتشى».

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل السابع

كـان أرتشيبالـد هابوود بروبيكر يعـيش فى منزل من العظام.. عظام فك.. عظام حـرقـفيـة عظام فخـذ. كـان هناك عظام فى كل غرفـة.. كل خزانة.. وفى الشـرفة الخلفـية. بعض الناس يضـعون قططًا حجرية فوق أسطح منازلهم، أما سطح منزل آرتشى بروبيكر فكان يوجـد به الهـيكل العـظمى لقطّه السـيـامى الراحل مـونرو. اجلس فى حمامّه وستجد نفسك أمام جمجـمة دوريس المرتسمة عليها ابتسـامة متكلفة وهو حيوان من عصر مـا قبل التاريخ. افتح دولاب المطبخ حيث كـانت زبدة الفول السودانى مـحفوظة فتـجد الوجه الإحفورى لثعلب منقرض، أمامك وجهًا لوجه.

لم يكن آرتشى مريضًا بل كان عـالمًا بليونتولوچيًا(*)، وجاءت العظام من أعمال حفر أجراها فـى جميع أنحاء الغرب الأمريكى، وكان كثيرٌ منهـا يخصه هو شخصيًا حيث إنه عـثر عليها فى وقت فـراغه، أمـا البعض الآخـر فقـد جمـعه من أجل المتـاحف، ولكنه وضعـه فى جيبـه أو حقـيبتـه المحمولة على الظـهر بدلاً من ذلك،

(*) البليونتولوچيا: علم يبـحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجـية السـالفة ممثلة في المتحجرات أو المستحاثات الحيوانية والنباتية.

Twitter: @alqareah

وكان يقـول: «الأفضل أن تقبع فى ثلاجتى بدلاً من أن تختفى فى درج فى قبو بأحد المتاحف».

وعندما لم يكن آرتشى مشغولاً باستخراج العظام القديمة، كان يدرِّس بالجامعات فى الشرق، وقد تقاعد فى سن الخامسة والستين، وعندما كـان فى السادسـة والستـين من عمره مـاتت زوجتـه وكان اسمهـا أدا ماى Ada Mae، وعندما بلغ السـابعة والستين من عـمره رحل هو وعظامه إلى الغرب «لينضم إلى الأحفوريات الأخرى».

ووقع اختياره على المنزل الذى كان يقـيم فيه لسببين: (1) قربه من المدرسـة الثـانوية العليـا (فـقـد كـان يريد أن يكون قـريبًـا من الأطفال لأنه لم يـرزق بأطفال)، و(2) «سنيـور ساجـوارو» Senor Saguaro كان سنـيور ساجـوارو شجـرة صبَّار عـملاقـة ارتفاعـها ثلاثون قدمًـا بجوار سـقيفـة الأدوات فى الفناء الخلفى، وكـان لها ذراعان عـاليتان مـتفرعـتان من الجـذع، امتدت إحـداهما فى خط مسـتقِـيم، بينمـا التفت الأخـرى إلى أعلى وكأنهـا تلوح مـودعةً. وكانت الـذراع الملوحة خضـراء من الكوع فمـا فوقـه أما بقـيتـها فكانت بنيـة اللون وميتـة، وكان الجزء الأكـبر من اللحـاء الكثيف الشـبيـه بالجلد الذى كـان يغطى جذع الشـجـرة قد سـقط وتكوم

Twitter: @alqareah

أسفل الشجرة: لقد فقد السنيور ساجوارو سرواله. ولم يدعمه سوى ضلوعه وكانت عبارة عن أخشاب رأسية بسمك إبهام اليد، وعششت طيور البوم داخل صدره.

كثيراً ما كان البروفيسور العجوز يتحدث إلى سنيور ساجوارو وإلينا، فلم يكن مجازاً للتدريس فى أريزونا لكن ذلك لم يحل بينه وبين التدريس، ففى صباح كل يوم سبت كان منزله يتحول إلى مدرسة. طلاب الصف الرابع.. طلاب الصف الاثنى عشر.. الجميع موضع ترحيب. لا اختبارات.. لا درجات.. لا سجل حضور.. كانت أفضل مدرسة ذهب إليها معظمنا. وغطت موضوعاته كل شىء من معجون الأسنان إلى الديدان الشريطية ونجح على نحو ما فى التوفيق بينها. كان يسمينا «الجماعة الموالية للعظام الحجرية»، وأعطانا قلائد صنعها بنفسه من عظام أحفورية صغيرة منظومة فى جلد خام. قبل ذلك بسنوات قال لصفه الأول: «نادونى باسم آرتشى»، ولم يضطر أبداً لتكرار هذا الطلب.

بعد الغداء فى ذلك اليوم، ذهبنا كيفين وأنا إلى آرتشى. وبرغم أن الصف الرسمى كان يعقد فى صباح السبت، إلا أن الأولاد كانوا موضع ترحيب فى أى وقت. كان يقول: «مدرستى موجودة فى كل مكان وأبوابها مفتوحة دائماً».

Twitter: @alqareah

ووجدناه كالمعتاد جالسًا فى الشرفة الخلفية على مقعد هزاز وكان يقرأ. كانت الشرفة الغارقة فى ضوء الغروب الأحمر الذهبى مواجهة لجبال ماريكوباس وبدا شعر آرتشى الأبيض وكأنه يشع نوراً.

ما أن رآنا حتى أنزل كتابه وقال «مرحبًا بكم أيها الطلاب!»

قلنا: «آرتشى» ثم استدرنا لتحية شجرة الصبار العملاقة مثلما كان متوقعًا من زوار آرتشى، وأدينا تحية عسكرية لسنيور ساجوارو. ثم جلسنا على مقعدين هزازين، فقد كانت الشرفة مليئة بها. قال: «وإذًا يا رجال.. عمل أم تسلية».

فقلت: «بل حيرة.. توجد فتاة جديدة بالمدرسة».

ضحك وقال: «ستار جيرل».

جحظت عينا كيفين وسأله: «هل تعرفها»

فرد قائلاً: «أعرفها؟» ثم التقط غليونه وحشاه بالتبغ بنكهة الكرز. كان يفعل ذلك دائمًا قبل أن يبدأ محاضرة أو حديثًا طويلاً. «سؤال وجيه». ثم أشعل غليونه وقال: «لنقل أنها جاءت إلى هذه الشرفة بضع مرات قليلة». انبعث الدخان الأبيض من فمه

Twitter: @alqareah

كأنه إشارات قبيلة الأباتشى الهندية». كنت أتساءل متى ستبدأون فى طرح الأسئلة» وضحك ضحكة نصف مكبوتة وقال: «حيرة.. هذه كلمة جيدة.. إنها فتاة مختلفة.. أليست كذلك؟»

انفجرنا كيڤين وأنا فى الضحك وأومأنا برأسينا موافقين. فى تلك اللحظة أدركت كم كنت أتوق بشدة لسماع آرتشى يؤكد ظنوننا.

هتف كيڤين قائلاً: «وكأنها فصيلة أخرى غير البشر!»

أمال آرتشى رأسه وكأن أذنيه التقطتا توًا صوت طائر نادر، وثبت ساق الغليون تكشيرة نمت عن الاشمئزاز، وملأت رائحة ذكية الهواء حول مقاعدنا الهزازة، ثم حدق فى كيڤين وقال له: «على العكس هى واحدة منا والحق أنها واحدة منا أكثر منا نحن. إنها تجسد فى اعتقادى هويتنا الحقيقية أو هويتنا التى كانت».

كان آرتشى يتحدث بهذه الطريقة.. بالألغاز.. بعض الأحيان، ولم نفهم دائمًا ما كان يقوله إلا أن آذاننا لم تبالى كثيراً، فقد أردنا أن نسمع المزيد. وحينما انحدر قرص الشمس خلف الجبال، صوب شعاعًا أخيراً نحو حاجبى آرتشى الفضيين.

Twitter: @alqareah

«لقد تلقت تعليمها بالمنزل كما تعرفان. وجاءت بها أمها إلىَّ. وأظن أنها أرادت الحصول على استراحة من دور المدرس. يوم واحد فى الأسبوع. أربع .. خمس ـ نعم، خمس سنوات الآن».

أشار له كيڤين: «أنت من صنعها!»

ابتسم آرتشى ونفث الدخان من فمه: «كلا.. لقد حدث ذلك قبل أن تأتى إلىَّ بفترة طويلة».

قال كيڤين: «يقول بعض الناس إنها مخلوق فضائى أرسل إلينا من ألفا سنتورى Alpha Centauri أو شىء من هذا القبيل».

وضحك كيڤين ضحكة نصف مكبوتة، وإن لم تبد مقنعة تمامًا. ولا بد أنه كان يصدق هذه المقولة بعض الشىء.

انطفأ غليون آرتشى، فأعاد إشعاله وقال: «إنها أى شىء آخر عدا ذلك، فهى إنسانة بمعنى الكلمة».

قال كيڤين: «وإذًا فهى لا تمثل؟»

«تمثل؟ كلا. إن كان هناك أحد يمثل فهو نحن.. إنها حقيقية مثل» ـ ثم تلفت حوله والتقط جمجمة بارنى (وهو حيوان باليوسينى من القوارض عمره 60 مليون سنة) الضئيلة الشبيهة بالوتد، ورفعها إلى أعلى ـ «حقيقية مثل بارنى».

Twitter: @alqareah

هزني شعور بالغبطة والسرور لكوني توصلت إلى هذه النتيجة بنفسي.

قال كيڤين وهو يميل إلى الأمام: «ولكن الاسم، هل هو حقيقي؟»

هز آرتشي كتفه وقال: «الاسم؟» إن كل اسم حقيقي، فتلك طبيعة الأسماء. عندما ظهرت أول مرة، كانت تسمى نفسها بوكيت ماوس Pocket Mouse، ثم مدباي Mudpie ثم ـ ماذا؟ ـ هالي جالي Hullygully على ما أعتقد. والآن..»

«ستار جيرل». خرجت الكلمة هامسة من فمي، وكان حلقي جافًا.

نظر إلى آرتشي وقال: «أي شيء يخطر على ذهنها، وربما كان ينبغي أن تكون الأسماء على هذا النحو... هه؟ لم تظل باسم واحد طيلة عمرك؟»

قال كيڤين: «وماذا عن والديها؟»

«ماذا عنهما؟»

«ماذا يعتقدان؟»

Twitter: @alqareah

هز آرتشى كتفه وقال: «أظن أنهما موافقان على سلوكها».

قال كيڤين: «ماذا يفعلان؟»

«يتنفسان.. يأكلان.. يقلمان أظافر أقدامهما».

ضحك كيڤين وقال: «إنك تعرف ما أقصده. أين يعملان؟»

«بالنسبة للسيدة كاراواى فقد كانت معلمة ستار جيرل حتى بضعة شهور مضت، وأعتقد أنها تخيط أيضًا ملابس تمثيل من أجل الأفلام السينمائية».

لكزنى كيڤين وقال: «الملابس المجنونة!»

ثم قال آرتشى وهو يبتسم لنا «أما أبوها تشارلز Charles فهو يعمل.. أين فى اعتقادكما؟»

فقلنا في صوت واحد: «ميكاترونيكس MicaTronics».

قلتها باستغراب لأننى تصورت أنه يعمل فى مكان أكثر غرابة.

قال كيڤين: «ومن أين جاءت؟»

سؤال طبيعى فى مدينة حديثة النشأة كميكا، فقد ولد الجميع تقريبًا فى مكان ما آخر.

Twitter: @alqareah

رفع آرتشي حاجبيه وقال: «سؤال وجيه»، ثم أخذ نفسًا طويلاً من الغليون وقال: «البعض يقول مينسوتا، ولكن في حالتها...»، ثم نفث الدخان في الهواء فتكونت غلالة رمادية أخفت وجهه، وحجب ضباب رقيق ذكي الرائحة غروب الشمس: كانت رائحة الكرز وهو يتحمص في جبال الماريكوبا. همس آرتشي قائلاً: «رارا آڤيس Rara avis».

قال كيڤين: «آرتشي.. إن كلامك ليس منطقيًا؟»

فضحك آرتشي وقال: «ومتى كان منطقيًا؟»

هب كيڤين واقفًا على قدميه وقال: «إنني أريد أن أستضيفها في برنامج المقعد الساخن ولكن صاحبي هذا لا يريد ذلك».

أخذ آرتشي يدقق النظر إليَّ خلال الدخان، وظننت أنني شاهدت إمارات الموافقة مرسومة على وجهه، ولكنه عندما تكلم اكتفى بقوله «سويا هذه المسألة بينكما».

أخذنا نتحدث حتى حل الظلام، فحيينا السنيور ساجوارو مودعين، وفي طريقنا إلى الخارج قال آرتشي، موجهًا الحديث إليَّ أكثر منه إلى كيڤين: «ستعرفانها بشكل أفضل من خلال أسئلتكما أكثر من إجاباتها. داوما على النظر إليها مدة طويلة، فربما تريان يومًا ما شخصًا تعرفانه».

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن

بدأ التغـيير مع اقتـراب موعد عـيد الشكر، وبحلول الأول من ديسـمبر، كانت سـتار جيرل كـاراواى قد أصبـحت الفتاة الأكـثر شعبية فى المدرسة.

كيف حدث ذلك؟

هل كان نشاط التشجيع هو السبب؟ كانت آخر مباراة كرة قدم فى الموسم أول مـبـاراة لها كـفـتاة فى فـريق التـشـجيع. وعـجَّت المدرجات بالمتفرجين: طلاب، أوليـاء أمور، خريجون. لم يحدث أبدًا من قبل أن جاء مثل هذا العدد الغفير من الناس إلى مباراة كرة قدم لمشاهدة فتاة تشجيع.

أدت ستار جـيرل الهتافـات والحركات الروتينية المعـتادة.. وما هو أكثر من ذلك. الحقـيقة أنها لم تكف أبدًا عن التشجـيع، فبينما كـانت الفتـيات الأخـريات يسـترحن، أخذت هى تقـفز وتصـيح وتتجـول فى أنحاء الملعب وتذهب إلى مناطق طالما كان التـجاهل من نصـيبـها ـ أطراف المـقصـورة الرئيسـية الـبعـيدة، المتـفرجـون

Twitter: @alqareah

الموجـودون خلف شـبكتي المرمى، أوليـاء الأمـور المسـئولون عن كشك أطعمـة التسالى ـ ولكنهـا حظيت الآن بفتاة تشجـيع خاصة بها.

ركضت ستار جـيرل فى خط مستقيم عبـر خط الخمسين ياردة وانضـمت إلى فتـيات تـشجـيع الفريق الآخـر، فـضحكنا عندمـا رأيناهن واقـفات هناك وهن فـاغرات الأفواه من الـدهشة. وأدت حركات التشجيع أمـام دكة اللاعبين واضطر المدرب إلى إبعادها. وفى الاستـراحة بين الشـوطين، عزفت على قـيثـارتها مع الفـرقة الموسيقية.

وفى الشوط الثـانى تحولت إلى لاعبـة أكروبات، فأدت حـركة عـجلة العـربة والقـفز فـى الهواء إلى الخـلف، واضطر الحكم إلى إيقاف المـباراة وهرع نحوها ثـلاثة من المسئولـين المرتدين قمـصانًا مخططة كالحمار الوحشى، وكانت قـد صعدت فوق أحد المرميين ومشت فوق العارضة الخشبية وكأنها تمشى على حبل مشدود حتى وصلت إلى منتصفـها، فوقفت هناك رافعة ذراعـيها فى إشارة إلى أنهـا توشك أن تقـفـز، فـأُمـرت بالنزول وسط تصـفـيق حـار من المتفرجين وأضواء الكاميرات الوامضة.

Twitter: @alqareah

وأثناء خروجنا من الاستاد، لم يذكر أحد إلى أى مدى كانت المباراة نفسها مملة، ولم يكترث أحد بخسارة فريق إليكترونز من جديد. وفى عموده المنشور اليوم التالى، أشار محرر الرياضة فى صحيفة ميكا تايمز إليها ووصفها بأنها «أفضل رياضية فى الملعب». ولم نستطع انتظار موسم كرة السلة.

هل كان هذا رد فعل هيلارى كيمبل الغاضب؟ بعد مرور عدة أيام على أغنية عيد الميلاد، سمعت صيحة فى الردهة: «لا تفعلى!»، فجريت وشاهدت جمعًا من الطلاب محتشداً عند أعلى السلم، وكانوا جميعًا يحدقون فى شىء ما، فاندسست وسطهم. كانت هيلارى كيمبل واقفة عند المنبسط العلوى للسلم وهى تبتسم، وكانت تمسك بالفأر سينامون من ذيله وتدليه خارج الدرابزين. لم يفصل بينه وبين الطابق الأول إلا الفضاء. وكانت ستار جيرل واقفة عند الدرجات السفلى وتنظر إلى أعلى.

تجمد المشهد، ودق جرس الحصة التالية لكن أحدًا لم يتحرك. لم تقل ستار جيرل شيئًا بل نظرت فقط، وانفرج ما بين أطراف الأصابع الثمانية فى مخالب سينامون الأمامية، وجحظت عيناه

Twitter: @alqareah

الصغيرتان اللتان لا ترمشان، السوداوان كالقرنفل. ودوى صوتٌ من جديد: «لا تفعلى يا هيلارى!». وفجأة أسقطت هيلارى الفأر، وصرخ شخص ما لكن الفأر سقط على الأرض بجوار هيلارى. حدجت هيلارى ستار جيرل بنظرة ازدراء أخيرة ثم انصرفت.

هل كانت دورى ديلسون؟

كانت دورى ديلسون Dori Dilson طالبة بنية الشعر فى الصف التاسع وتكتب أشعاراً فى دفتر أوراقه سائبة حجمه نصف حجمها هى، ولم يكن اسمها معروفًا لأحد حتى جلست ذات يوم إلى مائدة ستار جيرل لتناول الغداء. فى اليوم التالى ازدحمت المائدة بالجالسين، ولم تعد ستار جيرل تتناول الغداء ـ أو تمشى فى الردهات أو تفعل أى شىء آخر فى المدرسة ـ بمفردها.

هل كنا نحن سبب التغيير؟

هل تغيرنا نحن؟ لم لم تسقط هيلارى كيمبل الفأر إلى الطابق الأول فيلقى حتفه؟ هل رأت شيئًا فى عيوننا؟.

Twitter: @alqareah

أيا كان السبب، فقد بات واضحًا لدى عودتنا من عطلة عيد الشكر أن تغييراً قد حدث. فجأة لم تعد ستار جيرل خطرة واندفعنا نحوها نعانقها. وتردد نداء «ستار جيرل!» في أرجاء الردهات. وكنا نستشعر وخزاً خفيفًا عندما نذكر اسمها أمام الغرباء ونرى التعبيرات المرتسمة على وجوههم.

أحبتها الفتيات وأحبها الفتيان، والأهم من ذلك أن الاهتمام جاء من جميع نوعيات الطلاب: الفتيان المتحفظون والفتيات الخجولات والطلاب واسعو العلم والثقافة.

لقد كان أسلوبنا في تكريمها هو تقليدها، فأخذت جوقة من القيثارات تعزف في قاعة الغداء، وظهرت الزهور على المكاتب في الفصول. وذات يوم هطل المطر فجرت 12 فتاة خارج المبنى ليرقصن ونفد ما عند متجر الحيوانات الأليفة في ميكا مول من فئران.

وحانت أفضل فرصة أمامنا لكي نعبر عن إعجابنا في الأسبوع الأول من ديسمبر، فقد تجمعنا في مسرح المدرسة لحضور مسابقة الخطابة السنوية، وهي حدث كان يقام تحت رعاية رابطة أريزونا للنساء المقترعات ومفتوح أمام أي طالب أو طالبة في المرحلة

Twitter: @alqareah

الثانوية يرغب فى استعراض مواهبه فى الخطابة والإلقاء. وفى المسابقة كان يعطى الميكروفون للمتسابق لمدة 7 دقائق ليتحدث عن أى موضوع يختاره، وكان الفائز ينتقل إلى مسابقة المنطقة.

فى العادة كان أربعة أو خمسة طلاب فقط من مدرسة ميكا الثانوية العليا يدخلون المسابقة، أما هذه المرة فقد اشترك 13 طالبًا، وكانت ستار جيرل بينهم. لم يكن ضروريًا أن تكون عضواً فى لجنة التحكيم لترى أنها أفضل المتسابقين، فقد ألقت خطبة مفعمة بالحيوية ـ كانت أداء فى حقيقة الأمر ـ بعنوان «أيتها البومة نادنى باسمى الأول». لم أستطع رؤية نمشها من الجمهور، ولكننى تخيلته يتراقص على أنفها وهى تهز رأسها أثناء الإلقاء. وعندما انتهت أخذنا ندق الأرض بأقدامنا ونصفّر ونصيح طالبين سماع المزيد.

وعندما بدأت لجنة التحكيم مشاوراتها لاختيار الفائز، عرض فيلم، وكان فيلمًا وثائقيًا قصيراً عن تصفيات الولايات التى جرت العام السابق، وعن الفائز فيها وكان فتى من يوما. لم تأت أشد لحظات الفيلم إثارةً أثناء المسابقة، بل بعدها، فعندما عاد الفتى إلى مدرسة يوما الثانوية العليا، استقبلته المدرسة بأسرها فى موقف السيارات بالرايات وفريق فتيات التشجيع والفرقة الموسيقية

Twitter: @alqareah

والأعلام الخفاقة، وحملته الجموع على الأعناق إلى داخل المدرسة وهو يلوح بذراعيه فى الهواء.

انتهى الفيلم واستمرت المصابيح مضاءة، وأعلنت لجنة التحكيم فوز ستار جيرل. الآن ستنتقل إلى مسابقة المنطقة فى ريد روك، وسوف تجرى تصفيات الولاية فى فينيكس فى أبريل. من جديد صفَّرنا وهتفنا.

كان ذلك هو التقدير الذى منحناها إياه فى تلك الأسابيع الأخيرة من العام، ولكننا أعطينا أنفسنا شيئًا أيضًا.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع

فى صحراء سونوران توجد برك. بوسعك أن تقف وسط إحداها دون أن تدرى أنها بركة، لأن البرك تكون جافة عادة، كما لا يمكنك أن تعرف أيضًا أنه على عمق بوصات تحت قدميك توجد ضفادع نائمة تدق قلوبها مرة أو مرتين فى الدقيقة الواحدة. إنها ترقد هناك فى حالة انتظار. بدون ماء لا تكتمل حياة هذه الضفادع الطينية ولا تكون على طبيعتها تمامًا. وهى تظل نائمة على هذا الحال شهوراً داخل الأرض، ثم تسقط الأمطار فتبرز مئات الأزواج من العيون خارج الطين وفى الليل تتردد أصواتها عبر الماء فى ضوء القمر.

لقد كنا مثل هذه الضفادع الطينية، وها نحن نستيقظ فى كل مكان وعادت إلى الحياة إيماءات وكلمات دافئة ومشاعر ودودة كنا قد اعتقدنا أنها انقرضت. لسنوات طويلة كان الغرباء منا يمرون عابسين فى الردهات، أما الآن فقد أصبحنا نتبادل معهم النظرات والإيماءات والابتسامات، وإذا حصل أحد على تقدير ممتاز احتفل به الآخرون وإذا التوى كاحل أحدهم، شعر الآخرون بالألم. لقد اكتشفنا لون عيون بعضنا.

Twitter: @alqareah

لقد كان تمردًا قادته هي .. تمردًا مع وليس ضد.. تمردًا لصالح أنفسنا.. لصالح الضفادع الطينية النائمة التى كنا مثلها زمنًا طويلاً.

بدأ طلاب لم تُسمع أصواتهم أبدًا يتكلمون فى الصف، وملأت «رسائل إلى المحرر» صفحة كاملة فى عدد ديسمبر من صحيفة الحائط المدرسية، وأدى أكثر من مائة طالب وطالبة تجارب أداء للاشتراك فى العمل المسرحى المعروف باسم Spring Revue. وأنشأ أحد الطلاب ناديًا لهواة التصوير الفوتوغرافى وارتدى آخر حذاءً من نوعية Hush Puppies بدلاً من حذائه الرياضى، ووضعت فتاة خجولة طلاء أظافر أخضر اللون على أظافر قدميها، وصبغ طالب شعره باللون الأرجوانى.

لم يدخل أى من هذا دائرة الاهتمام العام، فلم تكن هناك إعلانات شئون عامة أو تغطية تليفزيونية ولم تظهر فى صحيفة ميكا تايمز عناوين رئيسية تقول:

«ثورة الفردية تتفجر بين طلاب مدرسة ميكا الثانوية العليا»

لكن هذه الثورة كانت موجودة.. كانت تحدث. لقد كنت معتادًا على إمعان النظر خلال العدسات وتأطير الصورة وأمكننى

Twitter: @alqareah

أن أرصدها، بل لقد شعرت بها داخلى. لقد شعرت أننى أخف وزنًا وغير مقيد بالأغلال وكأن شيئًا كنت أحمله سقط عن كاهلى. إلا أننى لم أعرف ما الذى ينبغى عمله حيال ذلك، فلم يكن هناك اتجاه معين لحريتى.. لم يكن لدى رغبة فى صبغ شعرى أو ارتداء حذاء تقليعة مثلاً، بل اكتفيت بالاستمتاع بالشعور وراقبت الجسد الطلابى الذى كان عديم الشكل يومًا ما يتفكك ويتحول إلى مئات الأفراد. وبدا أن ضمير «نحن» نفسه بدأ يتشقق ويتفكك إلى أجزاء.

والأمر المثير للسخرية هو أننا مع اكتشافنا لأنفسنا واتجاهنا إلى تمييز أنفسنا، برزت شخصية جماعية جديدة إلى حيز الوجود ـ حيوية.. وجود.. روح لم تكن موجودة من قبل وترددت أصداؤها داخل الصالة الرياضية: «هيا يا فريق إليكترونز!» والتمعت فى نافورات المياه، وحتى خلال العطلات كان لكلمات الكلية الأم أجنحة.

هتفت مخاطبًا آرتشى ذات يوم: «إنها معجزة»!

كان واقفًا عند حافة شرفته الخلفية ولم يلتفت إلىَّ، بل سحب الغليون ببطء من بين شفتيه وتكلم وكأنه يخاطب شجرة سنيور ساجوارو أو الجبال القائظة الجاثمة خلف منزله.

Twitter: @alqareah

قال: «آمل ألا تكون كـذلك، فمـشكلة المعجـزات أنها لا تدوم طويلاً».

ومشكلة الأوقات العصيبة أنك لا تستطيع النوم خلالها.

لقـد كـان عصـراً ذهبـيًـا عشناه فـى تلك الأسابيـع القليلة فى ديسمبر ويناير، ولكن ما كان يدرينى أنه عندما تجيئ النهاية سأكون وسطها؟

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل العاشر

انهارت مقاومتي لاستضافة ستار جيرل في برنامج المقعد الساخن، وقلت لكيفين «حسنًا.. هيا نقم بذلك. حدد موعدًا للحلقة الخاصة بها». هم كيفين بالانصراف فأمسكت بذراعه وقلت: «مهلاً.. سلها أولاً».

فضحك وقال: «حسنًا.. ولكنى لا أعتقد أنها سترفض».

لم يرفض أحد من قبل الظهور فى برنامج المقعد الساخن، فأى إحجام عن الإجابة عن أسئلة شخصية أو محرجة كان ينهار دائمًا أمام إغراء الظهور فى التليفزيون، واعتقدت أنه إذا كان هناك من يستطيع مقاومة ذلك الإغراء، فلا بد أن يكون ستار جيرل. فى ذلك اليوم بعد انتهاء اليوم الدراسى أقبل على كيفين فرحًا وقال «لقد وافقت!».

فى البداية فوجئت، فلم يكن قبولها منسجمًا مع انطباعى عنها، ولم أكن أعرف أن ذلك لمحة مبكرة من شيء بدأت معالمه تتضح أمامي رويدًا رويدًا على مر الأيام: خلف المواهب المبهرة والنزعة الفردية، كانت ستار جيرل طبيعية أكثر مما ظننت، ثم انشغلنا بعد ذلك فى التحضير لأكثر حلقات برنامجنا شعبية على الإطلاق.

Twitter: @alqareah

كان ذلك فى منتصف يناير، وحددنا الثالث عشر من فبراير موعداً لإذاعة البرنامج أى قبل عيد الحب بيوم واحد، فقد احتجنا شهراً كاملاً للإعداد، والآن وقد تلاشت مقاومتى، انصرفت إلى العمل بكل همة ونشاط وخططنا لتنظيم حملة ترويجية، وكلَّفنا طلاب الدراسات الفنية بإعداد الملصقات، وأعددنا أسئلة احتياطية ليطرحها كيفين إذا فرغت جعبة المحلَّفين من الأسئلة ـ وكان احتمال حدوث ذلك كبيراً. ولم نضطر إلى وضع الإعلان المعتاد لدعوة الطلاب للمشاركة كمحلَّفين: فقد تطوع العشرات منهم.

ثم تغيرت الأحوال من جديد.

★ ★ ★

فى فناء مدرستنا، ينتصب لوح من الخشب الرقائقى (الأبلكاش) ارتفاعه 5 أقدام على شكل جوَّاب (وهو طائر أمريكى سريع). كان هذا اللوح عبارة عن لوحة نشرات مخصصة لاستخدام الطلاب فقط، وتلصق به دائمًا رسائل وإعلانات. وفى أحد الأيام وجدنا الرسالة التالية المطبوعة بالحاسب الآلى ملصقة على اللوح الخشبى:

«أتعهد بالولاء للسلاحف المتحدة الأمريكية ولوطاويط الفاكهة فى بورنيو وكوكب واحد فى درب اللبَّانة، وبالعمل على تحقيق العدالة للجميع».

Twitter: @alqareah

وشاهدنا أسفل الرسالة المطبوعة السابقة تعليقًا مكتوبًا بخط اليد كالتالى: «هذه هى الطريقة التى تؤدى بها قسم الولاء».

لم نحتاج إلى أن يخبرنا أحد من هى التى تؤدى قسم الولاء بهذه الطريقة، ويبدو أن بعضهم سمعها وهى تردد القسم فى الفصل كل صباح.

على قدر علمى، لم تكن الروح الوطنية قوية لدينا بصفة خاصة، ولم أسمع الناس يقولون أنهم مستاءون، فقد اعتقد البعض أن الأمر دعابة مضحكة وقهقه البعض الآخر وأومأ برأسه بشكل ينم عن الفطنة والدراية وكأنه يقول «ها قد فعلتها من جديد». وفى صباح الأيام التالية، سُمع أكثر من طالب واحد يردد «القسم» الجديد.

خلال أيام سرت قصة جديدة فى أنحاء المدرسة سريان النار فى الهشيم، فقد فقدت طالبة فى السنة النهائية وكان اسمها آنَّا جريسديل Anna Grisdale جدها بعد صراع طويل مع المرض، وأقيمت الجنازة صباح يوم سبت. ولفترة من الوقت بدا كل شىء روتينيًا: جموع المعزين فى الكنيسة، وكل السيارات المضاءة

Twitter: @alqareah

مصابيحهـا الأمامية والمجموعة الأصغر المتحلقـة حول القبر لإلقاء النظرة الأخيـرة. وبعد انتهـاء القداس القصـير بجوار القـبر، وزَّع مدير الجنازة زهوراً طويلة السـاق على جميع الحاضـرين، وعندما حـان وقت الانصـراف وضع كل مـعزى زهرتـه على النعش. فى هذه اللحظة لاحظـت أنّا جريسـديل وجـود سـتـار جيـرل للمـرة الأولى.

لاحظت أنَّا بعينين تملؤهما الدموع أن سـتار جيرل كانت تبكى هى الأخرى، وتسـاءلت إن كانت ستار جـيرل قد حضـرت صلاة الجنازة فى الكنيسة أيضًا. والأكثر من ذلك أنها تساءلت عن سبب حضور سـتار جيرل أصـلاً. هل من الممكن أن ستار جيـرل كانت صـديقة لجـدها الراحل دون أن تدرى؟ وسـألتهـا أمهـا من تكون الفتاة غير المألوفة.

فـيـما بـعد، دعى المعـزون للذهـاب إلى منزل أنَّا لتناول طعـام الغـداء، فـحـضـر ثلاثون منهـم، وكـان هناك بوفـيـه لحـوم باردة وسلطات وبسكويت. وكانت ستار جيرل موجودة هناك، وأخذت تدردش مع أفراد الأسرة ولكن دون أن تأكل أو تشرب شيئًا.

فـجـأة سـمـعت أنَّا صـوت أمـهـا. لم يكن أعلى من أصـوات الآخرين ولكنه كان مختلفًا: «ماذا تفعلين هنا؟»

Twitter: @alqareah

عم الصمت المكان، وأخذ الجميع يحدقون.

كانتا واقفتين أمام النافذة.

لم تر أنَّا أمها غاضبة بهذه الصورة من قبل، وكانت السيدة جريسديل قريبة جداً من والدها شديدة التعلُّق به حتى أنها بنت حجرة إضافية فى المنزل لكى يعيش بينهم.

قالت السيدة جريسديل بحدة: «أجيبينى».

لكن ستار جيرل لم تصدر جوابًا. «إنك حتى لم تكونى تعرفينه.. أليس كذلك؟»

وظلت ستار جيرل صامتة.

«هل كنتِ تعرفينه؟»

ثم شاهدت أنَّا أمها تفتح الباب الأمامى وتشير خارجه وكأنها تطردها إلى الصحراء. «غادرى منزلى».

فخرجت ستار جيرل.

كان دانى بايك Danny Pike غلامًا فى التاسعة من عمره، وكان يحب ركوب الدراجة التى أهديت إليه فى عيد ميلاده. وذات يوم كان عائداً إلى المنزل بعد المدرسة ففقد السيطرة على الدراجة

Twitter: @alqareah

واصطدم بصندوق بريد وكسرت ساقه، إلا أن ذلك لم يكن أسوأ ما فى الأمر، فقد تكونت جلطة دموية، ونقل بالطائرة إلى مستشفى الأطفال فى فينيكس حيث أجريت له عملية جراحية، وظلت حالته خطيرة وغير مستقرة لبعض الوقت ولكنه عاد إلى بلدته ثانية خلال أسبوع».

لقد نُشرت أخبار هذه الواقعة فى صحيفة ميكا تايمز، وكذلك أخبار الاحتفال الذى كان فى استقبال دانى لدى وصوله إلى منزله فى بنيون لين. وظهر دانى فى الصورة التى غطت خمسة أعمدة فى صحيفة تايمز محمولاً على كتفى والده ومحاطًا بجمهرة من الجيران. وفى المقدمة كانت هناك دراجة جديدة ولافتة كبيرة كتب عليها:

«عودًا حميدًا يا دانى»

بعد ذلك بعدة أيام ظهرت الصورة المنشورة فى الصفحة الأولى على اللوح الخشبى المصنوع على شكل طائر الجوَّاب، وتجمعنا حوله لنرى شيئًا لم نلاحظه من قبل. فقد أشار سهم مكتوب بقلم أحمر ذى سن عريضة إلى أحد الوجوه وسط الجمع المحتشد. كان وجه فتاة منفرج الأسارير بادى البشر والحبور، وكأن دانى بايك أخاها الصغير الذى نجا من الموت بأعجوبة. لقد كانت ستار جيرل.

Twitter: @alqareah

ثم كانت حكاية الدراجة.

لقد ظن كل واحد من أفراد أسرة بايك ـ والداه وأجداده وأقاربه ـ أن شخصًا آخر اشترى لدانى دراجة جديدة، ومضت عدة أيام قبل أن يكتشفوا ـ لدهشتهم العظيمة ـ أن أيًا منهم لم يشترها.

وإذًا فمن أين جاءت الدراجة؟ كان لدى طلاب المدرسة الثانوية الذين سمعوا القصة وشاهدوا الصورة فكرة جيدة نوعًا عن مصدرها، إلا أن آل بايك لم تكن لديهم فكرة فيما يبدو، وتحولت الدراجة إلى محور نقاش وخلاف أسرى، فقد كان السيد بايك غاضبًا لأنه ما من شخص سأله عنها إلا وأنكر شراءه لها ـ وربما لأنه لم يشترها بنفسه. أما السيدة بايك فقد كانت غاضبة لأنها ما كانت لتسمح أبدًا لدانى بركوب دراجة قبل مرور سنة على الأقل.

وفى إحدى الليالى، استقرت الدراجة الجديدة التى لم تركب بعد عند السياج الأمامى لمنزل آل بايك بجوار أكياس القمامة، وعندما جاء جامع القمامة فى صباح اليوم التالى، كانت قد اختفت إلى الأبد، وحصل دانى على بندقية لعبة بدلاً منها.

Twitter: @alqareah

قسم الولاء، جنازة جريسديل وموضوع دانى بايك ـ لقد لوحظت هذه الأمور ولكنها لم تحدث تأثيراً فوريًا على شعبية ستار جيرل فى المدرسة، وظلت محتفظة بشعبيتها كفتاة تشجيع فى موسم مباريات كرة السلة للبنين.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الحادى عشر

أثناء الربع الأول من كل مباراة محلية، كانت ستار جيرل تذهب إلى قسم الزوار وتهتف لهم مشجعةً. كانت تبدأ بحركة قذف كرة مبالغ فيها:

هيا سددوا الكرة نحو الهدف!

نحن لا نعض!

بل فقط نقول ـ

نحن فريق إليكترونز!

(تشير بإصبعى إبهام إلى صدرها

ثم تشير إليهم)

«فمن أنتم؟»

(تدير رأسها وتضع يدها وراء أذنها)

كان زوج من فتيات تشجيع الفريق الزائر ـ أو ربما مشجع أو اثنان ـ يرد عليها: نحن فريق «وايلدكاتس» أو «كوجارز» أو أى اسم آخر، إلا أن معظمهم كانوا يفتحون أفواههم مشدوهين ولسان حالهم يقول: «من هذه الفتاة؟» وكان بعض زميلاتها فى فريق التشجيع يشعر بالإثارة والبعض الآخر بالامتعاض.

Twitter: @alqareah

حتى الآن كانت الجريمة الوحيدة التى يمكن أن تتهم بها ستار جيرل هى السخف والابتذال، إلا أنها لم تكتف بذلك، فقد كانت تهتف مشجعة كلما دخلت الكرة فى السلة بغض النظر عن الفريق الذى أدخلها. لقد كان أغرب منظر: الفريق الآخر يحرز هدفًا ومشجعو فريق مدرسة ميكا الثانوية جالسون واجمين بينما ستار جيرل وحدها تقفز وتهتف مشجعة!

فى البداية حاولت فتيات التشجيع السيطرة على جموحها، إلا أن الأمر بدا أشبه بمحاولة تهدئة جرو صغير. وعندما أعطينها التنورة ذات الكسرات، صنعوا فتاة تشجيع لم يتخيلنها أبدًا، فهى لم تكتف بالتشجيع فى مباريات كرة السلة، بل كانت تهتف مشجعة أى شىء وأى إنسان وفى أى وقت. كانت تهتف مشجعةً الأشياء الهامة الكبيرة ـ المكرَّمون والفائزون فى الانتخابات ـ ولكنها أولت توافه الأمور جلَّ اهتمامها.

لم يكن بوسعك أن تعرف أبدًا متى سيحدث ذلك. ربما كنت غلامًا صغيرًا نكرة فى الصف التاسع اسمك إيدى Eddie، وأثناء سيرك فى الردهة ترى غلاف قطعة حلوى ملقاة على الأرض، فتلتقطها وتلقي بها فى أقرب وعاء للقمامة ـ وفجأة تجدها أمامك

Twitter: @alqareah

بذراعيها الملوحتين فى الهواء وشعرها الأصفر بلون العسل والنمش على أنفها وعينيها الواسعتين التى يخيل إليك أنها تبتلعك كاملاً، وتبدأ في الحال فى ارتجال شيء من أجل إيدى - مثل إيدى ووعاء القمامة يتحالفان للقضاء على الفضلات المبعثرة، ويتجمَّع الطلاب حولك ويأخذون فى التصفيق بأيديهم على إيقاع واحد منتظم وتتطلع إليك العيون أكثر من كل أيام عمرك السابقة مجتمعةً، فتشعر بأنك أحمق ومفضوح وغبى إلى حد أنك تود أن تلحق بغلاف قطعة الحلوى داخل وعاء القمامة. إن ذلك أكثر ما يمكن أن يؤلمك، ويظل عقلك يردد فكرة واحدة: سأموت.. سأموت.

وحينما تنتهى من هتافها ويستقر نمشها من جديد على أنفها.. لماذا لا تموت؟

لأنهم يصفقون لك.. هذا هو السبب.. وهل سمعنا عن إنسان يموت أثناء التصفيق له؟ وهم يبتسمون لك.. أناس لم يسبق أن شاهدوك من قبل يبتسمون لك ويربتون على ظهرك ويشدون على يدك وفجأة يبدو الأمر وكأن العالم بأسره يردد اسمك، فتشعر بسعادة غامرة تحس معها أنك طائر فى الهواء وأنت عائد إلى

Twitter: @alqareah

المنزل بعد انتهاء اليوم الدراسى. وعندما تأوى إلى فراشك فى تلك الليلة، يكون آخر شيء تراه قبل أن تستغرق فى النوم هو تلك العيون ويكون آخر شيء يرتسم على وجهك ابتسامة.

أو ربما تكون قد حضرت إلى المدرسة مرتديًا أقراطًا غير مألوفة أو اجتزت اختبارًا ما بنجاح باهر أو انكسرت ذراعك.. أو ربما لم تكن إنسانًا على الإطلاق.. ربما كنت لوحة مرسومة بالفحم معلقة على الحائط من إبداع فنان شديد البراعة، أو دمية صغيرة متقنة الصنع على هيئة حشرة معلقة في مقعد دراجة.

كنا نهز رءوسنا ومتفقين على أنها فتاة بلهاء وربما أيضًا مجنونة رسميًا، ولكننا كنا ننصرف مبتسمين وشيء واحد يدور فى أذهاننا وإن لم تنطقه ألسنتنا: شيء جميل أن يلقى الإنسان التقدير والإشادة.

ولو أن ذلك حدث فى أى سنة أخرى، لربما سارت الأمور على هذا النحو بصورة متواصلة، ولكن كان هذا العام هو العام الذى حدث فيه شيء يعجز العقل عن تصديقه فى ملعب كرة السلة. كان ذلك هو العام الذى فاز فيه فريقنا، ولم يحقق شيئًا سوى الفوز المتواصل بلا خسارة.

وقد غير ذلك كل شيء.

Twitter: @alqareah

فى مطلع الموسم، لم يلاحظ أحد شيئًا، ولكن باستثناء فريق التنس للفتيات، لم يكن لدينا فرق جيدة فى أى شىء. كنا نتوقع الخسارة، متقبلين لها. الحقيقة أن معظمنا كان غافلاً عنها لأننا لم نكن نحضر المباريات.

وفى السنة السابقة، فاز فريق إليكترونز لكرة السلة فى خمس من ست وعشرين مباراة، أما هذا العام فقد فاز فى مباراته الخامسة قبل أعياد الميلاد، وبحلول أوائل يناير كان قد فاز بمباراته العاشرة وبدأ الناس يلاحظون أنه لم يهزم فى أى مباراة.

«غير المهزوم!» قالت لافتة ملصقة على اللوح الخشبى المصنوع على شكل طائر الجوَّاب. قال البعض إننا نفوز بالصدفة، وقال بعض آخر: إن الفرق الأخرى أضعف منا ببساطة، وظن بعض ثالث: إن اللافتة مزحة، ولكن شيئًا واحدًا كان أكيدًا: أعداد المشاهدين ازدادت، وبحلول بداية فبراير، كان عدد المباريات التى فاز فيها فريقنا قد بلغ 16، ولم يكن هناك مقعد واحد شاغر فى الصالة الرياضية.

إلا أن شيئًا ما أكثر إثارة للاهتمام كان يحدث. فجأة لم نعد مستسلمين للشعور بالهزيمة. الحقيقة أننا نسينا طعم الهزيمة،

Twitter: @alqareah

وحدث التحول بسرعة مذهلة. لم تكن هناك فترة تلمذة أو منحنى تعلُّم، ولم يضطر أحـد أن يعلمنا كيف نكون فائـزين ففى يوم كنا مهزومـين ضجرين غيـر مبالين وراضين بحالنا، وفـى اليوم التالى أصبحنا مشجعين مسعورين ندق أرض المدرجات بأقدامنا ونصبغ وجوهنا بالـلونين الأخضر والأبيض ونؤدى حـركة الموجـة وكأننا نجيدها منذ سنوات.

لقد وقعنا فى حب فريقنا، وعندما كنا نتحدث عنه كنا نستخدم كلمـة «نحن» بدلاً من «هم»، وبدا الهـدَّاف الرئيسى فى الفـريق ـ برينت أردسلى Brent Ardsley ـ وكـأنه يـشع وهجًـا ذهبـيًـا وهو يتحـرك فى أرجاء المدرسة. وكلمـا ازداد حبنًا لفريـقنا كلما ازددنا كرهًا للفـرق المنافسـة. لقد اعتـدنا أن نحسدهم ونـغار منهم ، بل وكنا حتى نصـفق لهم نكاية فى فرقنا الضعـيفة العاجـزة، أما الآن فقـد أصبحنا نمـقت الفرق المنافسـة وكل شىء يتصل بهـا.. كرهنا أزياءهـم الموحدة وكـرهنا مدربيـهم ومشجـعيهم. كـرهناهـم لأنهم كانوا يحـاولون إفسـاد موسمنـا الرائع، وكرهنا كل نقطة مـحرزة ضدنا.. كيف يجرءون على الاحتفال!

وبدأنا نطلق صـيحات الاسـتهـجان. كانت تلك أول تجـربة لنا كـمطلقى صـيـحـات اسـتـهـجـان، ولكنك لو رأيتنا لـظننت أننا

Twitter: @alqareah

متمرسون في ذلك. كنا نطلق صيحات الاستهجان في وجه الفريق الآخر والمدرب الآخر والمشجعين الآخرين والحكام.. أيًا كان ما يهدد موسمنا الممتاز.

بل لقد كنا نوجه صيحات الاستهجان إلى لوحة النقاط المحرزة أيضًا. كنا نمقت المبارايات التى يسودها الترقب والقلق حتى اللحظة الأخيرة، وأحببنا المباريايات التى تتحدد نتيجتها خلال الدقائق الخمس الأولى منها. لقد أردنا ما هو أكثر من الانتصارات.. أردنا مجازر. وكانت النتيجة الوحيدة التى تشعرنا بالرضا التام هى 100 مقابل صفر.

ووسط ذلك كله.. وسط جنون الموسم الممتاز هذا، كانت ستار جيرل هناك.. تقفز كلما دخلت الكرة الشبكة، بغض النظر عن الفريق الذى أدخلها، وتهتف مشجعةً لكل شىء وكل إنسان. ثم حدث ذات مرة أثناء يناير أن انطلقت الصيحات من المدرجات مطالبة إياها بالجلوس وتبعتها صيحات الازدراء والاستهجان، ولكن لم يبد أنها لاحظت ذلك.

لم يبد أنها لاحظت ما حدث.

Twitter: @alqareah

من بين كل صفات ستار جيرل غـير العادية، لفتت هذه الصفة نظرى إلى أقصى درجـة، فالأمور السيئـة لم تؤثر فيها. تـصحيح: الأمور السيئة التى كانت تحدث لها لم تؤثر فيها، أما الأمور السيئة التى كانـت تحدث لنا فقـد أثرت فيـها كـثيراً، فـإذا تألمنا أو نزل بنا كربٌ أو بلاء أو ضـاقت الدنيا على اتسـاعها فى وجـوهنا، كانت تعــرف ذلك وقت حــدوثـه وتسـعى إلى تفــريج ذلـك الكرب وتخفـيف همنا وحـزننا، أما الأمور الـسيئـة التى كانت تقـع لها - كلمات قاسـية أو نظرات ازدراء أو تقرُّح فى القدمـين - فقد بدت غير واعية لها.

لم أرها يومًا تنظر فى مرآة.. لم أسمعـها قط تشكو، فقد كانت كل مشـاعرها وكل انتباهها مـوجهًا خـارجها.. لم يـكن للأنانية مكان فى قلبها.

جرت المباراة التاسعـة عشر فى موسم كرة السلة فى ريد روك، وفى السنوات السـابقـة كان عـدد فتيـات التشـجيع يفوق عـدد مشجعى فريق ميكا فى المباريات التى تقـام خارجها، أما الآن فقد امتـد موكب السيـارات التى قطعت الصحراء ذلك المسـاء حوالي

Twitter: @alqareah

ميلين، وحينما جلسنا فى المدرجات، لم يبق مكان بالكاد لمشجعى فريق ريد روك.

كانت أسوأ مذبحة فى العام، فقد كان فريق ريد روك ضعيفًا ولا حول له ولا قوة، وحينما بدأ الربع الرابع كانت النتيجة 78-29 لصالحنا، واضطر المدرب إلى إنزال البدلاء فى الملعب، فأطلقنا صيحات الاستهجان، وشممنا فى الجو رائحة النقطة المائة.. أردنا أن نشاهد الدماء وأخذ المدرب يلوح في عصبية. وبينما نحن نعوى ونهدر فى المدرجات نهضت ستار جيرل وغادرت الصالة الرياضية، وظن من لاحظوا ذلك منا أنها ذاهبة إلى دورة المياه، وظللت ألتفت نحو باب الخروج من وقت لآخر، ولكنها لم تعد أبدًا. وقبل انتهاء المباراة بخمس ثوانٍ، أحرز فريق إليكترونز النقطة المائة، فجن جنوننا.

كانت ستار جيرل تدردش مع سائق الحافلة طيلة هذا الوقت وعندما سألتها فتيات التشجيع الأخريات عن سبب انصرافها، قالت إنها شعرت بالرثاء لحال لاعبى فريق ريد روك، وبأن هتافها سيزيد المذبحة سوءًا وقالت إن مثل هذه المباريات ليست ممتعة فقلن لها إن مهمتها ليست الاستمتاع بل الهتاف لتشجيع مدرسة ميكا الثانوية العليا أيًا كانت الظروف، فاكتفت بالتحديق فيهن.

Twitter: @alqareah

استقل الفريق وفتيات التشجيع نفس الحافلة، وعندما خرج اللاعبون من غرفة تغيير الملابس، أخبرتهم فتيات التشجيع بما كان من أمر ستار جيرل، فدبروا مكيدة، وقالوا لها أن شخصًا ما نسى شيئًا فى الصالة الرياضية ورجوها أن تذهب لإحضاره، فلما ذهبت أخبروا سائق الحافلة بأن الجميع موجودون فى الحافلة، فتحركت الحافلة وعادت بركابها إلى ميكا بعد ساعتين بدون ستار جيرل.

فى تلك الليلة قام أحد الحراس بريد روك بتوصيل ستار جيرل إلى ميكا بالسيارة، وفى اليوم التالى فى المدرسة، أخبرتها فتيات التشجيع بأن الأمر كله كان مجرد سوء فهم كبير وتظاهرن بالشعور بالأسف لما حدث لها فصدقتهن.

اليوم التالى كان الثالث عشر من فبراير.. برنامج المقعد الساخن.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثانى عشر

سأحكى لكم كيف سارت الأمور فى برنامج المقعد الساخن.

جرت وقائع البرنامج فى استديو مركز الاتصالات، وكان هناك مقعدان على المسرح: المقعد الساخن سيء السمعة نفسه ـ وقد دهن باللون الأحمـر ورسمت ألسنة لهب على قوائمة ـ وكـرسى عادى لمقدم البرنامج كيفين. وعند أحد جانبى المسـرح كان هناك صفان من المقاعـد تألف كلٌ منهـما من ستـة مقـاعد وكان الصـف الثانى أعلى من الأول، وخصصت هذه المقاعد لجلوس المحلَّفين.

كانوا محلفـين بالاسم فقط، فالأعضاء الاثنا عـشر لم يصوتوا أو يصدروا حكمًـا، بل كانت مـهمتـهم هى توجيه أسـئلة تكسب «المقعد الساخن» سخونته، أسئلة حـساسة.. أسئلة محرجة.. أسئلة متطفلة، وليس أسئلة وضيعة أو جارحة للمشاعر، فقد كان الهدف هو إشعار ضيف البرنامج بالارتباك أو الحرج أو الضيق لا إهانته.

وانسجامًا مع فكرة البرنامج وهى إخـضاع الضيف لشىء أشبه بالتحقـيق، فقد أسمـينا الضيف «الضحيـة» ولِمَ يريد أى إنسان أن يكون الضحية؟ إغراء الظهور فى التليفزيون. فرصة الاعتراف ـ أو

Twitter: @alqareah

الكذب ـ أمام الكاميـرا وأمام الأقران بدلاً من الآباء، إلا أن الشك ساورنى فى إمكانية انطباق الأسباب المعتادة على ستار جيرل.

كـانت هنـاك ثلاث كـامـيـرات: واحـدة للـمـسـرح وواحـدة للمحلفين وشيكو. كانت شيكو كـاميرا اللقطات المقربة المحمولة. ووفقًا للسيد روبينو Mr. Robineau ـ مستشار مدرستنا ـ فقد توسل طالب اسمـه شيكو يومًـا لإدارة المدرسة لكى تسـمح له بأن يكون مصـوِّر اللقطات المقَّربة، فـأجرى له السيـد روبينو اختـبارًا، إلا أن شيكو كان نحيلاً لدرجة أنه انهار من ثقل الكاميرا، فأسندت المهمة لطالب آخـر وذهب شيكو لغـرفة التدرُّب على رفـع الأثقال. وفى العام التالى أصبح شيكو مفتول العضلات ولم تعد الكاميرا تشكل ثقـلاً يذكر على كـتفـه فحصل عـلى الوظيفـة وكان بارعًـا فيـها، وسميت الكامـيرا باسمه وكان يقـول: «نحن الاثنان شىء واحد». وعندما تخـرج شيكو، ظل اسـمه من بعده، ومن وقـتها أصـبحت كاميرا اللقطات المقربة ومشغلها وحدة واحدة تدعى شيكو.

زُوِّد كلٌ من مقدم البرنامج والضحيـة بميكروفون صغير بحجم عقلة الإصـبع مثبت بمشـبك فى الملابس، أما المحلفون فـقد أُعطوا ميكروفونًا يدويًا ليـتناقلوه فيما بينهم. وقبالة المسـرح كانت توجد

Twitter: @alqareah

غرفة التحكم (الكنترول) المصنوعة جدرانها من الزجاج العازل للصوت. هناك كنت أعمل وأنا مرتد سماعتين مثبتتين على الأذنين بعصابة مشدودة إلى الرأس وأشاهد شاشات المونيتور وأعطى تعليماتى بخصوص اللقطات. وقفت عند كتف المدير الفنى ـ أو Td ـ وكان جالسًا أمام لوحة أزرة ليضغط عليها وفقًا للقطات التى آمر بها. أيضًا كان هناك عاملو الجرافيكس والمؤثرات الصوتية فى غرفة التحكم، وتواجد السيد روبينو أيضًا بوصفه مراقبًا ومشرفًا بتكليف من إدارة المدرسة، إلا أن الطلاب قاموا بالعمل كله بصورة أساسية.

كانت مهمة كيفين هى التعريف بشخصية الضحية وتوجيه بضعة أسئلة افتتاحية وإضفاء بعض الحيوية والإثارة عندما يبطئ المحلفون، وكان المحلفون يوجهون أسئلة نمطية فى العادة مثل «هل يسبب لك قصر قامتك شعورًا بالضيق؟» «هل صحيح أنك تحب كذا وكذا؟» «هل تحب أن تكون وسيمًا؟» «كم مرة فى الأسبوع تأخذ دشًا؟».

كان الأمر كله مسليًا وترفيهيًا، وفى نهاية النصف ساعة المخصصة للبرنامج ومع نزول التترات على الشاشة وإذاعة الموسيقى المصاحبة لها، كانت أجواء من المشاعر الطيبة تخيم على

Twitter: @alqareah

المكان، وكنا جميعًا ـ الضحية وأعضاء هيئة المحلفين وطاقم العمل فى الاستديو ـ نختلط ببعضنا ونتحول إلى طلاب من جديد.

كنا نصور البرنامج بعد انتهاء اليوم الدراسى، ثم نذيعه فى نفس الليلة ـ وقت الذروة ـ على كابل محلى وكان حوالى عشرة آلاف منزل تشاهده، وأظهرت المسوح الخاصة بنا أن ما لا يقل عن 50% من الطلاب كانوا يشاهدون أى حلقه، وتفوقنا على معظم البرامج الكوميدية التليفزيونية الناجحة وتوقعنا أن تتخطى نسبة مشاهدى حلقة ستار جيرل 90%.

ولكنى سأفضى لكم بسر: كنت أتمنى ألا يشاهد أحد البرنامج.

ففى الشهر المنقضى منذ أن حددنا موعد إذاعة البرنامج، تراجعت شعبية ستار جيرل، واختفت القيثارات من قاعة الغداء، وأخذ المزيد والمزيد من الطلاب ينظرون لسلوكها فى التشجيع على أنه يسىء إلى فريق كرة السلة وسجله الرائع، وكنت أخشى أن تمتد صيحات الاستهجان الموجهة لها من الملعب إلى الاستديو، فيخرج البرنامج بصورة سيئة.

عندما جاءت ستار جيرل ذلك اليوم بعد انتهاء اليوم الدراسى، شرح لها كيفين كالمعتاد المطلوب منها بينما أخذنا ـ السيد روبينو

Twitter: @alqareah

وأنا ـ نتفقد المعدات والأجهزة. وعندما حضر المحلَّفون لم يهرجوا أو يؤدوا رقصًا نقريًا على المسرح كالعادة، بل اتجهوا إلى مقاعدهم مباشرةً، وكانت ستار جيرل هى من رقص رقصًا نقريًا هذه المرة، وأخذت تلوى فمها وقسمات وجهها أمام الكاميرات على سبيل الاستظراف بينما راح الفأر سينامون يلعق أنفها. كان كيڤين يبدو منشرحًا وفى أحسن حالاته، إلا أن وجوه المحلفين كانت متجهمة، وكانت هيلارى كيمبل بينهم، فازداد تشاؤمى سوءًا.

عدت إلى غرفة التحكم وأغلقت الباب، وفحصت الاتصالات بالكاميرات. كنا جاهزين. وجلس كيڤين وستار جيرل على مقعديهما، وألقيت أنا نظرة أخيرة خلال الزجاج الفاصل بين غرفة التحكم وبقية الاستديو، وكان مفروضًا أن أشاهد العالم من خلال أربع شاشات مونيتور خلال النصف ساعة التالية. هتفت قائلاً: «حسنًا سنبدأ الآن على بركة الله». وقطعت الاتصال عن ميكروفون الاستديو. ونظرت إلى زملائى فى غرفة التحكم وقلت: «هل نحن جاهزون؟» فأومأ الجميع برءوسهم.

هنا رفعت ستار جيرل أحد المخالب الأمامية للفأر سينامون ولوحت به لغرفة التحكم قائلة بصوت حاد: «مرحبًا يا ليو».

Twitter: @alqareah

تجـمدت فى مـكانى وتراخت أعـصابي، فلم أكـن أعرف أنهـا تعرف اسمى، ووقفت هناك كالأبله، وأخيراً هززت أصابعى للفأر وقلت «مرحبًا يا سـينامون»، برغم أنهما لم يستطيـعا سماعى على الجانب الآخر من الزجاج.

أخذت نفسًا عميقًا ثم قلت: «حسنًا فلتبدأ المقدمة الموسيقية».

كـانت تلـك هى اللحظـة التى عـشت من أجـلهـا.. إطلاق البرنامج. كنت المدير .. المايسـترو.. القائد .. وأنا أشـاهد البرنامج يتـحـقق وفـقًـا لأوامرى علـى شاشـات المونيـتـور أمـامى. إلا أن شعـورى بالإثارة كان مـفقوداً فى ذلك اليـوم، وحل محله شـعور غامض بالخوف.

«أهلاً ومرحبًا بكم فى برنامج المقعد الساخن ..»

بدأ كـيـڤـين يقول مـا يقوله عـادةً فى بداية كل حلقة. لقـد كان كيـڤين يحب الوقوف أمام الكامـيرا وكان مقدمًا مثـاليًا لهذا النوع من البرامج بابتسامته المتكلفة وحاجباه المرفوعان وكأنه يقول: «هل سمعتك حقًا تقول ذلك؟»

استدار كيـڤين نحو ستار جيرل ثم مـد يده بعفوية ومسح بيده على أنف سـينامون الذى كـان جاثمًـا على كتف الفـتاة. فـقالت: «هل تريد أن تحمله؟»

Twitter: @alqareah

نظر كيڤين نظرة المتسائل «هل ينبغى أن أفعل ذلك؟» ثم قال: «بالتأكيد».

قلت فى ميكروفون سماعتى رأسى:

«فلتستعد الكاميرا شيكو.. الفأر».

كنت أبدأ تعليماتى بكلمة «استعدوا» دائمًا.

اقتربت الكاميرا شيكو.

«شيكو».

ضغط المدير الفنى على الزر الخاص بالكاميرا شيكو، فتابعت الكاميرا الفأر سينامون وهو ينتقل من يدى ستار جيرل إلى يدى كيڤين، وما أن استقر الفأر فى حجر كيڤين حتى جرى صاعدًا على صدره ودخل بين زرين فى قميصه، فأخذ كيڤين يعوى ويقول: «إنه يخمشنى!».

فقالت ستار جيرل بنبرة هادئة: «إن لديه أظافر أصابع ولن يؤذيك».

صورت الكاميرا شيكو الفأر سينامون وهو يطل برأسه من الفتحة الموجودة بين الزرين، ورفع السيد روبينو إبهامه أمام وجهى.

Twitter: @alqareah

نظر كيفين إلى الكاميرا وكأنه يقول لها «ألست ممتازًا» ثم تحول إلى ستار جيرل وقال لها: «أتعلمين.. منذ أن ظهرت فى المدرسة هذا العام ونحن نرغب فى وضعك على المقعد الساخن».

حدقت فيه ستار جيرل ثم استدارت نحو كاميرا البث المباشر، وأخذت عيناها تتسعان..

كان هناك شيء يحدث.

... أكثر وأكثر..

صحت: «شيكو!»

فاقتربت الكاميرا شيكو. عظيم. قلت:

«اقترب أكثر.. أكثر».

أصبحت عينا ستار جيرل الفزعتان تملأن الشاشة عمليًا، وفحصت أنا الشاشة الخاصة باللقطات الطويلة. كانت الفتاة متجمدة.. متصلبة وكأن الكرسى صعقها بتيار كهربائى.

نقر أحدهم كتفى فاستدرت. كان السيد روبينو يضحك ويقول شيئًا رفعت إحدى السماعتين الموضوعتين على أذنى، فكرر ما قاله: «إنها تمزح». هنا فهمت ما يجرى أمامى، كانت متقمصة دور

Twitter: @alqareah

الجالس فعلاً على المقعد الساخن وبدا لى من وجوه كيفين والمحلفين الخالية من التعبير أننى والسيد روبينو كنا الشخصين الوحيدين اللذين فهما المزحة.

بدأت يدا ستار جيرل ترتفع الآن عن ذراعى المقعد الساخن..

صحت «فلتستعد كاميرا واحد.. واحد!»

ركزت كاميرا واحد على يديها وهما تتركان ذراعى المقعد، وكانت أصابعها متباعدة عن بعضها، حتى خيِّل للمرء أن الدخان ينبعث من أطراف أصابعها..

قلت: «اثبت.. اثبت».

... وعندما اتجهت عيناها الفزعتان صوب جانب المقعد.. المقعد الساخن.. أبصرت ألسنة اللهب المرسومة على قوائمه..

اطلقت صرخة مدوية من حلقها أمالت مؤشرات الأجهزة وكأنها نخيل فى إعصار، وقفز الفأر خارج قميص كيفين، واهتزت الصورة التليفزيونية عندما أجفل مشغِّل كاميرا واحد ولكنه استرد الآن هدوءه وثبات أعصابه وصورها الآن وهى واقفة عند الحافة الأمامية للمسرح، وقد انحنت إلى الأمام جاعلة

Twitter: @alqareah

مؤخرتها قبالة الكاميرا وأخذت تحرك يدها خلفها وكأنها تحاول ترطيب مؤخرتها بالهواء البارد.

أخيراً فطن كيڤين إلى ما يجرى وجن جنونه.

«كاميرا واحد.. انتقلى إلى كيڤين.. استعداد.. واحد»

انفجر كيڤين فى الضحك حتى مال خارج مقعده وجثا على ركبتيه على المسرح، وملأت ضحكاته غرفة التحكم. جرى الفأر فوق يديه ونزل أسفل المسرح..

قلت صائحًا: «الفأر.. كاميرا اثنان.. صورى الفأر!»

إلا أن كاميرا (2) لم تستطع تصوير الفأر لأنه أخذ يدور حول قدمى مشغِّل الكاميرا فاندفع الأخير يجرى بعيداً عنها.

«شيكو.. الفأر!»

انبطح شيكو على الأرض وقدم للكاميرا على الهواء مباشرة لقطة ممتازة للفأر وهو يجرى فى اتجاه المحلفين والهرج والمرج الذى دب بينهم وهم يصعدون فوق مقاعدهم.

انس أمر التعليمات «بالاستعداد»، فقد كانت الأحداث تجرى بسرعة شديدة، وأخذت الكاميرات تتراقص وتتراقص معها

Twitter: @alqareah

الصور الظاهرة على شاشات المونيتور، وأخذت أصيح ملقيًا الأوامر، وراح المدير الفنى يضغط على لوحة أزراره كالمجنون.

يظل تمثيل ستار جيرل الصامت أفضل ما شاهدت فى حياتى، وظل السيد روبينو يضغط على كتفى فى هذه الأثناء، وقال فيما بعد إنه أعظم لحظة فى تاريخ برنامج المقعد الساخن.

إلا أنه بسبب ما حدث بعد ذلك، فالجمهور لن يشاهده أبدًا.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث عشر

فى أقل من دقيقـة، عاد كل شىء إلى طبيعته، واسـتردت ستار جيرل الفأر سـينامون وجلست فى مقعدها فى برود وكـأن شيئًا لـم يحدث. والتمـعت عينا كـيڤـين وبدا أنه يتحـرق شوقًا لاسـتئناف الحوار وكذلك المحلفون إلا أن عيونهم لـم تكن تلمع.

أجبر كيڤين نفسه على تكلُّف الجدية وقال «وإذا فاسمك ستار جيرل.. اسم غير مألوف بعض الشىء».

رمته ستار جيرل بنظرة خالية من التعبير.

فارتبك كيڤين وقال: «أليس كذلك؟».

هزت ستار جيرل كتفها وقالت: «ليس بالنسبة لى».

قلت لنفسي: إنها تستفزه» ثم قلت عبر ميكروفونى: «شيكو.. اثبت على وجهها».

سُمع صوتٌ آت من خارج كادر الكاميرا، فالتفت كيڤين نحو مـصدره، وكـان أحد أعـضاء هيـئة المحلفـين. قلت: «ميكروفـون للمحلفين.. استعدى يا كاميرا (2)». تم إعطاء الميكروفون لچنيفر سانت چون Jennifer St. John . «كاميرا (2)».

Twitter: @alqareah

بدا الميكروفون كـقمع أيس كريم أسـود أمام وجه چنيـفر. ولـم يكن صوتها لطيفًا. «وما عيب الاسم الذى سمَّاك به أبواك».

استدارت ستار جيرل ببطء ناحية چنيفر وابتسمت. «لا شيء.. لقد كان اسمًا لطيفًا».

«وماذ كان؟»

«سوزان Susan».

«ولم تخليت عنه؟»

«لأننى لم أعد أشعر أننى سوزان».

«ولذا فـقـد تخليت عن اسم سـوزان وسـميـت نفسك سـتـار جيرل».

«كلا» قالتها وهى لا تزال مبتسمة.

«كلا؟»

«بوكيت ماوس (*) Pocket Mouse»

جحظ 12 زوجًا من العيون.

(*) معنى هذا الاسم بالعربية فأر الجيب.

Twitter: @alqareah

«ماذا؟»

قالت ستار جيرل: لقد أسميت نفسي بوكيت ماوس ثم ماد باي(*) Mudpie، ثم هالي جالي Hullygully ثم ستار جيرل(**).

خطف ديمون ريتش Damon Ricci الميكروفون من يد چنيفر سانت چون وقال: «وإذاً ماذا سيكون اسمك التالي؟ دوج تيرد Dog Turd(***).

قلت لنفسي: «ها قد بدأت الأمور تسخن».

تدخل كيڤين قائلاً: «وإذا أنتِ تغيرين اسمك كلما شعرت بالملل منه؟»

«عندما لا يعود مناسبًا لي، فأنا لست اسمي، فاسمي شيء أرتديه كالقميص، فإذا ما أصابه البلى أو أصبح مقاسه صغيراً عليَّ؛ غيَّرته».

«ولماذا ستار جيرل؟»

(*) معني هذا الاسم بالعربية فطيرة الطين.

(**) الترجمة العربية لهذا الاسم هي فتاة النجوم.

(***) الترجمة العربية لهذا الاسم هي روث الكلاب.

Twitter: @alqareah

«أوه لا أعرف». مسحت ستار جيرل على أنف سينامون بطرف أصبعها، ثم أردفت قائلة: «كنت أسير فى الصحراء ذات ليلة وأنظر إلى السماء» ثم ضحكت ضحكة نصف مكبوتة وقالت «كيف يمكن ألا تنظر إلى السماء! ـ ثم شعرت أنه سقط فوقي».

رفع كيفين رأسه عن ورقة الأسئلة المعدة مسبقًا وقال: «وما رأى والديك؟ هل هما حزينان لأنك لم تحتفظى باسم سوزان».

«كلا.. لقد كانت تلك هى فكرتهما تقريبًا. فعندما بدأت أطلق على نفسى اسم بوكيت ماوس حينما كنت صغيرة، أخذا ينادياني بهذا الاسم أيضًا وظللنا على هذه الحال».

جاء صوت آخر بعيد من ناحية المحلفين.

خاطبت مهندس الصوت قائلاً: «ميكروفون المحلفين وابق كل الميكروفونات مفتوحة» لم أكن أرغب أن أفعل ذلك.

كان المتكلم هو مايك إبرسول Mike Ebersole

«كنت أقول هل تحبين بلادك؟»

أجابت ستار جيرل على الفور: «نعم.. وهل تحبها أنت؟»

تجاهل إبرسول سؤالها: «لماذا لا تؤدين قسم الولاء بشكل صحيح؟»

Twitter: @alqareah

فابتسمت وقالت: «من وجهة نظرى أنا أؤديه بشكل صحيح».

«من وجهة نظرى أنتِ خائنة».

كان مفروضًا بالمحلفين أن يطرحوا أسئلة فقط لا أن يعلقوا أو يبدوا آراءهم.

امتدت يدٌ إلى الصورة ونزعت الميكروفون من يد إبرسول، ثم ظهر وجه بيكا رينالدى Becca Rinaldi على كاميرا (2). «لماذا تهتفين مشجعة الفريق المنافس؟»

بدت ستار جيرل مستغرقة فى التفكير. «أظن أن السبب هو أننى فتاة تشجيع».

قالت بيكا: «أنت لست فتاة تشجيع وحسب أيتها الدجاجة الغبية، فالمفروض أن تكوني فتاة تشجيعنا.. فتاة تشجيع فريق ميكا».

نظرت إلى السيد روبينو، فوجدته قد ابتعد عن شاشات المونيتور ووقف يحدق إلى المسرح خلال زجاج غرفة التحكم.

كانت ستار جيرل مائلة بجسمها إلى الأمام وتنظر بجدية إلى بيكا رينالدى، وبدا صوتها كصوت بنت صغيرة: «عندما يحرز

Twitter: @alqareah

الفريق المنافس نقـطة وترين السعادة باديةً على كل مـشجعـيه، ألا يشعرك ذلك بالسعادة أيضًا؟»

ردت بيكا بصوت أجش: «كلا».

«ألا تشعرين عندئذ بالرغبة فى مشاركتهم فرحتهم؟»

«كلا»

«ألا ترغبين أبدًا فى أن يكون الفريق الآخر سعيدًا أيضًا؟»

«كلا»

بدت الدهشة الصادقة على وجـه ستار جيرل. «أنت تريدين أن تكوني الفائزة دائمًا.. أليس كذلك؟»

ردت بيكا: «نعم أريد.. نعم أريد أن أكون الفـائزة دائمًا.. هذا ما أفعله.. أهتف مشـجعةً فريقنا لكى يفوز. هذا ما نفعله جـميعًا» ثم بسطت ذراعها ولوحت به أمـامها وقالت: «نحن جميـعًا نهتف تشجـيعًا لفريق مـيكا» ثم أشارت بأصبـعها نحو المسرح وقالت: وأنت لمن تهتفين مشجعةً؟»

ترددت سـتـار جيـرل قليـلاً ثم ابتـسـمت وقـالت: «أنا أهتف مشجعة الجميع!»

Twitter: @alqareah

هنا هب كيڤين لنجدتها وصفق بيديه. «حسنًا.. ما رأيكم فى ذلك؟» ربما ينبغى أن يصبح تقليداً رسميًا.. ربما ينبغى تعيين شخص واحد فى المقاطعة ليكون (ولوح بذراعه) فى جانب الجميع!.

مدت ستار جيرل يدها وضربت ركبة كيڤين. «يمكنها وضع الحرف الخاص بكل مدرسة على كنزتها!»

ضحك كيڤين. «سوف يتعين عندئذ أن تكون كبيرة بحجم منزل!»

هوت ستار جيرل بيدها على ركبتها. «ثم لا حروف على الإطلاق، وهذا أفضل».

«فتاة تشجيع للمجتمع بأسره!»

«فتاة تشجيع كل إنسان!»

جلس كيڤين منتصبًا ساكنًا، واضعًا يده على قلبه وقال: «بالحرية والعدالة.. وفتاة مشجعة لكل الناس».

فصاح إبرسول فى ميكروفون المحلفين: «بل قل فتاة مجنونة تشجع كل الناس».

Twitter: @alqareah

هنا هز كيفين أصبعه معترضًا وقال: «هذا غير جائز.. لا آراء أو تعليقات من المحلفين. فقط أسئلة».

خطف رينيه بوزمان الميكروفون ثم قال: «حسنًا.. إليك سؤال. لم توقفت عن تلقى تعليمك بالمنزل؟»

هنا بدت الجدية على وجه ستار جيرل وقالت: «لأننى أردت أن أعقد صداقات».

«حسنًا.. لا شك أن لك طريقة غريبة لإظهار ذلك، فقد أثرت سخط المدرسة كلها عليك».

فى هذه اللحظة تمنيت لو أننى لم أوافق على استضافة ستار جيرل فى برنامج «المقعد الساخن».

«اعطنى إياه» قالتها جنيفر سانت جون وهى تمد يدها نحو الميكروفون. «وخارج المدرسة أيضًا، فأنتِ تتدخلين فى شئون الجميع وتدسين أنفك فيما لا يعنيك سواء دعيت إلى ذلك أو لا. لم تفعلين ذلك؟»

لم تحر ستار جيرل جوابًا، واختفى التعبير الشيطانى المرتسم على وجهها عادةً. نظرت إلى جنيفر ثم نظرت نحو الكاميرا

Twitter: @alqareah

وكأنها تحاول العثور على إجابة فى عدساتها، ثم نظرت بعيداً نحو غرفة التحكم. أبعدت عينى عن شاشة المونيتور وللحظة خُيِّل إلى أن عينى التقت بعينيها عبر نافذة غرفة التحكم.

كنت أتساءل متى ستتكلم هيلارى كيمبل والآن فعلت. «سأقول لك شيئًا يا فتاة.. أنتِ حمقاء مجنونة». كانت هيلارى واقفة تهز أصبعها فى وجه ستار جيرل وتكاد تبتلع الميكروفون. «لا بد وأنك أتيت من كوكب المريخ أو شىء من هذا القبيل..». رفع كيفين يده بخوف. «لا تقل لى لا آراء ولا تعليقات شخصية يا كيفين. هل أتيت من كوكب المريخ أو شىء من هذا القبيل؟ الآن أصبح سؤالاً. لم لا تعودين من حيث أتيتِ؟ وهذا سؤال آخر».

ملأت عينا ستار جيرل الشاشة، فوجدت نفسى أقول: «أرجوك لا تبكِ».

واصلت هيلارى هجومها الشرس بلا هوادة. «هل تريدين الهتاف تشجيعًا للمدارس الأخرى؟ لا بأس! اذهبى هناك! لا تأتى إلى مدرستى.. اخرجى من مدرستى!».

بدأت أيدٍ أخرى تتخطف الميكروفون.

Twitter: @alqareah

«إننى أعلم ما هى مشكلتك. كل هذه الأفعال الغريبة التى تأتين بها؟ إنها فقط لجذب الانتباه».

«إن الهدف منها الحصول على صديق!»

ضحك المحلَّفون. كانوا جماعة من الدهماء. وأخذت الأيدى تتخاطف الميكروفون، ونظر كيفين إلىَّ فى قلق وحيرة. لم أستطع أن أفعل شيئًا. برغم كل ما كان موضوعًا تحت تصرفى من أزرار ومفاتيح تحكم، إلا أننى كنت عاجزًا عن تغيير أى شىء عند الجانب الآخر من الزجاج.

«لدى سؤال بسيط لك. ما خطبك؟ هه؟ هه؟»

«لم لا تكونين طبيعية؟»

«لم تريدين أن تكونى مختلفة للغاية؟»

«بلى - هل بنا علةٌ ما؟ حتى تضطري أن تكوني مختلفة هكذا؟»

«لم لا تضعين مكياچًا على وجهك؟»

كانوا جميعًا واقفين الآن، يلوحون بأيديهم فى الهواء ويصيحون فى الميكروفون سواء أكان معهم أم لا.

Twitter: @alqareah

«إنك لا تحبيننا.. أليس كذلك؟»

هنا أغلق السيد روبينو المفتـاح المفصلى الكهربائى الرئيسى فى لوحة التحكم وقال: «يكفى هذا».

وأغلقت أنا مفتاح التحكم فى الصوت بالاستديو قائلاً: «يكفى هذا.. لقد انتهى البرنامج».

واستمر المحلَّفون يصيحون.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع عشر

كان مـا حدث بداية فتـرة تلوح غائمة ضـبابيـة فى ذهنى كلما حاولت تذكـرها، فالوقائع تتـدافع وتندمج مع بعضهـا والأحداث تتـحول إلى مـشاعـر والمشاعـر تصـبح أحداثًا. إن القلب والعـقل مؤرخان متناقضان.

لم تتم إذاعة حلقة (المقعـد الساخن) أبدًا و أتلف السيد روبينو الشريط، إلا أن ذلك لم يحل بالطبع دون انتشار أخبار ما جرى فى البرنامج لحظة بلحظة. والحقيـقة أن معظم الطلاب علموا بما جرى ما أن حضروا إلى المدرسة فى صباح اليوم التالى.

كل مـا أتذكـره عن تلك الفـتـرة حيـنما تكـشَّفت التـفـصـيلة الأخـيرة، هو أنهـا كـانت فتـرة مـشحـونة بالهـمسـات والانتظار والترقب والتوتر. مـاذا سيحدث الآن؟ هل سيمتـد عداء المحلفين الصريح إلى الفصول؟ كيف سيكون رد فـعل ستار جيرل؟ كانت الإجابات متـوقعة فى اليوم التالى.. عـيد القديس ڤالانتـاين (عيد الحب). فـفى العطلات السابقـة ـ عيـد جمـيع القديسـين، وعـيد الشكر، وأعياد الكريسماس ـ كانت ستار جـيرل تترك شيئًا صغيراً على مكتب كل طالب فى فصلها، فهل ستفعل ذلك هذه المرة؟

Twitter: @alqareah

كانت الإجابة هى: نعم، فقد وجد كل طالب فى الفرقة 17 قلبًا مصنوعًا من الحلوى على مكتبه فى ذلك الصباح.

كان من المقرر أن تقام مباراة فى كرة السلة مساء ذلك اليوم.. هذا ما أتذكره. أكبر مباراة فى السنة. وكان فريق إليكترونز قد فاز فى كل مباريات الموسم، إلا أن الموسم الثانى كان يوشك أن يبدأ: المبارايات الفاصلة. أولاً المقاطعات ثم الأقاليم وأخيرًا دورة الولاية. لم نستطع أبدًا الوصول إلى دورة المقاطعات، إلا أن رؤى البطولات تتراقص الآن فى أذهاننا ـ فريق إليكترونز بطل ولاية أريزونا بأسرها! ما كنا لنقبل بشىء أقل من ذلك.

كانت العقوبة الأولى فى طريقنا هي فريق صن فالى بطل دورى بيما، وجرت المباراة مساء عيد الحب على ملعب محايد فى كازا جراند. وبدت ميكا وكأن جميع أهلها غادروها وتوجهوا لحضور المباراة. وذهبت ـ كيفين وأنا ـ فى السيارة البيك أب.

منذ اللحظة التى دخل فيها مشجعوا ميكا الصالة الرياضية، هزت هتافاتنا أركان الصالة. وأخذ حرف M الأخضر الكبير المطبوع على كنزة ستار جيرل البيضاء يتلوى فيما راحت هى تدور

Twitter: @alqareah

وتقفز مع فتيات التشجيع الأخريات. وأثناء المباراة توزع انتباهى بنفس القدر بين مشاهدتها ومشاهدة المباراة. ولاحظت أنها كانت تهتف تشجيعًا كلما أحرز فريقنا نقطة، أما عندما كان فريق صن ڤالى يحرز نقطة، لم تكن تفعل ذلك فداخلنى شعور بالارتياح.

لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد كان الفريق الآخر متقدمًا علينا. للمرة الأولى خلال السنة كلها، كان الفارق فى النقط كبيراً بيننا وبينهم فى نهاية الربع الأول، فقد كانت النتيجة 21-9. ولم يكن السبب غامضًا، فبرغم أن فريق صن ڤالى لم يكن قويًا كفريقنا، إلا أنه كان يمتلك شيئًا ليس لدينا: سوبر ستار.. لاعب اسمه رون كوڤاك. كان طوله ستة أقدام و8 بوصات (يكاد يكون 7 أقدام!) وكان يحرز ثلاثين نقطة فى المتوسط فى المباراة الواحدة، وبدا لاعبونا الخمسة أقزامًا بجانبه؛ «مثل داود النبي أمام جوليات الجبار».

كان فارق النقط بيننا وبين صن ڤالى قد اتسع حتى وصل إلى 19 نقطة فى منتصف الربع الثانى. وعقدت الصدمة ألسنة مشجعينا فلبثوا واجمين صامتين، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان. كانت الكرة موجودة بمفردها فى منتصف الملعب، فانقض عليها العديد من لاعبى كل فريق لاقتناصها. وفى تلك اللحظة كان كوڤاك

Twitter: @alqareah

يجرى محاولاً تحاشيهم، فتعثرت قدمه اليمنى فى حذاء أحد اللاعبين المنبطحين على الأرض ـ هذا ما نشر فى صحف اليوم التالى. أما وقتها فقد حدث كل شيء بسرعة شديدة بحيث لم يستطع أحد رؤيته، وإن كان أناس عديدون قالوا أنهم سمعوا صوت تشقق يشبه صوت كسر غصن شجرة، وكل ما نعرفه هو أن اللاعب العملاق سقط على الأرض وهو يتلوى من الألم ويصرخ وأن قدمه اليمنى بدت فى حالة سيئة، وأن لاعبي فريق صن ڤالى هرعوا إليه، إلا أنهم لم يكونوا أول من فعل ذلك فقد سبقتهم إليه ستار جيرل.

وبينما جلست فتيات تشجيع كوڤاك على الدكة الخاصة بهن، فاغرات الأفواه ومصدومات، جثت ستار جيرل على ركبتيها فوق أرضية الملعب الخشبية، ووضعت رأسه فى حجرها فيما راح الآخرون يعتنون بالساق المكسورة. وجعلت تمسح على وجهه وجبهته بيدها، وبدت وكأنها تقول له شيئًا. وعندما حملوه إلى خارج الملعب على محفة، تبعتهم، ووقف الجميع ـ من الجانبين ـ وصفقوا. وقفزت فتيات التشجيع وكأنه أحرز لتوه نقطتين. ولاح وميض أضواء سيارة الإسعاف خلال النوافذ العالية.

Twitter: @alqareah

كنت أعلم لماذا أصفق، ولكننى تساءلت عن السبب الذى دفع بعض مشجعى ميكا الآخرين إلى ذلك. هل وقفوا احترامًا وتقديراً له حقًا أم لأنهم كانوا سعداء بخروجه من الملعب؟

استؤنفت المباراة، وعادت ستار جيرل إلى دكة فتيات التشجيع. بدون كوڤاك أصبح فريق صن ڤالى ضعيفًا هشًا، وفى بداية النصف الثانى تقدمنا عليهم وفزنا عليهم فى النهاية بسهولة.

بعد ذلك بيومين، خسرنا أمام فريق جليندل. فى هذه المباراة أيضًا تقدم علينا الفريق المنافس بفارق نقط كبير أثناء الشوط الأول، إلا أننا لم نستعد توازننا فى الشوط الثانى هذه المرة، فقد واجه فريق إليكترونز خمسة لاعبين أفضل منه لا لاعبًا واحداً. هذه المرة لم يصب أحد لاعبى الفريق المنافس بكسر فى كاحله، وإن كنت متأكداً أن بعضنا تمنى فى سره أن يحدث ذلك من شدة اليأس.

كنا مصدومين ولم نستطع تصديق ما حدث، ثم صدقنا عندما اقترب الربع الرابع من نهايته. كانت الهتافات المدوية فى أرجاء الصالة الرياضية سهامًا متدافعة اخترقت وهمنا الكبير. كيف كنا بهذا الغباء؟ هل اعتقدنا حقًا أن فريق بلدة ميكا الصغيرة ـ الذى

Twitter: @alqareah

لم يهزم فى دورى الدرجة الثالثة الخاص بها ـ يمكنه أن يقف فى وجه فرق المدن الكبيرة فى الولاية؟ لقد انسقنا وراء أوهام وتوقعات عظيمة حمقاء.. كنا مخدوعين. غرَّنا الشعور الرائع بالانتصار فاعتقدنا أن الفوز هو قدرنا.

والآن..

حينما أنزل مدرب جليندل البدلاء ليجهزوا علينا، بكت بنات ميكا، وأخذ الصبيان يلعنون ويطلقون صيحات الاستهجان، وأنحى البعض باللوم على المسئولين، أو على الشبَاك، أو الأضواء، لكن فتيات التشجيع واصلن التشجيع.. وهذا ما يحسب لهن. نظرن إلينا فى المدرجات بأعين تملؤها الدموع ووجنات سالت عليها «الماسكرا» السوداء، ورحن يلوِّحن بأذرعهن ويصحن ويفعلن كل ما يفترض أن تفعله فتيات التشجيع، لكن إيماءاتهن كانت بلا روح.. بلا قلب.

إلا ستار جيرل. رحت أرقبها ببصر حاد فوجدتها مختلفة. فقد كانت وجنتاها جافتين، ولم يكن هناك بحة فى صوتها ولم يكن كتفاها متهدلين. منذ بداية النصف الثانى وحتى نهايته لم تجلس على الإطلاق ولم تنظر إلى المباراة بل جعلت ظهرها إلى الملعب،

Twitter: @alqareah

ووقفت في مواجهتنا نحن ولم تلق بالاً على الإطلاق إلى هتافات الانتصار التي كانت تدوى فى أرجاء الصالة الرياضية. كنا مهزومين بفارق 30 نقطة ولم يبق سوى دقيقة واحدة على انتهاء المباراة، ورغم ذلك أخذت تهتف مشجعةً وكأن ثمة فرصة فوز لا زالت سانحة أمامنا. كانت عيناها تشعان عناداً وتصميمًا لم أر مثله من قبل، وأخذت تهز قبضتي يديها في وجهنا وكأنها تريد أن تخرجنا من الغم والاكتئاب الذي كان يجثم على صدورنا.

وعندئذ تخضب وجهها بالدماء.

كان أحد لاعبى فريق جلينديل قد أسقط الكرة فى السلة لتوه، ودق كيفين ركبتى بقبضة يده فنظرت وشاهدت وجه ستار جيرل وقد تحول إلى قناع دموى، فنهضت وصرخت «كلا .....!»

ولكنه لم يكن دمًا، بل كان طماطم، فقد رشقها أحدهم بثمرة طماطم ناضجة، وعندما انتهت المباراة وتدفق مشجعوا فريق جلينديل إلى أرض الملعب، ظلت ستار جيرل متسمرة فى مكانها وعيناها الواسعتان تحدقان إلينا خلال عصير الطماطم الأحمر فى ذهول تام، فانفجر بعضنا فى ضحك مرير، وصفق البعض الآخر.

Twitter: @alqareah

فى صباح اليوم التالى، عثرت على البطاقة. كانت فى دفتر مدرسى يبدو أننى لم أفتحه منذ عدة أيام، وكانت البطاقة خاصة بعيد الحب.. واحدة من النوع الذى يصنعه تلاميذ الصف الثالث باستخدام رسومات من النوع الذي يطلق عليه قطع ولصق. وكان مرسومًا عليها ولد وبنت صغيران متوردا الوجنات وبينهما قلب أحمر كبير والكلمات التالية: «أنا أحبك». وكما يفعل تلاميذ الصف الثالث الابتدائى ـ وطلاب المدارس الثانوية العليا ـ غالبًا، فقد وقَّع المرسِل بالرمز:

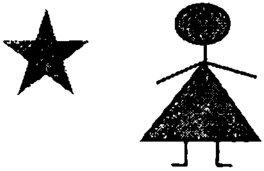

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس عشر

أعطت ستار جيرل بطاقة للجميع.. هذا ما ظننته فى البداية.

وعندما رأيت كيڤين فى المدرسة، كنت على وشك أن أسأله ولكننى تراجعت. وانتظرت حتى فترة الغداء، وحاولت أن أبدو لا مبال، وأن أتطرق للموضوع وسط الحديث عن الشيء الوحيد الذي كان مهمًا في ذلك اليوم. وكانت المدرسة فى ذلك اليوم فى حالة من الحزن والحداد بسبب المباراة وهزيمة فريقنا فيها، والطماطم، ولا حديث لها إلا هذا الموضوع. قلت لكيڤين وكأن الحديث عن ستار جيرل جاء بالصدفة وبصورة طبيعية: «هل حصلت على بطاقة؟»

نظر إلىَّ نظرة غريبة وقال لى: «لقد أعطت بطاقات لزملائها فى الفصل. هذا ما سمعته».

«نعم هذا ما سمعته أنا أيضًا. ولكن أكان هذا كل شىء؟ أعنى هل أعطت بطاقات لبقية الطلاب فى المدرسة؟»

فهز كتفه وقال: «ليس لى. لماذا؟ هل أعطتك واحدة؟»

كان يجيل بصره فى أرجاء قاعة الغداء، وهو يقضم شطيرته، ولكنى شعرت أنه يستجوبنى بقسوة. هززت رأسى وقلت: أوه.. كلا.. لقد كنت أتساءل فقط».

Twitter: @alqareah

فى الحقيقية كنت جالسًا على البطاقة، فقد كانت فى الجيب الخلفى فى بنطلونى الجينز. فى الوقت نفسه كانت كل العيون فى قاعة الغداء متجهةً نحو ستار جيرل. أعتقد أننا توقعنا بنسبة 50% أن نرى آثار الطماطم الحمراء لا تزال عالقة بوجهها. جلست إلى مائدتها المعتادة مع دورى ديلسون وبضع صديقات أخريات، ولكنها بدت فاترة الهمة وحزينة، فلم تعزف على قيثارتها ولم تلاعب فأرها، بل تناولت طعامها وتحدثت مع الفتيات الجالسات إلى مائدتها فقط.

وقرب نهاية فترة الغداء، نهضت ولكنها لم تتجه مباشرة إلى باب الخروج، بل اتجهت نحو مائدتى، ففزعت ونهضت بسرعة والتقطت أغراضى وقلت «يجب أن أذهب»، وتركت كيفين، وعلامات الدهشة بادية على وجهه وانطلقت بعيدًا، إلا أننى لم أكن سريعًا بما يكفى، ففى منتصف المسافة الفاصلة بينى وبين الباب جاءنى صوتها من الخلف: «مرحبًا يا ليو». فشعرت بسخونة فى وجهى. كنت واثقًا أن كل العيون مصوبة نحوى، وأن بإمكانها جميعًا أن ترى البطاقة الموجودة فى جيبى، فتظاهرت بأننى أنظر إلى الساعة.. تظاهرت أننى تأخرت على شىء ما، وأسرعت بالخروج من قاعة الغداء.

Twitter: @alqareah

قبعت فى الظل بقية اليوم، وذهبت إلى المنزل مباشرة بعد انتهاء اليوم المدرسى، ومكثت فى غرفتى ولم أغادرها إلا لتناول العشاء. وقلت لأبى وأمى أن لدى مشروعًا سأعمل فيه. رحت أذرع الغرفة ذهابًا وجيئة، واستلقيت على سريرى وحدقت فى السقف، وحدقت خارج النافذة، ووضعت البطاقة على مكتبى ثم التقطتها وقرأتها وقرأتها وقرأتها، واستعدت قولها «مرحبًا يا ليو» فى ذهنى مرارًا وتكرارًا، ورحت أرشق اللوح الفلينى المعلق خلف باب حجرتى بالسهام المريشة، فصاح بى أبى قائلاً: «ما هو مشروعك.. السهام المريشة؟». خرجت من المنزل ورحت أتجول بالسيارة البيك أب ودخلت بها الشارع الذى تقطن فيه، وعند آخر تقاطع قبل منزلها استدرت.

ظللت لساعات مستلقيًا على سريرى فى ضوء القمر، وصوتها يأتينى من الليل.. من الضوء.. من النجوم.

مرحبًا يا ليو.

فى الصباح ـ وكان يوم سبت ـ ذهبنا (كيفين وأنا) معًا إلى آرتشى لحضور الاجتماع الأسبوعى لجماعة العظام الحجرية. كنا

Twitter: @alqareah

15، وارتدينا جميعًا قلائدنا المصنوعة من العظام. وأراد أرتشى مناقشة الجمجمة التى يعود تاريخها إلى فجر الحياة الحديثة (أى العصر الحديث السابق) والتى كان يحملها فى يده، إلا أن الشىء الوحيد الذى استطاع كل الآخرين التكلم عنه كان المباراة، وعندما أخبروا آرتشى بأمر ثمرة الطماطم، ارتفع حاجباه، ولكن فيما عدا ذلك لم تتغير قسمات وجهه. فاعتقدت أنه يعلم بالفعل.

قضى آرتشى الجلسة بأسرها بتلك الطريقة، وهو يومئ برأسه ويبتسم ويرفع حاجبيه، ولا بد أن شعورنا بخيبة الأمل ومرارة الهزيمة سرى إليه. كان قليل الكلام للغاية، وفى النهاية نظر إلى الجمجمة الموجودة فى حجره وربَّت عليها وقال: «حسنًا.. هذا الإنسان خسر مباراته أيضًا. ظل يفوز عشرة ملايين سنة أو نحو ذلك، لكن الحشائش المبكرة أخذت تنمو حوله ووجد نفسه فى دورى مختلف. وصمد فيه قدر استطاعته وأحرز نقاطًا، لكن مستوى أدائه ظل يتراجع ويتراجع فى مواجهة فرق منافسة أفضل وأسرع وأكثر جدية. وفى مباراة البطولة، أُبيد فتانا، ليس فقط أنه لم يظهر فى المدرسة فى اليوم التالى، بل لم يظهر بالمرة، ولم يره أحد بعد ذلك أبدًا».

Twitter: @alqareah

رفع آرتشى الجمـجمة ـ التي فى حـجم جمجمـة ثعلب ـ حتى جاورت وجهه . ومرت دقيقة لم يقل فـيها شيئًا، وشرد كلٌ منا فى خاطره.. وجوه تحملق فى وجوه تحـملق فى وجوه.. وجوه عمرها عشـرات الملايين من السنوات فى غرفـة معـيشة فى مكـان يُسمى أريزونا.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل السادس عشر

الاثنين.. الغداء

هذه المرة، ظللت جالسًا فى مكانى عندما أقبلت ستار جيرل نحو مائدتى فى طريقها إلى الخروج من قاعة الطعام. وكان ظهرى لها. ورأيت عينا كيفين تتبعانها وتتسعان كلما اقتربت منى، ثم توقفت عيناه وبدأت ابتسامة خبيثة ترتسم على شفتيه، وبدا أن كل شىء توقف إلا صوت قعقعة الأوانى المعدنية فى المطبخ، وشعرت بسخونة فى قفاى.

«على الرحب والسعة» سمعتها تقولها بنبرة أقرب إلى الغناء.

قلت لنفسى «ماذا؟» ثم عرفت ما كان ينبغى علىّ أن أفعله.. عرفت أنه لا بد أن أستدير وأتحدث إليها وعرفت أنها ستظل واقفة هناك إلى أن أفعل. كان خوفى منها عملاً سخيفًا صبيانًا، فما الذى كنت أخشاه على أية حال؟

استدرت وشعرت أننى ثقيل وكأننى أتحرك فى الماء.. وكأننى أواجه شيئًا أكثر بكثير من مجرد فتاة فى الصف العاشر لها اسم غريب. واجهت زهرة عباد الشمس الفاقعة اللون المرسومة على

Twitter: @alqareah

حقيبتها المصنوعة من نسيج الكنفاه ـ بدت مرسومة باليد ـ وأخيراً التقت عيناى بعينيها. قلت: «شكراً على البطاقة».

افتر ثغرها عن ابتسامة جعلت زهرة عباد الشمس تتوارى خجلاً من جمالها، ثم مضت بعيداً.

كان كيفين يبتسم ابتسامة عريضة ويهز رأسه: «إنها تحب».

قلت: «هراء».

«إنها غارقة فى الحب».

«إنها فتاة حمقاء بلهاء ليس إلا».

دق الجرس، فجمعنا أغراضنا وغادرنا القاعة.

ظللت أرتجف بقية اليوم. لقد كان تأثير ابتسامتها فى نفسى أعظم من أن يوصف. كنت فى السادسة عشرة من عمرى، وأثناء كل هذه السنوات كم ألف ابتسامة وجهت إلىّ؟ وإذاً لم شعرت أن هذه الابتسامة هى الأولى؟

بعد المدرسة حملتنى قدماى نحو فصلها، وكنت أرتعش ومعدتى مضطربة، ولم أكن أعلم ماذا سأفعل إذا رأيتها. كل ما أعرفه هو أننى لم أستطع منع نفسى من الذهاب إلى هناك.

Twitter: @alqareah

لم تكن هناك، فهرولت خـلال الردهات وجريت خارج المبنى، فشاهدت الطلاب يستقلون الحافلات والسيارات تدور محركاتها، ومئات الطلاب منتشرين هنا وهناك. لشهور طويلة كانت موجودة فى كل مكان، والآن ليست موجودة فى أى مكان.

سـمعت اسـمهـا.. اسمـهـا.. نـفس المقطعين ونفس الحـروف الثمـانية التى ما فـتئت أسمـعها طـول السنة، وفجأة قـرع الصوت سمـعى وكأنه رنـين فضـة خالصـة. اتجهت نحـو مصدر الـصوت لأسترق السـمع، وكانت مجمـوعة من الفتيـات يدردشن بالقرب من إحدى الحافلات.

«متى؟»

«اليوم بعد المدرسة.. الآن!»

«لا أصدق!»

«أنا لا أصدق أن الأمر استغرق كل هذه المدة».

«طردت؟ هل مسموح لهم بذلك؟»

«بالتأكيد.. ولم لا؟ فتلك ليست مدرستها.

«لو كنت مكانهم لطردتها منذ وقت طويل. تلك خيانة».

Twitter: @alqareah

«حمداً لله»

كنت أعرف عم يتحدثن، فقد سرت الشائعات خلال الأيام الماضية. لقد طردت ستار جيرل من فريق فتيات التشجيع.

«مرحبًا يا ليو!»

نادتنى جوقة من الأصوات الأنثوية، فاستدرت. كن أمام الشمس، فرفعت يدى أمام عينى لأحجب عنها أشعة الشمس، ثم غنين فى صوت واحد: «ستار بوى!» وضحكن، فلوحت لهن وأسرعت إلى المنزل. ما كنت لأعترف بذلك أبداً، ولكننى شعرت بسعادة بالغة.

كان منزلها يبعد عن منزلى مسافة ميلين، خلف مركز تسوق يضم 10 متاجر. وكان آرتشى قد أخبرنى بمكانه فمشيت. لم أرد الذهاب إلى هناك بالسيارة، بل أردت أن تكون رحلتى بطيئة.. أردت أن أشعر بنفسى أقترب خطوةً خطوة.. أن أشعر بالتوتر يتصاعد مثل الرغوة فى زجاجة صودا.

لم أكن أعرف ماذا سأفعل إذا رأيتها، بل كنت أعرف فقط أننى عصبى وخائف. كنت معتاداً عليها كتاريخ وليس كإنسانة، وفجأة

Twitter: @alqareah

استولت عليّ رغبة شديدة في معرفة كل شيء عنها. أردت أن أشاهد صورها وهي طفلة صغيرة.. أردت أن أشاهدها وهي تتناول طعام الفطور.. وهي تلف هدية.. وهي نائمة. منذ سبتمبر وهي مؤدية ـ فريدة وخارجة عن المألوف ـ على مسرح المدرسة العليا. كانت نقيض البرود ولم تخفِ شيئًا. من أول مكتبها المزين وأسلوبها في الإلقاء والخطابة إلى أدائها في ملعب كرة القدم، كانت واضحة وظاهرة للجميع، أما الآن فقد شعرت أنني لم أكن منتبهًا.. شعرت أن شيئًا ما قد فاتني.. شيئًا هامًا.

كانت تعيش في بالو فيردي. وبالنسبة لشخص مختلف إلى هذه الدرجة كان منزلها عاديًا بصورة تبعث على الدهشة، على الأقل بمقاييس ولاية أريزونا. كان مكونًا من طابق واحد ومبنيًا من الطوب اللبن الكالح ويعلوه قرميد أحمر. أما الفناء الأمامي الصغير فقد كان عارٍ تمامًا من العشب الأخضر ولم يوجد به إلا بعض شجيرات الصبار وأكوام من الحجارة.

كان الظلام قد حل ـ كما أردت ـ عندما وصلت إلى هناك، ورحت أذرع الجانب الآخر من الشارع ذهابًا وجيئة، وخطر ببالي أنه قد يُظن خطأً أنني أتجسس على المنازل وأصحابها، فسرت

Twitter: @alqareah

حول مجموعة المباني الموجودة والمتضمنة منزلها، ودلفت داخل مطعم روما ديليت لأتناول شريحة بيتزا، ولكنى أكلت نصفها فقط وأسرعت خارج المطعم. لم أستطع أن أسترخى ومنزلها غائب عن نظرى ولم أستطع الاسترخاء عندما كان على مرمى بصرى.

فى البداية كان يكفى أن أرى منزلها فقط، ثم بدأت أتساءل عما إذا كانت موجودة داخله، وتساءلت عما تفعله فى تلك اللحظة. كان الضوء ينبعث من كل نافذة استطعت رؤيتها، وكانت هناك سيارة فى الممر المؤدي إلى المنزل. وكلما مكثت بالقرب من المنزل كلما أردت الاقتراب أكثر وأكثر. عبرت الشارع ومرقت أمام المنزل، وفى هذه الأثناء التقطت حجراً من الفناء، ثم مضيت مسافة أبعد فى الشارع واستدرت ونظرت إلى منزلها على البعد.

همست إلى السماء المشبعة بالرذاذ الملحى وقلت: «هنا تعيش ستار جيرل كاراواى.. إنها معجبة بى».

درت على عقبى واتجهت نحو المنزل من جديد. وكان الشارع والرصيف خاليين من المارة، والحجر دافئًا فى يدى. هذه المرة مشيت ببطء وأنا أقترب، وداخلنى شعور غريب. تسمرت عيناى

Twitter: @alqareah

على مثلث من الضوء فى نافذة مسدلة الستائر، وشاهدت ظلاً على جدار أصفر، وبدا أننى أنجرف بلا قدمين نحو الضوء.

فجأة انفتح الباب الأمامى، فاختبأت خلف السيارة فى الممر الممتد بين الشارع والمنزل وجثمت بجوار حاجز الاصطدام الخلفى. ثم سمعت الباب يُغلق وسمعت وقع أقدام رافقته متوافقة حركة ظل طويل ساقط على الممر. توقف قلبى عن الخفقان، وتوقف الظل. هنا أحسست بشعورين متناقضين فقد أحسست بأننى مثير للسخرية، وبأننى فى مكاني المناسب، وكأن الجثوم بجوار تلك السيارة هو بالضبط ما ادخرته لى الحياة فى تلك اللحظة.

جاء صوتها من وراء الظل: «هل تذكر عندما تبعتنى إلى داخل الصحراء فى ذلك اليوم بعد المدرسة؟»

الغريب أننى ترددت فى الإجابة وكأننى إذا فعلت سأفضح نفسى. ملت نحو حاجز الاصطدام المعدنى الأملس ولم يخطر بذهنى قط أن أقف وأظهر نفسى. وبدا لى أن ساعات مرت قبل أن أقول فى النهاية : «نعم».

«لم استدرت وعدت أدراجك؟»

Twitter: @alqareah

قالتها بنبرة هادئة لا مبالية وكأنها معتادة على محادثة أشخاص يجثمون خلف السيارة فى الممر كل ليلة.

قلت: «لا أتذكر»

«هل كنت خائفًا؟»

«كلا».. لقد كذبت.

«ما كنت لأدعك تضل الطريق.. أنت تعلم ذلك».

«أعلم».

انفصل ظـل ضئيل عن الظل الأكـبر، وأقـبل نحوى وهو يهـتز على الممـر المفروش بالحـصبـاء. كان له ذيل.. لم يكن ظلاً.. لـقد كان الفأر سينامون. وقف الفـأر سينامون عند طرف إحدى فردتى حذائى الرياضى، نـاظرًا إلىَّ وواضعًا مـخالبه الأمـامية فـوق فردة الحذاء، وأخذ يحرك أنفه داخل الأربطة.

«هل بدأت تألف سينامون؟»

«نوعًا ما».

«هل تكذب؟»

«نوعًا ما».

Twitter: @alqareah

«هل تخاف من الفئران؟»

«نوعًا ما».

«هل تعتقـد أنى لطيفة؟ إذا قلت نوعًا ما سـأطلب من سينامون أن يعضك».

«نعم».

«نعم ماذا؟»

«أعتقد أنك لطيفة».خطر ببالى أن أضيف عبارة «نوعًا ما» على سبيل الدعابة، ولكننى لم أفعل.

«هل تعتقد أن سينامون لطيف؟»

كان الفأر قد صعد فوق فـردة حذائى تمامًا الآن، وشعرت بثقل جسمه، وأردت أن أرفسه بعيدًا، وكان ذيله متدليًا على الممر. قلت «لا تعليق».

«رباه.. هل سمعت ذلك يا سـينامون؟ لا تعليق. إنه لا يريد أن يعرف الناس أنه يراك لطيفًا».

قلت: «أعتقد أنك تبالغين قليلاً».

Twitter: @alqareah

قالت: «آمل ذلك بالتأكيد، فلا شيء أكثر متعة من الانسياق وراء العاطفة. هل تود أن يبيت معك سينامون الليلة؟ إنه يحب المبيت خارجًا».

«كلا شكرًا لك».

قالت: «أوه.. هل أنت متأكد؟ إنه لا يسبب أى متاعب، ويشغل حيزًا بالكاد، وكل ما تحتاجه لإطعامه هو علبة Mini Wheat أو عنبتان وهو لن يتبول على بساطك. هل ستفعل يا سينامون؟ هيا قف وأخبره أنك لن تفعل. قف يا سينامون».

وقف سينامون على فردة حذائى، وعيناه تلمعان كلؤلؤتين سوداويين.

«أليست أذناه لطيفتين للغاية؟»

من ذا الذى يلاحظ أذنى فأر؟ نظرت لقد كانت على حق. قلت «نعم.. أعتقد أنهما كذلك».

«دغدغه خلف أذنيه.. إنه يحب ذلك».

ازدردت لعابى بصعوبة، ومددت يدى نحوه وأخذت أدغدغ بأطراف أصبعى السبابة المساحات الضئيلة المكسوة بالفراء خلف أذنى الفأر. وأحسب أنه استمتع بذلك، فهو لم يتحرك، وفجأة ـ

Twitter: @alqareah

ولدهشتى أنا نفسى ـ وضعت أحد أصبعى السبابة أمام أنفه فلعقه. لم يخطر ببالى قط أن الفئران تفعل ذلك. كان لسانه نصف حجم ظفرى، وكنت أظن أنه خشن كلسان القطة، ولكنه لم يكن كذلك، بل كان ناعمًا.

بعدها لم يعد واقفًا على قدمى، بل صعد إلى كتفى فأجفلت وحاولت إسقاطه ولكنه أنشب مخالبه فى قميصى. فى هذه الأثناء كانت ستار جيرل غارقة فى الضحك ورأيت ظلها يهتز.

قالت: «دعنى أخمن .. لقد قفز سينامونِ فوق كتفك».

قلت: «لقد أصبت».

«وأنت تفكر فى الكيفية التى يفترض بها أن تنفذ الفئران إلى حلوق الناس».

قلت: كلا لم أكن أفكر، ولكن بما أنك ذكرتِ هذا الموضوع الآن...» أطبقت يدى حول عنقى، وشعرت بشىء فى أذنى.. شىء له شوارب. صحت بصوت أشبه بالعواء قائلاً: «إنه يأكل أذنى».

ضحكت ستار جيرل من جديد وقالت: «إنه يحك أنفه فيك،

Twitter: @alqareah

فهو يحبك، وخاصة أذناك. وهو لا يدخل أبدًا أذنًا لا يحبها، وعندما ينتهي ستكون أذنك نظيفة كالصفارة، وخاصة إذا كان بها بقايا من زبدة الفول السودانى».

شعرت بلسانه الصغير يلعق تجاويف أذنى اليسرى. «إنه يدغدغنى!» ثم شعرت بشىء آخر. «إننى أشعر بأسنان».

«إنه يزيل شيئًا عالقًا من أجلك. لا بد أن هناك شيئًا مقرمشًا داخل أذنك. هل غسلت أذنيك مؤخرًا؟»

«ليس هذا من شأنك».

«آسفة لم أقصد التدخل فى أمورك الشخصية».

«أسفك مقبول».

ران الصمت علينا برهة من الوقت إلا من صوت الفأر وهو يتشمم أذنى، وشعرت بأنفاس الفأر داخلها، وتدلى ذيله داخل جيب قميصى الأمامى.

«هل تريد أن تعترف الآن؟»

قلت: «أعترف بماذا؟»

Twitter: @alqareah

«تعتـرف بأنك بدأت تتقـبل فكرة وجود حيـوان قارض داخل أذنك».

ابتـســمت وأومـأت برأسي، فــأزحت أنف الفـأر عـن مكانه للحظة. «أعترف».

مزيد من الصمت والأنفاس الصغيرة داخل أذني.

قالت في النـهاية: «حسنًا.. يجب أن نعـود إلى المنزل الآن. الق عليه تحية المساء يا سينامون».

قلت في نفسي: «كلا لا تذهبي».

خاطبتها قائلاً: «وماذا عن أذني الأخرى؟»

قـالت: «إذا نظف الأذن الأخرى لن يرغب أبدًا في مـفارقـتك وسأشعر بالغيرة عندئذ ـ هيا يا سينامون حان وقت النوم».

لكن سينامون واصل التشمم.

«إنه لا يريد الخروج.. أليس كذلك؟»

«كلا»

«أمسكه إذًا وضعه على الأرض».

Twitter: @alqareah

ففعلت، وما أن استقر الفأر على الأرض حتى مرق أسفل ماسورة العادم وغاب عن الأنظار عند الجانب الآخر من السيارة.

انسحب الظل وسمعت الباب الأمامي يُفتح، فانبثق الضوء خلاله. «طاب مساؤك يا ليو».

فرددت: «طاب مساؤك».

لم تكن بي رغبةٌ في الرحيل، وتمنيت لو أنني استطعت أن أتكور على أرض ممر السيارة وأنام. وكنت قد جثمت بجوار السيارة مدة طويلة، فوجدت صعوبة في الوقوف، ولم أستطع السير بقامة مفرودة إلا بعد أن قطعت نصف الطريق إلى المنزل.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل السابع عشر

قبل أسبوعين فقط، اكتشفت أنها تعرف اسمى والآن أنا أهيم بها حبًا. كنت أشعر أننى هائمٌ فى الفضاء. سبحت فى الضوء الأبيض الذى غسل ملاءة سريرى ونمت على القمر. وفى المدرسة كنت بالونة صفراء مبتسمة وكسولة تطير فوق الفصول. وشعرت بيد تجذب خيطى برفق ونظرت إلى أسفل فوجدت كيفين ينادينى ويقول: «أنت تحب يا صديقى!»، فرددت عليه بابتسامة وظللت أطير حالمًا حتى خرجت من نافذة.

بقيت على هذه الحالة حتى الغداء وفجأة أصبحت واعيًا لذاتى. كنت واثقًا أن جميع من بالمدرسة يعرفون. سيكونون فى انتظارى ويستديرون نحوى عندما أدخل قاعة الغداء ويحملقون فى. ولم أرتح لفكرة أن أكون فى دائرة الضوء، فقد كانت هذه طبيعتى. كنت أسعد بالبقاء خلف الكاميرا وأترك لكيفين مهمة مواجهة الجمهور.

ولذلك فقد اختبأت هذه الدقائق الـ 35 فى صالة المعدات الرياضية، وجلست فوق بساط مصارعة ملفوف، وجعلت أرفس بقدمى كرة طائرة نحو الحائط المقابل. لم يكن لدى شيء آكله ـ كنت أنوى شراء طعام ـ ولكنى لم أكن جائعًا.

Twitter: @alqareah

وبعد انتهاء اليوم الدراسى، عثر كل منا على الآخر دون مشقة.

أخرجت سينامـون من حقيبتهـا ووضعته على كتفـها. «صافح ليو بمخالبك يا سينامون».

فتصافحنا سينامون وأنا.

قالت: «هل تؤمن بالأماكن المسحورة؟»

«هل تتحدثين إلىَّ أم إلى الفأر؟»

فابتسمت وقالت: «أنت».

قلت: «لا أعرف. لم أفكر أبدًا فى هذا الموضوع».

«سأريك أحد هذه الأماكن».

«وماذا لو لم أكن راغبًا فى رؤيته؟»

«وهل تظن أن لك حرية الاختيار؟»

وجـذبتنى من يدى حـتى كدت أطـير من فـوق الأرض، وهى تضحك بصوت عال، ثم انطلقنا معًـا عبر ملاعب المدرسة، ونحن نؤرجح أيدينا ليرانا العالم بأسره.

مشـينا أميـالاً ومررنا بمنتزه الأعـمال ومـيكا ترونيكس وملعب الجولف ثم توغلنا داخل الصحراء.

Twitter: @alqareah

قالت: «هل يبدو الطريق مألوفًا؟»

فى هذه اللحظة كان سيناموس جاثمًا فوق كتفى وكنت أحمل القيثارة وأداعب أوتارها. قلت: «هذا هو المكان الذى جئنا إليه ذلك اليوم».

قالت: «جئنا؟ لقد جئت أنا إليه وكنت أنت على مسافة نصف ميل خلفى». ثم وكزت كتفى. «تتسلل خلسةً خلفى». ثم وكزتنى مرة ثانية ولكن بقوة هذه المرة ولكن عينيها كانتا تلمعان.

«تطاردنى خلسة».

تظاهرت بالاستياء والامتعاض وقلت: «أطاردك خلسة؟ كلا لم أفعل ذلك.. كنت متخلفًا عنك قليلاً.. هذا كل شىء».

«تتبعنى».

هززت رأسى وقلت: «ليكن».

«لماذا؟»

تدافع إلى رأسى مليون سبب، ولكنى لم أجد كلمات لأعبر عنها. «لا أدرى».

Twitter: @alqareah

«لقد أعجبت بى».

فابتسمت.

«كنت متيمًا بى.. سحـرك جمالى.. لم تلتق فى حياتك بإنسانة أروع منى.. كنت تفكر فى فى كل دقيقة وأنت مـستيقظ وتحلم بى وأنت نائم لم تسـتطـع تحمل ذلـك ولم تسـتطع أن تدع مـثل هذه الروعة تغـيب عن بصرك، فـدفعـتك قوة قاهرة داخل نـفسك إلى السير ورائى».

استدرت نحو سينامون، فلعق أنفى. «لا تغـترى بنفسك كثيراً، فقد كان الفأر هو هدفى».

ضحكت وغنت الصحراء معها.

بالنسبة للشخص الذى يتوقع أن تكون كل صحراء كثبانًا رملية قاحلة، لا بد أن تصيـبه صحراء سونوران بالدهشة، فـلا يوجد بها كـثـبان رمـلية، ولا حـتى رمـال، على الأقل لـيس ذلك النوع من الرمال الـذى تجده على الشاطـئ. صحيح أن الأرض بلـون الرمال أو رمـادية، لكن قدميك لا تغـوصان فـيـها. إنهـا صلبـة وكأنهـا مدكوكـة، ومفروشة بالحصـباء وتتلألأ بمادة « بـ .. بماذا.. لا شيء سوى ميكا».

Twitter: @alqareah

لكنك لا تلاحظ الأرض كثيراً. ما تلاحظه هو أشجار الساجوارو. بالنسبة للوافد حديثًا من الشرق تبدو هكذا ببساطة. الصحراء أرض فضاء بنية تملؤها شجيرات شوكية جافة الغرض الوحيد منها أن تكون بيئة لأشجار الساجوارو المهيبة، ثم تبدأ نباتات الصحراء في التعريف بنفسها رويداً رويداً: نبات Porcupiny yucca، ذيل القندس، والتين الشوكي والصبار البرميلى وأصابع الشيطان والأجزاء اللولبية الرفيعة من نبات Ocotillo الطويلة الممتدة إلى السماء.

أخذنا نتجول فى أنحاء الحياة النباتية ونطوف بالبرك الصغيرة والأخاديد التى صنعتها مياه الأمطار الجارية، ولاحت جبال ماريكوبا على البعد بلونها الأرجوانى.

قالت: «عندما درت على عقبيك وركضت فى ذلك اليوم، ناديت عليك».

«هل فعلت؟»

«لقد همست.»

«همست؟ كيف كنت تتوقعين أن أسمعك».

Twitter: @alqareah

«لا أعرف.. لقد اعتقدت أنك قد تسمعنى وحسب».

داعبت أوتار القيثارة، وجعلت كتفى على شكل زاوية قائمة.

إن إركاب فأر على كتفك يحسِّن قوامك.

قالت: «إنك خجول.. أليس كذلك؟»

«ما الذى يجعلك تظنين ذلك؟»

ضحكت وقالت: «لقد شعرت بالحرج عندما جذبتك بعد المدرسة اليوم على مرأى من جميع الطلاب أليس كذلك؟»

«كلا.»

«هل تكذب؟»

«نعم».

ضحكت. وبدا أننى بارع فى إضحاكها.

نظرت ورائى، فلم أجد للطريق السريع أثراً. «هل تملكين الوقت؟»

«لا أحد يملك الوقت، فالوقت لا يمكن امتلاكه» ثم بسطت ذراعيها وأخذت تدور حتى بدت تنورتها المتعددة الألوان كعجلة الهواء(*). «إن الوقت متاحٌ للجميع مجانًا!».

(*) لعبة للأطفال مكونة من عجلة ورقية ملونة مثبتة في دبوس في رأس قضيب بحيث تدور مع الريح.

Twitter: @alqareah

قلت: «آسف لسؤالى».

علَّقت حقيبتها المرسوم عليها زهرة عبادة الشمس على فرع شجرة صبار ثم أخذت تتشقلب على شكل عجلة العربة نحو جبال ماريكويا. والغريب أننى شعرت برغبة مجنونة فى الانضمام إليها، ولكنى قلت لنفسى إننى لا أستطيع لأننى كنت محمَّلاً بقيثارة وفأر، فالتقطت حقيبتها وتبعتها.

وعندما قررت السير كإنسانة طبيعية من جديد، قلت لها إنها حمقاء.

فتوقفت عن السير واستدارت نحوى وانحنت أمامى قائلةً: «شكراً لك يا سيدى».

ثم تأبطت ذراعى وكأننا نتنزه فى حديقة وقالت: «اصرخ يا ليو».

«ماذا؟»

«فقط أمِل رأسك إلى الوراء، واطلق صرخة مدوية، فلن يسمعك أحداً هنا».

«ولم أريد أن أفعل ذلك؟»

رمقتنى بنظرة دهشة وقالت: «ولم لا تفعل؟»

Twitter: @alqareah

فأشرت إلى سينامون وقلت: «إذا صرخ هو أولاً فسوف أصرخ» ثم غيرت الموضوع وقلت: «هل سنصل أبدًا إلى هذا المكان المسحور؟». وشعرت بأننى سخيف لقولى هذه الكلمات.

قالت: «لم يبق سوى مسافة قصيرة».

فداعبتها قائلاً: «وكيف تميزين المكان المسحور؟»

«سترى». ثم ضغطت على يدى». «هل تعرف أن هناك بلدًا به أماكن تسمى رسميًا «الأماكن المسحورة»؟

«كلا.. وما هو ذلك البلد؟ أُوز؟»

«أيسلندة».

«تخيلى ذلك».

«إننى أتجاهل تهكمك، ولكنى أعتقد أنه لو حدث ذلك هنا لكان أمرًا رائعًا». تخيل نفسك تسير أو تقود سيارتك ثم تجد أمامك هذه العلامة الحجرية وعليها لوحة نحاسية تقول: «موقع مسحور. وزارة الداخلية الأمريكية».

قلت: «سوف نلقى فيه بالفضلات».

Twitter: @alqareah

فحدقت فى واختفت ابتسامتها: «هل كنا سنفعل ذلك؟»

شعرت بالضيق وكأننى أفسدت شيئًا وقلت لها: «ليس بالضبط..» ليس إذا كانت هناك لافتة تقول: «ممنوع إلقاء الفضلات على الأرض».

بعد دقيقة توقفت وقالت: «ها قد وصلنا».

نظرت حولى، فوجدته مكانًا عاديًا، وكان أبرز شىء فيه شجرة ساجوارو باسقة متداعية ـ حزمة من العصى ـ فى حال أسوأ من حال سنيور ساجوارو عند منزل آرتشى، أما فيما عدا ذلك فلم أشاهد سوى بعض الأشجار الرمادية المنخفضة وبعضًا من التين الشوكى. قلت: «كنت أظن أن المكان سيبدو مختلفًا».

«متميز؟ به مناظر طبيعية خلاَّبة؟»

«نعم.. أظن ذلك».

«إنه نوع مختلف من المناظر الطبيعية. اخلع حذاءك».

خلعنا حذاءينا.

«اجلس».

Twitter: @alqareah

فجلسنا القرفصاء، وجرى الفأر سينامون أسفل ذراعى وهبط على الأرض.

صاحت ستار جيرل: «قف!» ثم رفعت الفأر عن الأرض ووضعته فى حقيبتها. «بوم.. صقور.. أفاعى.. سيكون وجبة شهية».

قلت: «وإذًا.. متى سيبدأ السحر؟»

كنا نجلس متجاورين ووجهانا صوب الجبال.

«لقد بدأ عندما ولد كوكب الأرض». كانت عيناها مغمضتين، ووجهها مصطبغًا بلون الشمس الغاربة الذهبى. «إنه لا يتوقف أبدًا.. إنه موجود هنا دائمًا».

«وماذا سنفعل؟»

ابتسمت وقالت: «هذا هو السر». استقرت يداها المضمومتان على شكل كوب فى حجرها، ثم أردفت قائلة: «إننا لا نفعل شيئًا، أو نكاد لا نفعل شيئًا». استدار وجهها نحوى ببطء، وإن ظلت عيناها مغمضتين. «هل سبق وفعلت لا شىء؟»

ضحكت وقلت: «أمى تعتقد أننى لا أفعل شيئًا طول الوقت».

Twitter: @alqareah

«لا تخبرها أننى قلت ذلك ولكن أمك مخطئة» ثم استدارت نحو الشمس من جديد. «إن عدم فعل أى شىء على الإطلاق مسألة فى غاية الصعوبة، فحتى عندما نجلس هنا كما نفعل الآن، تكون أجسامنا فى حالة نشاط وأذهاننا تثرثر.. توجد حالة من الاضطراب بداخلنا».

قلت: «وهل هذا أمر سىء؟»

«يكون سيئًا إذا كنا نريد معرفة ما يجرى خارج أنفسنا».

«ألم نُخلق بعيون وآذان لهذا الغرض؟»

أومأت برأسها وقالت: «إنها تؤدى هذه الوظيفة معظم الوقت، ولكنها تشكل عائقًا أحيانًا، فالأرض تتحدث إلينا ولكننا لا نستطيع سماعها بسبب الضوضاء التى تحدثها حواسنا. أحيانًا نكون بحاجة إلى أن نمحوها.. نمحو حواسنا. وعندئذ ربما تلمسنا الأرض ويتكلم الكون، وتهمس النجوم».

كانت الشمس قد تحولت إلى برتقالة متوهجة فوق قمم الجبال الأرجوانية.

«وإذًا كيف أصبح هذا اللاشىء؟»

Twitter: @alqareah

«لا أعـرف على وجـه اليـقيـن. لا توجد إجـابة واحـدة لهـذا السؤال، ينبـغى أن تجد لذلك سبيـلاً خاصًا بك. أحيـانًا أحاول أن أمحو نفسى. أتخيل ممحاة صابونيـة طرية وردية كبيرة تتحرك فوق جسـمى ذهابًا وجيئـة.. ذهابًا وجيئة، بـادئة من عند أطراف أصابع قدمى.. ذهابًا وجـيئة.. ذهـابًا وجيئـة، وفجأة أجـد أطراف أصابع قدمى قد اختفت، ثم قدماى ثم كاحلى، لكن هذا هو الجزء السهل أمـا الجزء الصـعب فـهـو محـو حـواسى ـ عـيناى و أذناى وأنفى ولسانى وأخـيراً عقلى وخواطرى وذكـرياتى وكل الأصوات التى تتـردد داخل رأسى. ذاك هو الجزء الأكـثر صعـوبة: محـو أفكارى وخواطرى». ضـحكت ضحكة نصف مكبـوتة وقالت: «فـرعتى، وبعد ذلك اختفى كلى.. أصير لا شىء.. عدمًا، وعند ذاك ينساب العالم إلى داخلى كانسياب الماء داخل وعاء فارغ».

قلت: «وماذا بعد ذلك؟»

«وبعـد ذلك أرى وأسـمع ولكن ليس بالـعينـين والأذنين، فلم أعد خارج عالمى ولم أعد موجودة داخله أيضًا، فلم يعد هناك فرق بينى وبين الكون، لقد تلاشت الحدود الفاصلة بـينهما، فصرت أنا

Twitter: @alqareah

هو وهو أنا.. أنا صخرة.. شوكة صبار.. أنا مطر». ثم ارتسمت على فمها ابتسامةِ حالمةِ وقالت: «كم أحب أن أكون مطراً».

«هل أنا أول شخص تحضرينه إلى هنا؟»

لم تجب. كان وجهها متجهًا صوب الجبال يتحمم في رحيق الشمس، وبدا ساكنًا والسكينة والسلام مرسومان عليه

«ستار جيرل ـ »

«ش ش ش ش ».

كان هذا آخر صوت صدر عنها لفترة طويلة. جلسنا متجاورين ووجهانا متجهان صوب الغرب. أغمضت عينى، وحاولت أن أجلس ساكنًا تمامًا، واكتشفت على الفور أنها كانت على حق، فقد استطعت شل حركة ذراعى وساقى، ولكن بداخلى كان هناك ما يشبه ساعة الذروة وسط مدينة فينيكس. إننى لم أكن واعيًا أبدًا من قبل لأنفاسي وضربات قلبى، ناهيك عن أصوات الدمدمة والقرقرة الداخلية. وعقلى.. إنه لم يتوقف عن العمل.. كل سؤال.. كل فكرة شاردة بعيدة عنى أميالاً تسللت إلى عقلى وبدأت تتحسس طريقها وتخدش انتباهى.

Twitter: @alqareah

لكننى جربت استخدام الممحاة فلم تمح حتى طرف أصبع قدم واحد فىَّ. حاولت أن أتخيل أننى نشارة خشب تذروها الرياح، أو أن حوتًا قد ابتلعنى أو أننى تلاشيت مثل ألكا ـ سيلتزر فلم يفلح أى شىء. لم أستطع أن أجعل نفسى تختفى.

اختلست النظر. أعرف أنه ما كان ينبغى علىَّ أن أفعل ذلك، لكن هذا هو ما حدث. كان واضحًا أنها محت نفسها.. اختفت. كانت صورة للصفاء والهدوء والسكينة، وقد ارتشمت على شفتيها ابتسامة خفيفة، واصطبغ جلدها بلون ذهبى كلون شعرها. بدت وكأن أحدًا غطَّسها فى ضوء الشمس وأجلسها لتجف. وشعرت بشىء من الغيرة من قدرتها على الجلوس بجوارى دون أن تشعر بى، من قدرتها على الوجود فى مكان شديد الروعة دون أن أكون موجودًا فيه معها أيضًا.

ثم وقعت عيناى على الفأر. كان قد زحف خارج الحقيبة، وجلس فوقها مثلما كنا جالسين ومخالبه الأمامية متدلية أمامه (لقد بدت قريبة الشبه جدًا بالأيدى البشرية). هو أيضًا لم يكن يتحرك.. هو أيضًا كان يواجه غروب الشمس، وجلده بلون قطعة نقود معدنية جديدة من فئة البنس وعيناه الشبيهتان بحبوب الفلفل الأسود مفتوحتان لأقصى درجة.

Twitter: @alqareah

عـرفت أنهـا لا بد أنهـا علمـتـه كـيف يفـعل ذلك أو ربما أراد تقليدها بفطرته، ومع ذلك فلم أستطع منع نفسى من الاعتقاد بأن فى الأمر شـيئًا أكبـر من ذلك ـ أن الفأر الصغـير كان يعـيش تجربة خاصة به ـ مثل التحول إلى وجبة طعام داخل معدة حيوان مفترس أو طائر جارح إذا تحـققت مـخـاوف سـتار جـيـرل. وبكل هدوء مددت يدى نحـوه ورفعته عـن الحقيبـة واحتضنتـه بكلتا يدىّ. لم يقاوم أو يتلـوى، بل ظل مواجهـًا غروب الشمس وذقـنه مستـقرة على أصـبعى السـبـابة. بأطراف أصـابعى شعـرت بنبـضات قلبـه وقربته من صدرى وتحديت أى طائر أو حيـوان مفترس أن يقترب منى.

أخـذت نفسـًا عميـقـًا وأغمـضت عـينى محـاولاً مرة أخـرى الاستغـراق فى التأمل والسكون ولا أعتقـد أننى نجحت، وأظن أن سينامون كـان أفضل منى فى ذلك. حاولت.. حاولـت بشدة حتى كدت أنجح بشق الأنفس، ولكننى لم أنفصل عن نفـسى فيما يبدو ولم يزرنى الكون، ولـم أستطع منع نفسى من التساؤل «كم الساعة الآن».

بيـد أن شيئـًا ما حـدث.. شيـئًا صـغيـرًا، فقـد كنت أعى أننى أتخطى خطًا ما، وأخطـو خطوة واحدة نحو منطقـة جديدة علىّ..

Twitter: @alqareah

كانت منطقة سلام وصمت وسكينة. لم يسبق لى أن عشت مثل هذا الصمت التام من قبل.. مثل هذا السكون. ظل الاضطراب بداخلي مستمراً ولكن بصوت أضعف، وكأن شخصًا أدار زراً فخفَّض الصوت بداخلي. وحدث شيء غريب، فبرغم أننى لم أفقد تمامًا الوعى بذاتى، إلا أننى أعتقد أننى فقدت الوعى بسينامون، فلم أعد أشعر بنبضه ووجوده بين يدى. وبدا أننا لم نعد كيانين منفصلين بل صرنا كيانًا واحداً.

وعندما انحدر قرص الشمس وراء الجبال شعرت بهواء بارد خفيف يلفح وجهى.

لا أعرف كم من الوقت مضى وعيناى مغمضتان، وعندما فتحتهما، كانت قد اختفت. فاضطربت وتلفت حولى، فوجدتها واقفةً بعيداً وعلى شفتيها ابتسامة. كان الظلام قد حل فبينما كانت عيناى مغمضتين غشى الغسق الصحراء فاتَّشَحَت برداء أرجوانى.

ارتدينا حذاءينا، وسرنا صوب الطريق السريع، وتوقعت أن تستجوبنى ولكنها لم تفعل، فى لحظة لم يكن القمر بازغًا ثم أطل علينا من السماء وظهرت نجمة لامعة. وسرنا عبر الصحراء متشابكى اليدين دون أن نقول شيئًا.

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن عشر

كنا بمفردنا.. لم يكن هناك أحد فى المدرسة سوانا.

على الأقل هذا ما بدا عليه الأمر فى الأيام التالية.

فبينما كنت منصرفًا إلى أداء نشاطى الدراسى اليومى، كنت أشعر بها منصرفة هى الأخرى إلى أداء نشاطها الدراسى، وأحسست بحركتها ووجودها فى أجزاء بعيدة من المبنى. وبينما كنت أسير فى الردهات بين الحصص، لم أكن بحاجة إلى رؤيتها، فقد كنت أعلم أنها هناك: غير مرئية وسط الجمع المتجه نحوى وتوشك أن تنعطف عند أحد الأركان على مسافة خمس فصول منى. ولازمنى حنين لرؤية ابتسامتها، وكنا عندما نقترب من بعضنا نشعر أن الضوضاء والطلاب من حولنا قد اختفوا وأصبحنا بمفردنا تمامًا وأن عينَى كلٍ منا تحتضن الآخر وأن الأرضيات والجدران تلاشت، وصرنا شخصين فى كون من الفضاء والنجوم.

ثم بدأت ذات يوم أكتشف أننا وحيدان أكثر مما ظننت.

كان يوم خميس، وكنا ـ ستار جيرل وأنا ـ نلتقى عادة فى ذلك اليوم بعد الحصة الثالثة فى الطابق الثانى حيث توجد حجرة

Twitter: @alqareah

المدرسين، فنتبادل الابتسامات ونحيى بعضنا ثم يمضى كلٌ منا إلى حصته. فى ذلك اليوم توقفت لأحدثها:

«ما رأيك فى أن يكون لك مرافق؟»

فابتسمت ابتسامة عريضة وقالت: «هل تفكر فى شخص معين؟»

ثم سرنا جنبًا إلى جنب. كانت حصتها التالية فى الطابق الأول، فهبطنا أقرب سلم.. وعند ذاك لاحظت.

لم يتحدث معنا أحد.

لم يومئ أحد برأسه لنا.

لم يبتسم لنا أحد.

لم ينظر لنا أحد.

كان السلم مزدحمًا، ومع ذلك لم يمسنا كتف ولا كم قميص.

كان الطلاب الصاعدون درجات السلم ينحرفون صوب الدرابزين أو الحائط، وفيما عدا صوت ثرثرة ستار جيرل فى أذنى، كان صوت الثرثرة المعتادة غائبًا.

Twitter: @alqareah

كان أكثر ما لاحظته هو العيون، فقد كانت الوجوه مرفوعة عن درجات السلم تحت الأقدام إلا أن العيون لم تنظر إلى أبداً، بل كانت تمر بنا وكأنها أشعة جاما غير منظورة. أو قرضت آذاننا وخشخشت بين الجدران والعيون الأخرى. ووجدت بى رغبة شديدة فى النظر إلى بقية جسمى لأتأكد أننى موجود.

على الغداء قلت لكيفين: «لا أحد ينظر إلينا». كان يحدق فى شطيرته.

فقلت محتداً: «كيفين! الآن أنت تفعل الشىء نفسه».

فضحك ونظر فى عينى وقال: «آسف».

فى العادة، كان آخرون يجلسون حول المائدة، أما اليوم فلم يكن هناك أحد سوانا. ملت بجسمى فوق غدائى وقلت: «كيفين ماذا يحدث؟»

شرد ببصره بعيداً ثم رده إلىّ وقال: «كنت أسأل نفسى متى ستلاحظ، آملاً ألا تلاحظ».

«ألاحظ ماذا؟»

تلكأ قليلاً فى الإجابة، وتظاهر بالانشغال بأخذ قضمة من شطيرة سلطة تونة وراح يمضغها على مهل ثم ارتشف عصير برتقال من قشة. «بادئ ذى بدء.. أنت لست السبب».

Twitter: @alqareah

أرخيت ظهرى إلى مسند المقعد وبسطت يدى وقلت: «لست أنا السبب.. ماذا تعنى؟»

«المسألة تتعلق بمن ترافقه».

جلست هناك أرمش وأحملق فيه. «ستار جيرل؟»

فأومأ برأسه.

قلت: «حسنًا.. وماذا فى ذلك؟»

حدق بى بضع ثوان أخرى ومضغ وابتلع وارتشف ونظر بعيدًا ثم رد بصره إلى: «إنهم لا يتكلمون معها».

لم يستوعب عقلي معنى كلماته. «ماذا تعنى؟ من تقصد بـ «إنهم»؟

فأدار رأسه ناحية بحر الموائد والآكلين. «هم».

«من هم؟». كنت مشوشًا ومضطربًا لدرجة لا تسمح لى بالضحك على أسلوبى فى الكلام غير المراعى لقواعد اللغة.

بلل شفتيه وقال: «جميعهم» ثم هز كتفه وأردف قائلاً: «حسنًا.. تقريبًا»، وانحرفت عيناه فوق كتفى: «لا تزال هناك فتاتان جالستان معها».

Twitter: @alqareah

نظرت إلى الوراء. حينما كانت شعبية ستار جيرل في ذروتها، كان الطلاب يجذبون المقاعد من الموائد الأخرى ويتزاحمون حول مائدتها، أما الآن فلا يوجد سوى ستار جيرل ودورى ديلسون وتلميذة فى الصف التاسع.

قلت: «وإذًا .. ما الذى يجرى؟»

رشف من قشته وقال: «المعاملة الصامتة مستمرة. لا أحد يتكلم معها».

كنت لا أزال عاجزًا عن فهم معنى الكلمات فقلت: «ماذا تعنى بـ لا أحد يتكلم معها؟» هل اجتمعوا جميعًا فى الصالة الرياضية وأجروا اقتراعًا على ذلك؟

«لم يكن الأمر رسميًا إلى هذا الحد، بل حدث وحسب بعد أن بلغت مشاعر الاستياء ذروتها».

حدقت فيه فاغرًا فاهى: «متى؟ متى بدأ ذلك يحدث؟ كيف؟ لماذا؟» كنت على وشك الصراخ.

«لا أعلم بالضبط. أعتقد بعد موضوع كرة السلة.. فقد أغاظ كثيرًا من الناس».

Twitter: @alqareah

«موضوع كرة السلة؟»

فأومأ برأسه.

عدت أقول ببلاهة: «موضوع كرة السلة».

وضع شطيرته على المائدة وقال: «ليو لا تتصرف وكأنك لا تعرف ما أتكلم عنه. الهتاف تشجيعًا للفريق الآخر؟ هل ظننت أن الناس سيرون فى ذلك تصرفًا لطيفًا؟»

«لقد كانت تلك طبيعتها يا كيفين.. كان سلوكًا غير ضار. ربما غريب ولكنه غير ضار. لقد كانت تلك طبيعتها».

أومأ برأسه ببطء وقال: «نعم.. حسنًا.. أظن أن هذا ما أقوله، فالأمر لا يتعلق بشىء واحد فعلته بل بكل شىء. لا تقل لى أنك لم تلاحظ أبدًا. هل تذكر ثمرة طماطم معينة؟»

«كيفين.. قبل شهرين وقف الجميع وصفقوا لها فى المسرح عندما فازت فى مسابقة الإلقاء والخطابة».

قال مدافعًا عن نفسه: «قل لهم».

«شخص واحد رشقها بالطماطم.. شخص واحد».

Twitter: @alqareah

ضحك كيفين ضحكة نصف مكبوتة وقال: «نعم.. وأراد ألف شخص أن يفعلوا ذلك. هل لاحظت الهتاف والتهليل الذى دوى عندما حدث ذلك؟ إن الناس ينحون باللوم عليها لهزيمة فريقنا وضياع موسمنا الذى لم نتكبد فيه هزيمة واحدة أدراج الرياح».

لم أكن واثقًا أن كيفين لا يزال يتكلم عن «هم».

قلت: «كيفين.. لقد كانت مجرد فتاة فى فريق التشجيع».

قال كيفين مصوبًا إصبعه نحوى: «ليو.. لقد سألتنى عما يحدث فقلت لك». ثم نهض وأخذ صينيته إلى السير الناقل.

وظللت أحدق فى مقعده الشاغر حتى عاد.

«كيفين.. أغانى عيد ميلاد سعيد.. بطاقات عيد الحب.. كل الأشياء اللطيفة التى تفعلها من أجل الناس.. ألا يعنى ذلك شيئًا؟»

دق الجرس فنهض وجمع كتبه وهز رأسه ثم قال: «لا أعتقد ذلك».

خلال الساعات المتبقية فى ذلك اليوم واليوم التالى والذى تلاه، تحولت بصورة متزايدة إلى مريض بداء البرانويا، وبينما كنت أسير

Twitter: @alqareah

معها فى المدرسة وحولها، كنت أعى تمامًا أن طبيعة شعورنا بأننا بمفردنا قد تغيرت، فلم يعد شعوراً مريحًا دافئًا بل عزلة باردة. لم نعد مضطرين للانحراف أو التنحى جانبًا.. لم تعد بنا حاجة إلى إفساح الطريق لشخص ما آخر، فقد كان الجميع يفسحون لنا. كانت الجموع فى الردهات تبتعد عنا باستثناء هيلارى كيمبل، فكنا كلما مررنا بها، مالت نحونا وعلى وجهها ابتسامة تنم عن ارتياح خبيث.

أما بالنسبة لستار جيرل، فلم يبد أنها لاحظت ما يجرى حولها، وظلت تثرثر فى أذنى بكلام غير مفهوم، وبينما كنت أبتسم وأومئ لها برأسى، تكوَّن صقيع على قفاى.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع عشر

«تستخدم جماعة الأميش فى بنسلفانيا كلمة تصف هذا الوضع».

قلت: «وما هى؟»

«النبذ».

كنت عند آرتشى، فقد كان من الضرورى أن أتكلم مع أحد.

«حسنًا.. هذا ما يحدث فعلاً».

«لقد أدخل المنبوذ نفسه فى خصومة مع الكنيسة، فحرم من حقوق عضوية الكنيسة، وبات منبوذًا من المجتمع بأسره، وإذا لم يعلن توبته وندمه، لن يخاطبه أحد حتى آخر يوم فى عمره، ولا حتى أفراد أسرته».

«ماذا؟»

«نعم.. ولا حتى أفراد أسرته».

«وماذا عن زوجته؟»

«الزوجة والأولاد.. الجميع». كان غليونه قد انطفأ فأعاد إشعاله بعود ثقاب. «أعتقد أن الهدف من ذلك هو إبعاده، إلا أن

Twitter: @alqareah

البعض يظل صامداً ويواصل العمل فى المزرعة وتناول طعام العشاء مع الأسرة، وإذا مرر الملح لزوجته، فإنها تتجاهل الأمر. ولو كان الأمر بيد الأسقف لتجاهلته الخنازير والدجاجات أيضًا. إنه يُعامل وكأنه لا وجود له».

أومأت برأسى وقلت: «أعرف هذا الشعور». كنا فى الشرفة الخلفية. مددت بصرى خارجًا صوب سنيور ساجوارو.

قال: «هل يحدث ذلك عندما لا تكون معها؟»

قلت: «كلا. لا أعتقد ذلك على الأقل، ولكننى عندما أكون معها أشعر وكأن هذا السلوك موجه لى أيضًا».

انبعثت غلالة صغيرة من الدخان من زاوية فمه، ثم ابتسم ابتسامة حزينة وقال: «مسكين أيها الدرفيل، لقد انحشرت فى علبة تونة».

التقطت بارنى.. جمجمة القارض الذى يعود تاريخه إلى عصر زمن الحياة الحديثة، وتساءلت إن كان شخص ما سيحمل رأس الفأر سينامون بعد 60 مليون سنة من الآن. «وإذًا ماذا ينبغى على أن أفعل؟».

لوح آرتشى بيده قائلاً: «أوه .. حسنًا.. هذا هو الجزء السهل.. ابق بعيداً عنها، فتزول مشكلتك».

Twitter: @alqareah

قلت متهكمًا: «يا لها من نصيحة عظيمة.. إنك تعلم أن الأمر ليس سهلاً لهذه الدرجة».

كان يعلم بالطبع، ولكنه أراد أن يسمعنى أقولها، فأخبرته عن بطاقة عيد الحب والحديث الذى دار بيننا بجوار منزلها ورحلتنا داخل الصحراء. وبدا السؤال الذى خطر على ذهنى سخيفًا، ولكنه ظل يلح عليَّ: «هل تؤمن بوجود أماكن مسحورة؟»

أخرج الغليون من فمه ونظر إليَّ مباشرة: «بالتأكيد».

شعرت بالحيرة وقلت: «ولكنك عالم.. رجل علم».

«رجل عظام.. لا يمكن أن تغرق فى العظام حتى أذنيك ولا تؤمن بوجود أماكن مسحورة».

نظرت إلى بارنى، ومررت طرف أصبعى بطول حافة فكه البالغ طوله بوصتان، فوجدته خشنًا كلسان القطة. ستون مليون سنة كانت بين يدى. نظرت إلى آرتشى وقلت: «لم لا تستطيع أن...».

فأكمل جملتى قائلا: «.. تكون كالآخرين؟»

وقف آرتشى وهبط أسفل الشرفة المسقوفة متجهًا إلى الصحراء، إذ كان فناء منزله الخلفى، باستثناء السقيفة التى يحتفظ

Twitter: @alqareah

فيـها بأدوات الحفر، هو الصـحراء، وتولت الطبيـعة مهمـة تنسيق مناظرها. أنزلت بارنى من يدى ولحـقت به، ومشينا صـوب سنيور ساجوارو.

قلت: «ليس كالآخرين.. ليس بالـضبط.. ليس تمامًا.. ولكن يا آرتشى..» توقفت عن السير وتوقف هو، واسـتدرت حتى أصبحنا وجهًـا لوجه تمامًـا. كانت خـواطرى ومشـاعرى تتصـارع بداخلى جامـحةً متضـاربةً مـضطربةً، وبعد أن تفـرست فى وجهـه طويلاً صحت قائلاً: «إنها تهتف تشجيعًا للفريق المنافس!»

سحب آرتشى الغليـون من فمه، وكأنه يريد أن يهـضم كلماتى بشكل أفضل ورفع أصبعًا فى الهواء وأومأ فى وقار: «آه.. نعم».

ثم تابعنا السير.

مررنا أمام سـقيفة الأدوات وأمام سنيـور ساجوارو، وكنت من وقت لآخـر ألتـقط حـجـرًا من الأرض وأقذف بـه ناحيـة جبـال ماريكوبا الأرجوانية.

قال آرتشى بصوت أقرب إلى الهمس: «ليس من السهل إيجاد كلمات تصف هذه الفتاة.. أليس كذلك؟»

فهززت رأسى.

Twitter: @alqareah

قال: «فتـاة غير عادية.. لقـد أدركت ذلك منذ البداية، برغم أن أبويها عاديان تمامًا.. فكيف أصبحت ما هى عليه الآن؟ سؤال طالما وجهـته لنفـسى، واعتقـدت أحيـانًا أنها ينبغـى أن تدرِّس لى. إنها تبدو على اتصـال بشىء لا نعى كنهه جـميعًـا». ثم نظر إلىَّ وقال: «ألا تتفق معى فى هذا الرأى؟»

فأومأت برأسى موافقًا.

قلب آرتشى الجـزء الأجـوف من غليـونه المصـنوع من خـشب الماهوجنى رأسًا على عـقب وطرق عليه بمفاصل أصابع يـده، فسقط الرماد الذى كان موجودًا داخله فوق أجمة من النبات الشائك الميت.

أشـار بساق الغليـون نحـوى وقال: «أتعلـم هناك مكان نسكنه جمـيعًا ولكننا لا نفكر فـيه كثيرًا، ونادرًا ما نعـيه، ويدوم أقل من دقيقة واحدة كل يوم».

«ما هو؟»

«إنه فى الصبـاح بالنسبة لمعظمنا.. إنه تلك الـثوانى القليلة التى نخرج فـيها من حالة النوم دون أن نسـتيقظ تمامًا بعـد. خلال تلك الثوانى القـليلة نكون أقرب إلى البـدائية مما سنكون عليـه. لقد نمنا

Twitter: @alqareah

لتونا نوم معظم أسلافنا الغابرين وشيء منهم ومن عالمهم لا يزال متشبثًا بنا. في تلك اللحظات المعدودات نرتد إلى عالم ما قبل الحضارة والمدنية.. لا نكون الأشخاص الذين نعرفهم ويعرفهم كل الناس، بل مخلوقات أكثر تناغمًا وانسجامًا مع شجرة منها مع لوحة مفاتيح كمبيوتر.. إننا نكون بلا أسماء وبلا ألقاب وطبيعيين ومعلقين بين ما كان وما سيحدث.. فرخ الضفدع قبل الضفدع.. الدودة قبل الفراشة.. إننا نصبح لبضع لحظات قصيرة أي شيء وكل شيء يمكن أن نكونه، ثم...».

أخرج من جيبه كيس التبغ وأعاد حشو غليونه، وتصاعدت في الهواء رائحة الكرز الذكية، وأشعل عود ثقاب، فانبعث اللهب من تجويف الغليون. «... ثم نفتح أعيننا على يوم جديد و(طرقع أصابعه) نصبح أنفسنا من جديد».

مثل كثير من كلمات آرتشي، بدا لي أن هذه الكلمات لم تدخل أذني بل استقرت فوق جلدي، وهناك كانت تختبئ كبيض دقيق الحجم تنتظر هطول أمطار نضجي، وعندما تفقس وأنا أخيراً أفهم.

سرنا صامتين، وكانت براعم صفراء قد نبتت فوق شجرة صبار، وأشعرني ذلك بحزن لا يصدق لسبب ما. وانساب لون الجبال الأرجواني كألوان الماء.

Twitter: @alqareah

قلت: «إنهم يكرهونها».

توقف ورمقنى بنظرة فاحصة، ثم أدارنى وبدأنا نسير عائدين، واضعًا ذراعه حول كتفى. «هيا نستشير سنيور ساجوارو».

بعد فترة وجيزة كنا واقفين أمام العملاق المتهرم. لم أفهم أبدًا كيف تمكن السنيور من توصيل إحساس بالمهابة والوقار برغم هيكله العظمى المهلهل ولحاء جذعه الجلدى المظهر المثير للسخرية المكوَّم عند قدميه.. سرواله الساقط. كان آرتشى يتكلم معه دائمًا بشكل رسمى محترم وكأنه يخاطب قاضيًا أو زائرًا من الوجهاء.

استهل كلامه قائلاً: «طاب يومك يا سنيور ساجوارو. أعتقد أنك تعرف صديقى وعضو جماعة العظام الحجرية.. السيد بورلوك» ثم همس لى قائلاً: «لقد أصاب لغتى الأسبانية بعض الصدأ، ولكننى سأتكلم بالأسبانية الآن، فهو يفضلها فى الأمور الدقيقة»، ثم استدار نحو شجرة الصبار وقال:

"Parece, Señor Borlock aqui es la víctima de un "Shunning" de sus compañeros estudiantes en el liceo. El objeto principal del "shunning" es la enamorada del Señor Borlock, nuestra propia Señorita Niña Estrella. El está en búsqueda de preguntas"

Twitter: @alqareah

بينما كان آرتشى يتكلم، كان ينظر إلى عش البومة، ثم استدار نحوى وقال بصوت هامس: «لقد طلبت أسئلة».

همست قائلاً: «أسئلة؟ وماذا عن الإجابات؟»

ولكنه أدار لى ظهره وأمال رأسه نحو شجرة الصبار الباسقة وأصبعه على شفتيه ـ «ش ش ش» ـ وعيناه مغمضتان.

انتظرت.

فى النهاية أومأ برأسه واستدار نحوى من جديد. «يقول السنيور المبجل أن هناك سؤالاً واحدًا فقط».

قلت: «وما هو؟»

«إنه يقول إن الموضوع كله يتلخص فى السؤال التالى: حب من يهمك أكثر: حبها أم حب الآخرين؟ ويقول السنيور إن كل شيء سيترتب على الإجابة عن هذا السؤال».

لم أكن واثقًا أننى فهمت السنيور أكثر مما فهمت آرتشى نصف الوقت، ولكننى لم أقل شيئًا وذهبت إلى المنزل. وبينما أنا مستلق على فراشى فى تلك الليلة فى ضوء القمر، أدركت أننى فهمت السؤال فهمًا كاملاً فى الحقيقة. كل ما فى الأمر أننى لم أرغب فى الإجابة عنه.

Twitter: @alqareah

الفصل العشرون

مرتان أسبوعيًا كانت نتائج دورة الولاية فى كرة السلة تعلق على اللوح الخشبى المصنوع على هيئة طائر الجوّاب فى فناء المدرسة. وكانت الفرق الفائزة فى التصفيات قد وصلت إلى دور المقاطعات الآن ثم ستنتقل إلى دور الأقاليم ثم وبعد أن يتبقى فريقان فقط، ستقام بطولة ولاية أريزونا.. العرض الكبير. وقد نال جلينديل، الفريق الذى هُزمنا أمامه، اهتمامًا مريرًا ماسوشيًا على اللوح الخشبى، فكانت النقاط التى يحرزها تكتب بأرقام ضخمة، بينما واصل الفريق انتصاراته خلال الدورة.

فى الوقت نفسه، كانت ستار جيرل مشغولة بدورة خاصة بها.. مسابقة الإلقاء والخطابة. وباعتبارها الفائزة فى مدرسة ميكا الثانوية العليا، فقد تأهلت للاشتراك فى مسابقة المقاطعات والتى جرت فى قاعة مسرح مدرسة ريد روك الثانوية العليا، والذي كان مثيرًا للدهشة أنها فازت فيها أيضًا، وكانت المحطة التالية هى النهائيات، وكان مقررٌ إجراؤها فى فينيكس يوم الجمعة الموافق الثالث من شهر أبريل.

عندما ذاعت أنباء فوز ستار جيرل فى مسابقة المقاطعات فى فصلى، كدت أصيح فرحًا، ولكننى تمالكت نفسى، وأطلق العديد من زملائى صيحات الاستهجان والازدراء.

Twitter: @alqareah

واستعدادًا للنهائيات، أخذت ستار جيرل تتمرن عليَّ. كنا نذهب إلى الصحراء معظم الأحيان، ولم تستخدم ستار جيرل أية محاضرات مكتوبة، ولم يبد أن كلماتها كانت محفوظة، وكانت فى كل مرة تلقى فيها كلمة تبدو مختلفة، فقد كانت تطعِّمها بمادة جديدة مرتجلة وليدة اللحظة. كانت كلماتها منسجمة تمامًا مع طبيعتها وشخصيتها لدرجة أن الخطبة لم تكن خطبة على الإطلاق بل صوت مخلوق فى البرية.. صوت طبيعى كنعيب غراب أسود أو عواء ذئب فى جوف الليل.

جلست القرفصاء على الأرض وجلس سينامون فوقي، ورحنا نصغى فى نشوة، وكذلك فعلت الحشائش البرية وأشجار الصبار والجبال والصحراء حسب اعتقادى.. كلها كانت تنصت للفتاة المرتدية التنورة الطويلة. وقلت لنفسى إن من العار أن يدرج أداؤها ضمن برنامج ويقدم أمام صفوف من المقاعد المخملية فى مسرح. وقد حدث ذات مرة أن هبطت بومة فوق شجرة ساجوارو تبعد مسافة عشرة أقدام عن المكان الذى كانت تتكلم فيه، فجمدت البومة فى مكانها دقيقة كاملة قبل أن تدخل الفجوة التى كانت تأويها فى الشجرة.

Twitter: @alqareah

بالطبع فقد فعلنا أشياء أخرى أيضًا. كنا نمشي ونتحدث ونركب دراجات، وبرغم امتلاكي رخصة قيادة، إلا أنني اشتريت دراجة مستعملة بثمن بخس، لكي أتمكن من ركوبها معها. أحيانًا كانت تقود الطريق وأحيانًا أخرى كنت أقوم أنا بهذا، وكنا نقود دراجتينا جنبًا إلى جنب كلما استطعنا ذلك.

كانت نورًا وهّاجًا أضاء حياتي، وكل ركن من أركان يومي.

لقد علمتني كيف أمرح مرحًا صاخبًا.. علمتني كيف أتساءل وأتعجب .. علمتني كيف أضحك، فقد كانت روح الدعابة عندي متناسبة دائمًا مع كل الأشخاص عدا شخصي الجبان المنطوي على نفسه، ونادرًا ما كنت أظهرها: فقد كنت أكتفي بالابتسام. أما في وجودها فقد ألقيت رأسي إلى الوراء وضحكت بصوت مرتفع لأول مرة في حياتي.

كانت ترى أشياء. لم أكن أعرف أن هناك أشياء كثيرة يمكن رؤيتها.

كانت دومًا تجذب ذراعي وتقول: «انظر!»

فكنت أنظر حولي فلا أرى شيئًا: «أين؟»

Twitter: @alqareah

فكانت تشير بأصبعها: «هناك».

فى بادئ الأمر، لم أستطع رؤية شىء مع ذلك. كانت تشير إلى باب أو شخص أو السماء، إلا أن مثل هذه الأشياء كانت مألوفة لبصرى وغير مميزة وبالتالى كنت أعتبرها «لا شىء». كنت أسير فى عالم رمادى من الأشياء غير الموجودة.

كانت تتوقف وتشير إلىَّ أن الباب الأمامى للمنزل الذى مررنا به كان أزرق، وأنه كان أخضر عندما مررنا أمام المنزل آخر مرة، وأن قاطن المنزل دهن الباب الخارجى بلون مختلف عدة مرات أثناء السنة.

أو كانت تهمس لى بأن الرجل العجوز الجالس على مقعد طويل بمركز تسوق تيودور ڤيليدج كان يحمل جهاز سمعه فى يده، وكان يبتسم، وكان يرتدى معطفًا وربطة عنق وكأنه ذاهب إلى مكان خاص، وكان يشبك فى طية صدر سترته علمًا أمريكيًا صغيراً.

أو كانت تجثو على ركبتيها وتجذبنى لأجثو معها وترينى نملتين تحملان ساقًا مبتورة لخنفساء تفوقهما حجمًا عشرين مرة وهما

Twitter: @alqareah

تمشيان عبر الرصيف، حالهما حال رجلين يحملان شجرة مقطوعة كـاملة النمـو من طرف بلـدة إلى الطرف الآخـر، لو كـانا قـويين كالنمل.

بعد فترة من الوقت بدأت أرى على نحو أفضل، وعندما كانت تقول «انظر!» وأنظر إلى الشيء الذى تشـير إليه، كنت أرى، وفى نهـاية المطاف تحول الأمـر إلى مسـابقة: من سـيرى أولاً؟ وعندمـا فـعلت ذلك فى النـهايـة ـ عندمـا كنت أقـول «انظرى!» وأشـيـر بأصبعى وأجذب كمها ـ كان شعورٌ بالفخر يغمرنى وكأننى تلميذ فى الصف الأول الابتدائى حصل على نجمة فى دفتره المدرسى.

كانـت رؤيتهـا للأشيـاء تنطوى على ما هو أكـثر من الإبـصار بالعـين، فمـا كانت تراه كـانت تشـعر به. كـانت عيناها تتـجهـان مباشرة إلى قلبـها، فقد جعلها الرجل العجـوز الجالس على المقعد الطويل تبكى مـثلاً، وجعلتـها النملتان الحَّـمالتـان تضحك، وأثار الباب المتـعدد الألوان فضـولها لدرجة أننى اضطررت إلى جـذبها بعيداً، لقد شعـرت أنها لن تستطيع مواصلة حياتها بصـورة طبيعية إلا بعد أن تقرع ذلك الباب.

Twitter: @alqareah

أخبرتني كيف كانت ستدير صحيفة ميكا تايمز لو كانت رئيس تحريرها. ستكون أخبار الجريمة في الصفحة العاشرة، وأخبار النمل والرجال العجائز والأبواب المطلية في الصفحة الأولى، وابتكرت عناوين رئيسية:

النمل يحمل حملاً ضخمًا عبر

مسافة شاسعة قاحلة

ابتسامة غامضة: رجل عجوز

يومئ برأسه في تيودور ڤيليدج

الباب يتوسل: اقرعوني!

وأخبرتها أنني أريد أن أكون مخرجًا تليفزيونيًا، وقالت إنها تريد أن تكون سائقة شاحنة غداء فضية.

قلت: «هه؟»

قالت: «أنت تعلم أن الناس يعملون طوال الصباح وعندما تأتي الساعة الثانية عشرة تغادر السكرتيرات المكاتب ويخلع عمال البناء خوذاتهم ويضعون المطارق من أيديهم ويكون الجميع جائعين وينظرون فيجدونني أمامهم! أينما كانوا.. أينما كان مكان

Twitter: @alqareah

عملهم، سأكون عندهم، فلـدى أسطول كامل من شاحنات الغداء الفضيـة التى تذهب إلى كل مكان. «دع الغداء يأتى لك!» هذا هو شـعارى. إن مـجـرد رؤية شـاحنة غـدائى الفـضيـة سـتشـعـرهـم بالسعـادة». ووصفت لى كـيف سترفع الألواح الجانبـية للسـيارة فيكاد الجميع يغـشى عليهم من سحابة الروائح الشهيـة المنبعثة من السيـارة. أطعمة سـاخنة.. أطعمة باردة.. طعـام صينى.. إيطالى.. أى طعـام يخطر على بالـك، وحـتى بوفـيه سلـطات. «إنهم لا يستطيعون تصـديق كمية الطعام التى تحتوى عليـها شاحنتى. أينما كنت ـ فى الصـحراء.. فى الجـبال أو حـتى فى المناجم ـ إذا أردت خدمة الغداء الفضية سأقدمها لك، سأجد سبيلاً لذلك».

رافقتهـا وهى تؤدى مهامًا أخرى، ففى أحـد الأيام اشترت نباتًا صغـيراً.. زهرة بنـفسج أفريـقية فـى وعاء من البـلاستيك كـانت معروضة للبيع بمبلغ 99 سنتًا فى صيدلية.

سألتها: «لمن هذه الزهرة؟»

قالت: «لا أعرف على وجـه اليقين. كل ما أعرفه هو أن شـخصًا ما فى عنوان بـ «ماريون درايف» موجود فى أحد المستشفيات لإجراء جراحة ولذا فكرت فى إرسال شىء صغير لأسرته للتسرية عنها».

Twitter: @alqareah

قلت: كيف تعلمين هذه الأمور؟»

ابتسمت لى معابثةً وقالت: «إن لى أساليبى».

ذهبنا إلى المنزل فى ماريون درايف، فمدت يدها إلى علبة مثبتة خلفها علـى مقعد الدراجة وأخـرجت منها مجمـوعة من الشرائط واختـارت شريطًا بـلون البنفسج الفـاتح لينسجم مع لون البـراعم الصـغيـرة وأعادت بقـيـة الشرائط إلى العلـبة، ثم ربطت الشـريط البنفـسجى حـول الإناء وأمسكت أنا بدراجـتهـا فـيـما قـامت هى بوضع الزهرة عند الباب الأمامى.

قلت ونحن ننطلق بدراجـتينا: «لم لا تتركى بطاقـة أو شيئًـا ما عليه اسمك؟»

أدهشها السؤال: «ولـم أفعل ذلك؟»

فاجأنى سؤالها: «حسنًا.. لا أعرف.

فهـذا ما يفعله الناس عادة.. إنـهم يتوقعون ذلك. إذا اسـتلموا هدية يتوقعون معرفة مصدرها».

«هل هذا أمر مهم؟»

«نعم.. أعتقد أن ــــ»

Twitter: @alqareah

ولم أتم تلك الفكرة أبدًا، فقد أوقفت دراجتي فجأة وتوقفت هي أمامي ثم التفتت نحوي وحدقت في وقالت: «ليو.. ما الأمر؟»

هززت رأسى وابتسمت ثم أشرت إليها وقلت: «أنت».

«أنا ماذا؟»

«قبل عامين.. عيد ميلادى.. وجدت طردًا عند باب منزلى الأمامى.. ربطة عنق مرسوم عليها قنافذ.. ولم أعرف أبدًا من أرسلها إلىّ».

سارت ممسكة بدراجتها بجوارى، وارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة: «لغز».

قلت: «أين عثرتى عليها؟»

«لم أعثر عليها بل طلبت من أمى أن تصنعها».

بدت غير راغبة فى التكلم فى هذا الموضوع ثم بدأت تحرك قدميها على البدالات وواصلنا السير.

قالت: «أين كنا؟»

قلت: «نيل الثناء والتقدير».

Twitter: @alqareah

«ماذا عنه؟»

«حسنًا.. إن نيل الثناء شيء لطيف».

ودارت أشعة (برامق) عجلتها الخلفية وراء ستارة تنورتها الطويلة، فبدت كصورة فوتوغرافية من مائة سنة مضت، ثم صوبت عينيها الواسعتين نحوي وقالت: «هل هو كذلك؟»

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الحادى والعشرون

فى عطلات نهاية الأسبوع وبعد العشاء، سلَّمنا كثيراً من زهور البنفسج الموضوعة فى آنية وبالونات كتب عليها «مبروك!» وبطاقات معبِّرة عن مشاعر متباينة. كانت تصنع البطاقات بنفسها، برغم أنها لم تكن فنانة بارعة، فقد كان البشر الذين ترسمهم عبارة عن عصى، وكانت لكل البنات تنورات مثلثة وضفائر. لن تخطئ أبدًا يومًا وتظن أن بطاقاتها من صنع شركة هول مارك، إلا أننى لم أشاهد قط بطاقات أكثر صدقًا فى المشاعر، فقد كانت ذات معنى كبطاقة كريسماس صنعها بنفسه تلميذ صغير، ولم تكن تكتب اسمها أبدًا.

وأخيراً وبعد طول إلحاح منى، أخبرتنى كيف كانت تعرف ما يجرى فى حياة الناس. قالت إن المسألة بسيطة، فقد كانت تقرأ الصحف اليومية. ليس العناوين الرئيسية وليس الصفحة الأولى وليس صفحة الرياضة أو المسلسلات الهزلية أو برامج التليفزيون أو أخبار نجوم هوليوود، بل كانت تقرأ الأجزاء التى يتجاهلها معظم الناس.. الأجزاء التى ليس لها عناوين أو صور: أخبار الناس الذين يدخلون المستشفيات، الوفيات، إعلانات أعياد الميلاد والزواج، أخبار الحوادث، الأحداث المقبلة.

Twitter: @alqareah

عمومًا كانت تقرأ شاغلات الفراغ

هتفت قائلة: «أنا أحب شاغلات الفراغ!»

فقلت: «وما هى شاغلات الفراغ؟»

فشرحت قائلة إن شاغلات الفراغ هى الموضوعات الصغيرة التى لا تعتبر مهمة بدرجة تكفى لأن تكون قصة صحفية أو لأن يتم إعطاؤها عنوانًا رئيسيًا. وعرضها لا يتجاوز أبدًا عمودًا واحدًا وطولها لا يتجاوز بوصة واحدة أو اثنتين، وغالبًا ما توجد فى ذيل الصفحات الداخلية حيث لا يراها القراء إلا نادرًا. ولو كان الأمر بيد رؤساء التحرير ما استخدموا شاغلات الفراغ، إلا أنه يحدث أحيانًا أن المحررين لا يكتبون كلمات كافية ولا تصل القصة حتى نهاية الصفحة، وبالطبع لا يمكن أن تصدر الجريدة وبها مساحة خالية، ولذا يلجأ المحرر إلى شغل هذا الفراغ بأى شىء. ليس ضروريًا أن يكون ذلك الشىء خبرًا أو مهمًا، بل حتى أن يقرأ، بل كل المطلوب هو أن يشغل الفراغ.

والموضوع شاغل الفراغ يمكن أن يأتى من أى مكان ويتناول أى شىء، فهو يمكن أن يكون معلومة عن عدد كيلو جرامات الأرز التى يأكلها الشخص الصينى العادى فى حياته، أو عن

Twitter: @alqareah

الخنافس فى سومطرة، أو قد يأتى من الشارع أو قد يكون إعلانًا عن قطة مفقودة أو خبراً يقول إن فلانًا يقتنى مجموعة من الكرات الرخامية الأثرية.

قالت: «إنني أبحث خلال شاغلات الفراغ كالمنقِّب عن الذهب».

قلت: «هكذا إذاً. أنتِ تقرأين الصحف».

قالت: «كلا.. ليس هذا كل شيء.. فهناك أيضًا الصالون الذى أقصده لأقص شعرى. ففى هذا المكان أسمع دائمًا حكايات جيدة، وبالطبع يوجد أيضًا لوحات النشرات. هل تعلم كم عدد لوحات النشرات الموجودة فى بلدة ما؟»

قلت: «بالطبع فأنا أحصيها كل يوم».

قالت بجدية: «وأنا أيضًا.. وقد أحصيت منها حتى الآن إحدى وأربعين لوحة».

فى الحقيقة لم أستطع أن أتذكر إلا لوحة واحدة فقط وهى اللوح الخشبى المصنوع على هيئة طائر الجوَّاب. «ماذا تعرفين من لوحات النشرات؟»

«أوه.. شخص ما أنشأ تواً شركة أو افتتح متجراً.. شخص فقد كلبه.. شخص يحتاج إلى مرافق».

Twitter: @alqareah

قلت: «ومن ذا الذى يعلن طالبًا مرافقًا؟ من الذى يحتاجه بشدة هكذا؟»

«الناس الذين يشعرون بالوحدة.. العجائز.. كل ما يريدونه هو شخص يجلس معهم فترة من الوقت».

تخيلت ستار جيرل جالسة فى غرفة مظلمة برفقة سيدة عجوز، ولم أستطع تخيَّل نفسى فاعلاً الشىء نفسه. أحيانًا كانت تبدو بعيدة عنى للغاية.

كنا نمر أمام مطعم بيزا بيتزا فقالت: «توجد لوحة نشرات فى هذا المطعم».

كانت بجوار الباب مباشرةً، ومغطاة ببطاقات العمل والإعلانات. أشرت إلى إعلان كتب فيه: «لأداء الأعمال غير المعتادة اتصل بـ «مايك» على الرقم التالى». قلت بصوت حمل قدرًا من التحدى أكثر مما أردت: «وإذًا ماذا تستنتجين من هذا الإعلان؟»

قرأت ستار جيرل الإعلان وقالت: «حسنًا.. هناك احتمال أن يكون مايك قد فقد وظيفته الثابتة وهو عاجز الآن عن العثور على وظيفة أخرى، ولذا فهو يعرض أداء أعمال مقابل أجر. أو ربما

Twitter: @alqareah

كانت لديه وظيفة ثابتة إلا أن راتبها لا يكفى لسد احتياجاته الأساسية. وهو إما ليس إنسانًا منظمًا أو لا يستطيع استخدام ورقة كاملة، فهذه مجرد قصاصة ورق».

قلت: «وإذا ماذا ستفعلين له؟»

«أوه.. لا أدرى.. ربما كان أبواى بحاجة إلى من يؤدى عملاً عارضًا لهما.. أو ربما كنت أنا من يحتاجه لأداء مثل هذا العمل.. أو ربما استطعت أن أرسل له بطاقة».

«أى نوع من البطاقات سيحصل عليه؟»

قالت: «بطاقة لتشجيعه وتحفيزه على احتمال ظروفه الصعبة»، ثم لكزتنى وقالت: «هل تريد أن تلعب لعبة بطاقات؟»

خامرنى شعور بأنها لم تكن تتكلم عن لعبة البوكر وقلت: «بالتأكيد».

قالت إنها اخترعت هذه اللعبة. «كل ما تحتاجه هو عيناك وشخص آخر. أنا أختار شخصًا ما فى الشارع، فى مركز التسوق.. فى متجر.. أى مكان ثم أتبعه. ولنقل مثلاً إنها امرأة. فى هذه الحالة أنا أتبعها لمدة 15 دقيقة بالضبط لا أكثر ولا أقل. فأنا

Twitter: @alqareah

أضبط ساعتى واللعبة هى أنه بعد تمضية 15 دقيقة فى مراقبتها، ينبغى على أن أخمن نوعية البطاقة التى تحتاجها».

قلت: «ولكن كيف يمكن إيصالها لها؟ إنك لا تعرفين أين تقيم».

«هذا صحيح.. لا يمكننى أن أفعل شيئًا بعد ذلك، وهذا هو السبب فى أنها مجرد لعبة.. إنها للتسلية فقط» ثم همست فى أذنى قائلةً: «هيا نلعب».

فقلت لها: «بالتأكيد».

قالت إنها تحتاج إلى مول، وكنت عادة أتجنب ارتياد ميكا مول فقد كان عدد كبير من طلاب مدرسة ميكا الثانوية المضربين عن التكلُّم معنا يتسكعون هناك، فقدنا دراجتينا عشرة أميال وذهبنا إلى ريد ستون مول، وكان الوقت عصر يوم سبت.

وقع اختيارنا على امرأة ترتدى سروالاً أخضر بلون الليمون وصندلاً أبيض، وخمنا أنها فى أوائل الأربعينات. كانت تشترى بسكويتًا مملحًا بمتجر آنتى آن (العمة آن)، وحملت البسكويت فى كيس ورقى أبيض صغير، وتبعناها حتى دخلت محل صن

Twitter: @alqareah

كوست لتأجير شرائط الڤيديو، وسمعناها تطلب فيلم «عندما التقى هارى بسالى»، ولكنه لم يكن موجوداً بالمحل، ومرت أمام محل سونوما ثم عادت ودخلته. أخذت السيدة تتجول فى أرجاء المتجر وتلمس الآنية الخزفية بطرف أصبعها وتتحسس أسطحها. ثم توقفت أمام صحون العشاء، ورفعت صحنًا مرسوم عليه مقهى فرنسى. همست ستار جيرل «ڤان جوخ». بدا أن السيدة تفكر فى الصحن، بل وأغمضت عينيها وضمته إلى صدرها بكلتا يديها وكأنها تستشعر ذبذبات، ثم أعادته إلى مكانه وخرجت من المتجر، ثم مضت إلى متجر سيرز حيث أخذت تتفحص الملابس الداخلية وقمصان النوم النسائية. شعرت بشىء من الاضطراب وعدم الارتياح وأنا أتلصص من وراء شماعة تحمل ملابس نسائية بكرانيش، وكانت تقلِّب فى قمصان النوم عندما انتهى الوقت المحدد للعبة.

أخذنا ـ ستار جيرل وأنا ـ نتشاور فى الممر.

قالت: «حسنًا.. ما رأيك؟»

قلت: «أشعر وكأننى متلصص».

قالت: «متلصص جيد».

Twitter: @alqareah

قلت: «أنتِ أولاً»

«حسنًا.. هى امـرأة مطلقة ووحيدة، فلا يـوجد خاتم زواج فى أصبعها، وهى تريد رجلاً فى حياتها.. تريد حياة أسرية، وتتمنى لو أنها كـانت سالى والتـقت بهارى وتزوجـته لتعـد له طعام العـشاء وتكون له الزوجة المحبة الوفية. هـى تحاول تناول الأطعمة المحتوية على دسم قليـل وتعـمل فى وكـالة سـفريـات، وذهبت فى رحلة بحرية مـجانية السنة الماضـية، ولكن الأشخـاص الذين التقت بهم فى هذه الرحلة كانوا بغـيضين وتافهـين. اسمها كلاريـسا وكانت تعزف علـى آلة الكلارنيت فى المدرسة الثـانوية وصابونهـا المفضل هو آيريش سبرنج (الربيع الأيرلندى)».

جحظت عيناى وقلت: «كيف عرفتِ كل هذا؟»

فضـحكت وقالت: «أنا أخـمن فقط.. فـهذا مـا يجعل اللعـبة ممتعة».

«وإذًا أى نوع من البطاقات سترسلينها لها؟»

وضعت أصـبعـها على شـفتـيهـا وقالت: «مم.. إلى كـلاريسا سـوف أرسل بطاقة مـكتوب عليـهـا: بينمـا أنت تنتظرين هارى، ترفقى بنفسك وأحسنى رعايتها. وماذا عنك؟»

Twitter: @alqareah

أخذت أفكر مليًا فى الصيغة وقلت: «سأرسل بطاقة مكتوب عليها: «لا تدعى هارى يضبطك وأنتِ تنظفين أنفك بأصبعك».

الآن جاء دورها لكى تجحظ عيناها. «هه؟»

قلت: «ألم تشاهدينها وهى تنظف أنفها بأصبعها؟» «فى متجر صن كوست؟»

«ليس بالضبط، فقد شاهدت يدًا واحدة تتجه إلى أنفها وكأنها تهرش أنفها أو شىء من هذا القبيل».

«نعم.. أو شىء من هذا القبيل.. لقد كانت تنظف أنفها بأصبعها.. هذا ما حدث.. كانت سريعة وجديرة بالازدراء.. كانت محترفة حقيقة».

ثم لكزتنى مداعبة وقالت: «إنك تمزح».

فرفعت يدى إلى أعلى وقلت: «إننى جاد فيما أقول. لقد كانت واقفة أمام الأفلام الكوميدية، ودخل أصبعها فى أنفها وخرج وعليه شىء ما حملته فى جولتها لمدة دقيقة تقريبًا، وأثناء مغادرتها محل صن كوست وعندما اعتقدت أن لا أحد يراها نفضت عن أصبعها ما كان عالقًا به ولم أر أين استقر ذلك الشىء». أخذت

Twitter: @alqareah

ستار جيرل تحملق فى، فرفعت يدى اليمنى ووضعت يدى اليسرى فوق قلبى وقلت: «أنا لا أكذب».

انفجرت ستار جيرل فى الضحك بصوت عالٍ حتى أننى أحسست بالحرج، وتشبثت بذراعى بكلتا يديها لكيلا تسقط، وأخذ رواد المول يحملقون.

مارسنا لعبتنا على اثنين آخرين فى ذلك اليوم: سيدة أمضت الـ 15 دقيقة الخاصة بها كلها وهى تتحسس السترات الجلدية ـ وأسميناها بيتى، ورجل أسميناه آدم بسبب كبر حجم تفاحة آدم لديه، حتى أننا غيرنا اسمها إلى قرعة آدم، ولم نصادف فى ذلك اليوم أشخاصًا ينظفون تجاويف أنوفهم بأصابعهم.

لقد استمتعت باللعبة، ولا أدرى إن كانت اللعبة ذاتها هى سبب متعتى أم وجودى معها ببساطة، ولكنى أعرف أن شعورى بأننى قريب من كلاريسا وبيتى وآدم بعد مراقبتنا لهم مدة 15 دقيقة فقط أصابنى بالدهشة.

وطوال اليوم، راحت ستار جيرل تسقط قطع النقود المعدنية: بنس هنا ونيكل هناك.. تسقطها على رصيف المشاة أو تضعها على

Twitter: @alqareah

رف أو مقعد طويل، بل وكانت تسقط أيضًا قطعًا من فئة الربع دولار.

قالت: «أنا أكره الفكة، فهى تحدث صوتًا مؤذيًا للأذن».

«هل تعلمين المبلغ الذى تسقطيه خلال سنة؟»

قالت: «هل سبق ورأيت وجه طفل صغير عندما يشاهد بنسًا ملقى على الرصيف؟»

وعندما فرغت حافظة نقودها من الفكة، انطلقنا عائدين إلى ميكا، ودعتنى فى هذه الأثناء لتناول العشاء بمنزلها.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثانى والعشرون

كـان آرتشى قد زعم أن آل كـاراواى قوم عـاديون، ولكننى لم أستطـع مع ذلك تقبُّل فكرة انتـماء سـتارجـيرل إلى أسـرة عادية، وأعتقد أننى توقعت أن أرى مشهداً من مـشاهد الهيبيز التى كانت مألـوفة فى السـتينيـات. لافتات «اصـنع الحب لا الحرب».. أمـها مرتدية تنورة طويلة وتضع زهرة فى شعـرها.. وجه أبيها نبت على جانبيه شـاربان حذيان ضيقان عند الصدغين وعريضـان مستديران عند الفـكين السـفليـين، ويردد Groovy! و Right on كـثـيـراً.. ملصقات لأعضاء فريق «الموتى الممتنون».

لكن ما شاهدته كان مختلفًـا، فقد كانت والدتها ترتدى شورتًا وبلوزة وهى تحرك دواسـة ماكينة الخـياطة بقـدمها العـارية. كانت تصنع ثوب فـلاح روسى من أجل مسـرحيـة ستعـرض فى دنفر، بينمـا وقف السـيد كـاراواى على سلم نقـالى خارج المنزل وكـان يطلى عتبـة النافذة، ولم يكن لديه شاربان خديان.. الحقـيقة أنه لم يكن لديه كـثيـر من الشعـر على الإطلاق. والمنزل ذاته كـان منزلاً عاديًا: أثاث خشبى لامع مـصقول وسجاجيد صـغيرة متناثرة على الأرضـية الخـشبـية.. أعـمال فنيـة خاصـة بمنطقة الجنوب الغـربى

Twitter: @alqareah

الأمريكى: فازة زفاف من طراز أناسازى هنا.. صورة مطبوعة لچورچيا أوكيف هناك. لا شىء يقول: «هل رأيت؟ لقد جاءت من هنا».

وكان ذلك هو حال غرفتها أيضًا، فباستثناء علبة سينامون الخشبية المطلية باللونين الأزرق والأصفر فى أحد الأركان، كانت تبدو كحجرة أى فتاة عادية بالمدرسة الثانوية. وقفت عند المدخل.

تساءلت: «ماذا؟»

قلت: «أنا مندهش».

«مم؟»

«كنت أعتقد أن غرفتك ستكون مختلفة».

«وكيف ذلك؟»

«لا أعرف. غرفة معبرة عن شخصيتك الفريدة».

ابتسمت وقالت: «أكوام من قصاصات الصحف؟ ورشة لصناعة البطاقات؟»

«شىء من هذا القبيل».

قالت: «تلك غرفة مكتبى». أطلقت الفأر سينامون فأسرع يجرى أسفل فراشها. «هذه حجرتى».

Twitter: @alqareah

«هل لديك غرفة مكتب؟»

«نعم». مدت ساقها أسفل السرير، وعندما أخرجتها كان الفأر سينامون واقفًا فوقها. «لقد أردت أن يكون لى مكان خاص بى أستطيع أن أعمل فيه، ولذا فقد حصلت عليه».

قلت متسائلاً: «وأين هو؟»

وضعت أصبعها على شفتيها وقالت: «هذا سر».

قلت: «أعرف شخصًا يعرفه».

رفعت حاجبيها.

«آرتشى».

فابتسمت.

قلت: «كان يتحدث عنك.. إنه يحبك».

قالت: «إن له منزلة عظيمة فى نفسى، وأعتبره بمثابة جدى».

أسفر تفتيشى عن اكتشاف شيئين مثيرين للفضول، كان أحدهما وعاءً خشبيًا عميقًا مليئًا بشعر ذهبى اللون.

قلت: «هل هذا شعرك؟»

Twitter: @alqareah

فأومـأت برأسها: «مـن أجل الطيور التى تبحث عـن مواد لبناء أعشاشـها. أنا أضعه خـارج المنزل فى الربيع وأفعل ذلك منذ كنت طفلة صغيرة، لكن عدد الطيور التى كـانت تستعمله عندما كنا فى الشمال كان أكبر».

أما الشىء الثانى فـقد كان موجودًا على رف كتب. كـان عبارة عن عربة لعبة صـغيرة فى حجم قبضة يـدى ومصنوعة من الخشب ومحـمَّلة عن آخرهـا بالحصى، وتناثرت حـصوات أخـرى عديدة بجوار عجلات العربة، وبدت كأنها لعبة أثرية عتيقة الطراز.

أشرت إلى العربة وقلت: «هل تجمعين الأحجار أم ماذا؟»

قالت: هذه عـربة سعادتى، والحقـيقة أنه يمكن تسـميتهـا عربة تعاستى أيضًا، إلا أننى أفضل التسمية الأولى.

«وما حكاية هذه العربة؟»

«تعبـر هذه العربة عن مشاعـرى، فعندما يدخل أمرٌ مـا السرور إلى نفسى، أضع حـصاة فى العـربة، وعندما أكون حـزينة، أخرج حصاة منها. المجموع الكلى 20 حصاة».

أحصيت الحصوات الموجـودة على الرف فوجدتها ثلاثًا. «وإذًا توجد 17 حصاة فى العربة الآن.. أليس كذلك؟»

Twitter: @alqareah

«فعلاً»

«ويعنى ذلك أنك سعيدة إلى حد ما».

«هذا صحيح».

«ما أكبر عدد من الحصوات تجمَّع فى العربة حتى الآن؟»

ارتسمت على ثغرها ابتسامة ماكرة وقالت: «إنك تنظر إليه الآن».

لم تعد كومة من الحصوات فى نظرى.

قالت: «عادة يكون المجموع أكثر توازنًا فينقسم إلى عشر حصوات داخل العربة وعشر أخرى خارجها، أو 12 فى هذا الجانب أو ذاك.. مثل الحياة».

قلت: «ما أقل عدد من الحصوات تجمَّع فى العربة على الإطلاق؟»

«أوه...» رفعت رأسها إلى السقف وأغمضت عينيها. «ذات مرة انخفض العدد إلى ثلاث حصوات».

صدمتني الإجابة فقلت: «حقًا؟ أنت؟»

فردت: «ولم ينبغى ألا يحدث هذا لى؟»

Twitter: @alqareah

«لا يبدو عليك أنك من هذا النوع».

«وأى نوع ذاك؟»

«لا أدرى..» ورحت أفتش فى ذهنى عن الكلمات المناسبة.

فقالت محاولةً مساعدتى على الإجابة: «النوع التعيس؟»

هززت منكبى.

التقطت حصاة من فوق الرف وأسقطتها وهى تبتسم داخل العربة. «حسنًا يمكنك أن تدعونى الآنسة التى لا يمكن التنبؤ بتصرفاتها».

انضممت إلى الأسرة على العشاء، وتناول ثلاثة منا قطعا من اللحم، أما رابعنا (خمن من يكون) فقد كان نباتيًا، إذ تناولت هي توفو.

كان أبواها ينادیانها باسم ستار جيرل أو «ستار» بدون تكلف وكأن اسمها چنيفر.

بعد العشاء جلسنا على عتبة المنزل الأمامية، وكانت قد أحضرت الكاميرا الخاصة بها معها، وكان هناك ثلاثة أطفال صغار

Twitter: @alqareah

ـ بنتان وولد ـ يلعبون فى ممر خصص للسيارات عند الناحية المقابلة من الشارع، والتقطت لهم عدة صور.

سألتها: «لم تفعلين ذلك؟»

قالت: «هل ترى الولد الصغير الذى يعتمر قلنسوة حمراء؟ إن اسمه بيتر سينكوڤيتز ويبلغ من العمر 5 سنوات، وأنا أكتب سيرته الذاتية».

للمرة العاشرة خلال ذلك اليوم تفاجئني. «سيرة ذاتية؟!» كان بيتر سينكوڤيتز يتحرك على زلاجة بلاستيكية بأربع عجلات على شكل موزة فى ممر السيارات والبنتان تركضان خلفه وتصرخان. «ولم تريدين القيام بذلك؟»

التقطت صورة أخرى وقالت: «ألا تتمنى أن يأتى إليك شخص ما اليوم ويعطيك دفتراً بعنوان "حياة ليو بور لوك".. سجل أو مفكرة مذكور فيها ما فعلته فى التاريخ الفلانى عندما كنت طفلاً صغيراً.. مفكرة ترصد أحداثًا وقعت فى أيام سقطت من ذاكرتك، وتحتوى على صور، وهناك أيضًا أشياء رميتها أو تخلصت منها مثل الغلاف الورقى لقطعة حلوى. وكل ذلك فعله جار لك يقيم فى الجهة المقابلة من الشارع دون أن تدرى.

Twitter: @alqareah

ألا تعتقـد أنك بعد 50 أو 60 سنة من الآن ستكون مسـتعدًا لدفع ثروة هائلة نظير شيء كهذا؟»

أخذت أفكر فيما قالته. لقد انقضت عشر سنوات منذ أن كنت في السادسة مـن عمرى، ومع ذلك فقد بدت لى هـذه المدة وكأنها قرن. كانت محققة بشـأن شيء واحد: لم أكن أذكر الكثير عن تلك الأيام البعيدة، لكننى لم أكترث أيضًا فى حقيقة الأمر.

قلت: «كلا.. لا أظن ذلك. على أى حال ألا تعـتقدين أن أبويه يفعلان ذلك من خلال ألبومات الصور العائلية وكل هذه الأشياء؟

تمكنت إحدى البنتين من انتـزاع الزلاجة من بيتر سيـنكوڤيـتز، فبدأ ينتحب.

قالت: «أنا واثقة أنهما يفـعلان ذلك» وهي تلتقط صورة أخرى ثم أردفت قـائلة: «إلا أن تلك الـصور وتلـك اللحظات مـتكلَّفـة وباسمة. إنها ليست حقيقية وعفوية كالصور التى التقطها. يومًا ما سيـحب صورته وهو يبـكى بينما بنت صـغيرة تـنطلق بعيـدًا فوق زلاجته. إننى لا أتبعـه مثلما فعلت مع كلاريسا بـل فقط أراقبه من بعـيد ثم أدون مـرتين فى الأسبـوع ما شـاهدته يفعله ذلك الـيوم، وسوف أواصل القيـام بذلك بضع سنوات أخرى ثم أعطى المفكرة

Twitter: @alqareah

لأبويه لكى يقدماها له عندما يصبح أكبر سنًا ومستعداً لتقدير قيمتها. «ارتسمت على وجهها نظرة حيرة ولكزتنى بكوعها وقالت: «ماذا؟»

قلت: «هه؟»

إنك ترمقنى بنظرة غريبة. ما الأمر؟»

فقلت بدون تفكير: «هل تريدين أن تكونى قديسة؟»

ما أن غادرت هذه الكلمات شفتى، حتى شعرت بالندم ونظرت هى إلىَّ والألم بادٍ فى عينيها.

قلت لها: «آسف.. لم أقصد أن أكون فظًا».

«وماذا كنت تقصد؟»

«التعبير عن اندهاشى على ما أظن».

«اندهاشك مماذا؟»

ضحكت وقلت: «ماذا تظنين؟ أنتِ».

ضحكت مرة ثانية ووقفت أمام درجات السلم مواجهًا إياها.

«انظرى إلى نفسك. إن اليوم هو السبت، وقد قضيت معك اليوم

Twitter: @alqareah

كله وأمضيت أنتِ اليوم بطوله فى أداء أعمال من أجل أناس آخرين، أو الاهتمام بأناس آخرين أو السير خلسة وراء أشخاص آخرين أو التقاط صور لأشخاص آخرين».

رفعت بصرها نحوى. كان الألم قد زال من عينيها، ولكن ليس الحيرة. رمشت بعينيها وقالت: «وإذًا؟»

«وإذا.. أنا لا أعرف ما أقوله».

«يبدو لى أنك تريد أن تقول أننى مهووسة بالناس الآخرين.. أليس كذلك؟»

ربما كانت الزاوية هي السبب، إلا أن عينيها الشبيهتين بعينى الغزال بدتا أكبر من المعتاد وهى تنظر إلى، ووجدت نفسى أبذل جهدًا لأحافظ على توازنى لكيلا أسقط فيهما. قلت: «إنك مختلفة.. هذا أمر أكيد».

خفضت جفنيها وابتسمت لى ابتسامة بها غزل وقالت: «ألا تحب الاختلاف؟»

قلت متسرعًا: «بالتأكيد أنا أحبه».

Twitter: @alqareah

ارتسمت على وجهها نظرة كأنما اكتشفت شيئًا ما فجأة، ومدت قدمها ونقرت حذائى الرياضى. «إننى أعرف ما هى مشكلتك».

قلت: «حقًا؟ وما هى؟»

«إنك تشعر بالغيرة والضيق لأننى أعطى كل اهتمامى للناس الآخرين ولا أعطيك اهتمامًا كافيًا».

قلت: «هذا صحيح.. أنا أغير من بيتر سينكوفيتز».

نهضت. «إنك تريدنى أن أعطيك كل اهتمامى أليس الأمر كذلك؟» ثم اقتربت منى وتلامس أنفانا، وألقت ذراعيها حول عنقى وقالت: «أليس كذلك يا سيد ليو؟»

كنا واقفين على الرصيف أمام منزلها على مرأى من كل الناس فقلت لها: «ماذا تفعلين؟»

قالت مداعبة: «أعطيك بعض الاهتمام.. ألا تريد بعض الاهتمام؟»

كنت أوشك أن أنهزم فى معركتى من أجل المحافظة على توازنى.

سمعت نفسى أقول: «لا أدرى».

Twitter: @alqareah

همست فى أذنى قائلة: «إنك مغفل حقًا».

«هل أنا كذلك؟»

«نعم.. لِمَ تظن أن هناك 18 حصوة فى عربتى؟» ثم تلاشت المسافة الأخيرة الباقية بين شفتينا وسقطت فى عينيها.. هناك فى بالو ڤيردى بعد العشاء، وأؤكد لكم أنها لم تكن تلك قبلة قديسة بالمرة.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث والعشرون

كانت أفضل أوقات نقضيها سويًا هى تلك التى كنا نمضيها وحدنا معًا خارج المدرسة. كنا نسير مسافات طويلة حول البلدة ثم داخل الصحراء إلى مكانها المسحور، وكنا نجلس على المقاعد الطويلة فى المتنزهات على مرأى من الناس وعرَّفتها على مخفوق الفراولة بالموز واقترضت السيارة البيك أب ذات مرة وذهبنا بها إلى ريد روك وجلينديل. وفى عطلات نهاية الأسبوع كنا نذهب إلى منزل آرتشى. فى شرفته الخلفية كنا نتحدث عن آلاف الأشياء ونضحك ونتشى برائحة دخان الغليون ونأكل البيتزا. وألقت الخطبة التى ستشارك بها فى مسابقة الخطابة أمام سنيور ساجوارو، ولم نتكلم أبدًا عن النبذ. لقد أحببنا عطلات نهاية الأسبوع.

إلا أن بعد أيام الآحاد كانت تأتى أيام الاثنين.

وبات واضحًا الآن أن النبذ والإعراض صار موجهًا لى.. لم يكن تامًا وكاملاً مثلما هو معها، ولكنه كان هناك.. رأيته فى العيون التى كانت تتحاشى عينى والأكتاف التى كانت تستدير وأصوات الثرثرة التى بدت خافتة بجوارى أكثر مما كانت فى الماضى. قاومت هذا الإعراض واختبرت حدوده.. فى الفناء بين

Twitter: @alqareah

الحـصص وفى قـاعة الغـداء.. كنت أنادى الآخـرين لأرى كـيف ستكون استجابتهم، وحينمـا كان شخص ما يستدير ويومئ برأسه كنت أشـعر بالامـتنان. وإذا خاطبنى أحـد ـ خاصـة إذا لم أكن أنا البادئ بالكلام كنت أشـعر برغبة فى البكاء من فـرط سرورى. لم أدرك أبدًا من قبل مدى احـتياجى إلى اهتمـام الآخرين لكى أؤكد وجودى.

قلت لنفـسى أن الإعـراض كـان أكـثـر إيلامًـا لى منه لسـتـار جيـرل.. قلت لنفسى إنها مشـغولة بدرجة لا تسـمح لها بملاحظة أنها مـحل تجاهل والحقـيقة أنها واصلت عـزف أغنية عيـد الميلاد على قيثارتهـا وتزيين مكتبها فى الفصل وتوزيع لطفها واهتـمامها على من حولها.. قلت لنفسى إنها حتى إذا لاحظت فلن تبالى.

فهـمت لماذا كان ذلك يحـدث لى، ففى أعيـن الطلاب، كانت تشكل جـزءًا من هويتى.. كنـت «صـديقـهـا».. كنت مـسـتـر ستارجيرل.

قال الطلاب أشيـاءً لم يقولوها لى مباشرة بل تعـمدوا أن يبدو الأمر وكـأننى سمعتـها منهم بالصدفـة وهم يتظاهرون بأننى لست موجودًا بالقرب منهم. قالوا إنها مريضة بحب الظهور، وقالوا إنها

Twitter: @alqareah

تظن نفسها قديسة، وأنها أفضل منا جميعًا. قالوا إنها تريد أن يشعر الجميع بالذنب لكونهم ليسوا لطفاء ورائعين مثلها.. قالوا إنها دجَّالة ومحتالة.

الأهم من ذلك، أنهم قالوا إنها كانت السبب فى عدم فوز فريق ميكا إليكترونز ببطولة ولاية أريزونا. لقد كان كيڤين على حق: عندما بدأت تهلل تشجيعًا للفرق الأخرى، أساءت لفريقها وألحقت بروحه المعنوية ضررًا لم تستطع ساعات المران الطويلة علاجه، ثم جاءت القشة التى قصمت ظهر البعير ـ من وجهة نظر الجميع فيما يبدو ـ أثناء مباراة صن ڤالى عندما هرعت ستار جيرل عبر الملعب نحو كوڤاك نجم فريق صن ڤالى. كل ذلك أكده أردسلى نجم فريقنا نفسه، فقد قال إنه عندما شاهد فتاة من فريق تشجيع ميكا تهدئ من روع العدو وتحنو عليه، فترت همته ووهنت عزيمته. كانت هى السبب فى هزيمتنا هزيمة نكراء فى المباراة التالية أمام فريق ريد روك. لقد كرهوها من أجل ذلك ولن يغفروا لها أبدًا.

على عكس ستار جيرل كنت أعى مشاعر الغضب التى كانت تعتلج فى نفوس زملائنا فى المدرسة وتتسلل كالأفاعى أسفل شرفة مسقوفة. فى الحقيقة لم أكن فقط أعيه، بل تفهمت أيضًا

Twitter: @alqareah

وجهة نظرهم فى بعض الأوقات، وجاءت على لحظات كنت أشعر فيها أن شيئًا ما صغيراً وكامنًا داخلى موافق عليها، ولكننى كنت أرى ابتسامتها وأغوص فى عينيها الواسعتين، فتختفى تلك اللحظات السيئة.

شاهدت وسمعت وفهمت وعانيت. ولكن لأجل من كنت أعانى وأتعذب؟ ظللت أفكر فى سؤال سنيور ساجوارو: حب من أهم بالنسبة لك: حبها أم حب الآخرين؟

واستولى على شعور بالغضب، وكرهت اضطرارى للاختيار.. رفضت أن أختار. تخيلت حياتى بدونها وبدونهم، ولم ترق لى فى أى الحالتين. وتظاهرت أن الحال لن يستمر هكذا. وفى ضوء القمر السحرى الساقط على سريرى فى الليل، تظاهرت أنها ستصبح مثلهم ويصبحون مثلها وفى النهاية سأظفر بها وبهم.

ثم فَعَلت شيئًا جعل التظاهر مستحيلاً.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع والعشرون

«طائر الجواب»

لم يقل لى أحدٌ الكلمة مباشرةً، ولكننى ظللت أسمعها منذ أن وصلت إلى المدرسة فى أحد الأيام، بعد قبلة الرصيف فى تلك الليلة بعدة أيام.. كلمة أخذ الطلاب يتهامسون بها فيما بينهم وطرقت سمعي أينما ذهبت..

«طائر الجواب».

هل يوجد شيء على اللوح الخشبى المصنوع على هيئة طائر الجواب ينبغى أن أقرؤه؟

كان لدى قاعة دراسة فى الحصة الثالثة فقررت أن أذهب لأستطلع الأمر عندئذ. فى الوقت نفسه، كانت الحصة الثانية عن مادة اللغة الأسبانية، وبينما كنت أتجه إلى مقعدى نظرت خارج النافذة التى كانت تطل على الفناء. كان هناك شيء مكتوب على اللوح الخشبى.. هذا صحيح.. ولكن لم تكن هناك حاجة إلى أن أخرج لأقرؤه. فقد كان باستطاعتى قراءته من مكانى هنا.. كان يمكننى أن أقرؤه من طائرة تطير على ارتفاع منخفض. ورقة بيضاء ـ كلا لقد كانت ملاءة سرير ـ غطت الطائر بأكمله، ورُسم على الملاءة باللون الأحمر قلب فالنتين احتوى بداخله على الكلمات التالية:

Twitter: @alqareah

ستارجيرل

تحب

ليو

للوهلة الأولى خطر لى أن أجذب مدرس اللغة الأسبانية إلى النافذة وأقول: «انظر! إنها تحبني!» ثم شعرت برغبة ملحة فى الركض إلى حيث توجد اللافتة وتمزيقها.

حتى الآن لم أكن أبدًا هدفًا فى جملة العداء الصريح ضدها، وشعرت فجأة أن علاقة غريبة تربطني بهيلاري كيمبل وفهمت فجأة لماذا أمرت هيلارى كيمبل ستار جيرل بعدم الغناء لها، وشعرت كأنما الأضواء مسلطة عليّ فوق مسرح خالٍ.

ولم أستطع التركيز على عملى الدراسى أو أى شىء آخر.. كنت مضطربًا.

فى فترة الغداء فى ذلك اليوم، كنت أخشى النظر إليها، وحمدت الله على نعمة واحدة: أن الشجاعة لم تواتنى من قبل لكى أجلس معها كل يوم. تعمدت إطالة الحديث مع كيفين، وأنا شاعر بوجودها وعينيها على مسافة ثلاث موائد إلى يسارى. كنت أعلم أنها جالسة هناك مع دورى ديلسون، الصديقة الوحيدة التى

Twitter: @alqareah

لم تهجرها، وشعـرت بنظراتها تلسع قفاى، فمـال رأسى متجاهلاً رغبتي من تلقـاء نفسه رغمًا عنى ورأيتهـا هناك: تبتسم وتلوح لى و ـ يا للهـول! ـ ترسل إلى قبلة فـى الهواء. أشـحت عنها بوجـهى ثانية وجذبت كيڤين إلى خارج قاعة الغداء.

وعندما واتتنى الشجاعة فى النهاية لأنظر إلى الفناء مرة أخرى، اكتشفت أن شخصًا مـا نزع اللافتة، ولم يتبق منها إلا أربعة أجزاء ممزقة مثبتة بدبابيس فى أركان اللوح الخشبى.

تمكنت من تحاشيها بسلوك طرق مختلفة بين الحصص، إلا أنها عثرت على بعد المدرسة وصاحت نحوي وأنا أحاول الفرار قائلة: «ليو!ليو!»

ثم اندفـعت نحوى وهى لاهثـة الأنفاس وعـيناها تلمعـان فى ضوء الشمس: «هل رأيتها؟»

أومأت برأسي وواصلت سيرى.

قالت وهى تحـجل بجوارى وتلكمنى فى كتفى: «حسـنًا؟ ماذا ترى؟».

ماذا كـان بوسعى أن أقول؟ لم أرد إيذاء مشـاعرها، فاكتـفيت بهز كتفى.

Twitter: @alqareah

«لشد مـا كانت إجابة مبـهرة.. هه؟» كانت تسخـر منى. مدت يدها داخل حقيبتها وأخرجت فأرها. وقالت: «ربما كان خجولاً يا سينامـون.. ربما أخبـرك أنت عن مدى الإثارة التى أحـسهـا عندما شاهد اللافتة» ثم وضعت الفأر على كتفي.

صدر مني صوت كالعواء وأزحت الفـأر عن كتفى فسقط على الأرض.

فأخذته بين يديها وأخذت تمرر أصـابعها فوق فرائه وهى تحدق إلى وجـهى. لم أستطع مـواجهـتهـا فاستـدرت وواصلت سـيرى بمفردي.

نادتنى قـائلة: «أظن أنك لا تـريد أن تسـمعـنى وأنا أتمرن على إلقاء خطبتى .. هه؟»

لم أرد عليها ولم أنظر خلفى.

فى اليوم التالى، واجهت التـأثير الكامل للافتة. كنت أظن أننى كابدت معـاناة حقيقية من تناثر بعض قطرات الإعـراض عن ستار جيـرل على، لكننى أدركت أن ما فات كان لا شيء بعـد أن تحول السيل بأكمله نحوى.

Twitter: @alqareah

بالطبع كان كيڤين يتكلم معى (حمدًا لله)، وكذلك عدد قليل من الأصدقاء الآخرين، إلا أن الباقين ظلوا صامتين، وهكذا أضيفت صحراء ثانية إلى الصحراء التى كنت أعيش فيها بالفعل.. صحراء كانت كلمة «مرحبًا» نادرة فيها كالمطر. كنت أجىء إلى فناء المدرسة فى الصباح قبل موعد قرع الجرس، فلا أرى إلا ظهورًا.. وكان الطلاب يمرون بجوارى وينادون أشخاصًا آخرين.. أُغلقت الأبواب فى وجهى.. كانت هناك ضحكات وكان هناك مرح، ولكنها كانت تتخطانى كما ينزلق حجر مسطح فوق الماء.

وذات صباح، كنت أؤدى مهمة كلفنى بها أحد المعلمين، فشاهدت شخصًا يدعى رينشو يسير عبر الفناء. كنت أعرف هذا الصبي بالكاد، ولكن لم يكن هناك أحد فى الفناء سوانا فى تلك اللحظة، وكان على أن ألمس الفرن الذى كنت أعلم أنه ساخن كما يقولون. ناديته «رينشو!».. لم يكن هناك إلا صوتى. «رينشو!» ولكنه لم يستدر.. لم يتردد.. لم يبطئ خطاه، بل واصل سيره وفتح بابًا واختفى وراءه.

«وماذا فى ذلك؟» «ظللت أقولها لنفسى. لم تأبه له؟ إنكما لا تتكلمان مع بعضكما أبدًا.. ماذا يعنى رينشو بالنسبة لك؟»

Twitter: @alqareah

ولكننى في الحقيقة كنت أبالى.. لم أستطع منع نفسى من المبالاة. فى تلك اللحظة لم أرغب فى شىء فى العالم أكثر من رؤية رينشو يومئ لى برأسه، ودعوت الله أن ينفتح الباب على مصراعيه ويبرز منه قائلاً: «آسف يا بورلوك، لم أسمعك. ماذا كنت تريد؟» إلا أن الباب ظل موصداً وعرفت عندئذ معنى أن تشعر أنك غير مرئى.

قلت لكيفين على الغداء: «إننى غير مرئى.. لا أحد يسمعنى.. لا أحد يرانى.. إننى الرجل الخفى».

نظر كيفين إلى غدائه وهز رأسه.

سألته: «إلى متى سأظل على هذا الحال؟»

هز كتفه.

قلت بصوت متهدج: «ما الذى فعلته؟»

مضغ طعامه وحدق بى وأخيراً قال: «أنت تعرف ماذا فعلت».

رحت أتفرَّس فى وجهه كأنما به مس من الجنون، وظللت أضايقه بأسئلتى، ولكنه كان محقًا تمامًا بالطبع، فقد كنت أعرف ماذا فعلت، لقد ربطت نفسى بشخص غير محبوبٍ.. تلك كانت جريمتى.

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس والعشرون

مـرت الأيام، وظللت أنا أتجـنب سـتـار جـيـرل. كنت أريدها وكنت أريدهم، ولكنني لم أستطع أن أحصل عليهما معًا، ولذا لم أفعل شيئًا، بل فررت واختبأت.

غيـر أنها لم تيأس مني ولم تتخـل عني، بل ظلت تبحث عني، إلى أن عثرت على ذات يوم في الاستديو التليفزيوني بعد المدرسة. أحسست بأصابع تـتسلل إلى قفاي وتمسك بياقة قـميصي وتجرني إلى الوراء. وقف أفراد الطاقم يحدقون وسمعتها تقول: «يجب أن نتحدث يا سيد بورلوك». وفطنت من نبرة صوتها إلى أنها لم تكن تبتسم. تركت ياقتي وتبعتها أنا إلى خارج الحجرة.

في فناء المدرسـة، كـان طالـب وطالبـة جـالسـين على المقـعـد الطويل تحت نخلة البلميط؛ فلما رأيانا نهضـا من مكانيهما وغادرا المكان مسرعين، فجلسنا هناك.

ابتدرتني قائلة: «وإذًا هل انتهى كل ما بيننا؟»

قلت: «لا أريد ذلك».

قالت: «إذًا لماذا تختبئ مني؟»

Twitter: @alqareah

الآن وقد أصبحت مجبراً على مواجهتها والتحدث إليها، شعرت بروح المبادرة تتنامى بداخلى. قلت: «شىء ما يجب أن يتغير.. هذا كل ما أعرفه».

«هل تقصد تغيير الملابس؟ أم تغيير إطار سيارة؟ هل ينبغى أن أغير إحدى عجلتى دراجتى؟ هل هذا هو التغيير الذى تقصده؟»

«لا تستظرفى. أنت تعلمين ما أعنيه».

رأت إمارات الضيق مرتسمة على وجهى، فاكتسى وجهها بالجدية.

قلت: «الناس لا يتكلمون معى». حدقت إلى وجهها واستجمعت شجاعتي ثم أردفت قائلاً: «أناس أعرفهم منذ أن انتقلنا إلى هنا. إنهم لا يتحدثون إلى.. لا يرونني».

مدت يدها وأخذت تربت برفق على ظهر يدى بأطراف أصابعها. كانت عيناها حزينتين. «أنا آسفة لأن الناس لا يرونك. أن تكون غير مرئى فهذا شىء مزعج.. أليس كذلك؟»

سحبت يدى بعيداً وقلت: «صفى لى أنتِ هذا الشعور. ألا يضايقك عدم تحدث أى أحد معك؟» كانت هذه أول مرة أذكر فيها مسألة الإعراض أمامها بصراحة.

Twitter: @alqareah

ابتسمت وقالت: «دورى تتكلم معى.. أنت تتكلم معى.. آرتشى يتكلم معى.. أسرتى تتكلم معى.. سينامون يتكلم معى.. سينور ساجوارو يتكلم معى.. أنا أتكلم مع نفسى». عطفت رأسها وحدقت فى، منتظرة أن أرد على كلامها بابتسامة، ولكنى لم أفعل وقالت: «هل ستكف عن التكلُّم معى؟»

قلت: «ليست تلك هى المسألة».

«المسألة هى» ـ «حاولت أن أقرأ وجهها ولكننى لم أستطع» ـ «ما الذى يجعلك تتكتكين؟»

«الآن غدوت ساعة!»

أشحت عنها بوجهى وقلت: «أرأيت .. لا أستطيع التكلم معك.. إن المسألة مجرد مزحة بالنسبة لك».

أخذت وجهى بين يديها وأدارته نحوها، وتمنيت لحظتها ألا يكون الطلاب يشاهدوننا من النوافذ. «حسنًا.. أنا جادة الآن.. سلنى سؤال التكتكة مرة أخرى أو أى سؤال آخر تريده».

هزرت رأسى وقلت: «إنك لا تكترثين وحسب».

Twitter: @alqareah

أربكها قولى فقالت: «أكترث؟ كيف تقول يا ليو أننى لا أكترث؟ لقد ذهبنا معًا إلى أماكن وسلمنا بطاقات وزهوراً.. كيف يمكنك أن تقول ـــ».

قاطعتها قائلاً: «ليس هذا ما أعنيه.. إنما أعنى أنك لا تكترثين لما يعتقده الناس».

«أنا أكترث لما تعتقده أنت. أكترث ـ».

«أعلم ـ أنت تكترثين لما يعتقده سينامون وسنيور ساجوارو.. إننى أتكلم عن المدرسة، البلدة.. أتكلم عن الجميع».

قالت باستهزاء: «الجميع؟»

«صحيح. لا يبدو أنك تكترثين لما يعتقده الجميع. لا يبدو أنك تعرفين ما يفكر فيه الجميع.. أنت ـ».

قاطعتنى قائلة: «وهل تعرف أنت؟»

فكرت لحظة ثم أومأت برأسى إيماءةً قوية. «نعم.. نعم.. أعتقد أننى أعرف. أنا على اتصال بالجميع.. أنا واحد منهم. كيف لى ألا أعرف؟»

Twitter: @alqareah

«وهل يهمك ذلك؟»

«بالتأكيد يهمنى. انظرى» (وأشرت إلى المدرسة) «انظرى ما يجرى هنا. لا أحد يتحدث إلينا لا يمكنك ألا تكترثى لما يعتقده أى شخص ببساطة. لا يمكنك أن تهتفى مشجعة الفريق الآخر ثم تتوقعى أن تحبك مدرستك بعد ذلك». كلمات ظللت أفكر فيها لمدة أسابيع أخذت تتدفق الآن خارج فمى. «كوفاك ـ كوفاك، بحق الله، فيم كان كل ذلك؟»

بدت عليها الحيرة وقالت: «من هو كوفاك؟»

«كوفاك.. لاعب صن فالى.. نجم كرة السلة .. الفتى الذى انكسر كاحله».

كانت لا تزال متحيرة. «ماذا عنه؟»

«ماذا عنه؟ ماذا عنك أنتِ؟ ماذا كنت تفعلين على الأرض حينما وضعت رأسه فى حجرك؟»

«لقد كان متألما».

«لقد كان العدو يا ستار جيرل ! سوزان.. أيًا كان اسمك. لقد كان العدو!» أخذت تحدق إلى وجهى فى صمت ورمشت بعينيها

Twitter: @alqareah

عندما قلت «سوزان». «كان هناك الآلاف من مشجعى صن ڤالى هناك.. كان لديه أهل بلدته ليعتنوا به، ومدربوه وزملاؤه فى فريقه وفريق فتيات تشجيع فريقه. وكان عليك أن تعتنى أنت بفريقك». كانت أعصابى ثائرة فنهضت من مكانى ومشيت بعيداً ثم عدت وانحنيت فوقها: «لماذا؟ لماذا لم تتركينه ليعتنى به قومه؟»

نظرت إلي طويلاً وكأنها تبحث عن إجابة في وجهي ثم قالت بصوت خافت فى النهاية: «لا أدرى.. لم أفكر.. بل فعلت ما فعلت وحسب».

أمسكت عن الكلام .. كنت أشعر برغبة فى أن أقول لها «حسنًا آمل أن تكونى راضية الآن لأنهم يكرهونك بسبب ما فعلتيه»، ولكن قلبى لم يطاوعنى.

الآن بدأت أشعر بالأسف من أجلها. عدت وجلست بجوارها وأمسكت بيدها وابتسمت، وتحدثت إليها بلطف قدر استطاعتى. «ستار جيرل.. لا يمكنك أن تستمرى فى سلوكياتك الحالية. ولو أنك لم تتلقِ تعليمك فى المنزل طوال عمرك لفهمتِ ما أقوله. لا يمكنك أن تستيقظى من النوم فى الصباح وتقولى أنك لا تبالين بما يعتقده بقية العالم».

Twitter: @alqareah

كانت عيناها متسعتين وصوتها ضعيفًا كصوت بنت صغيرة: «ألا أستطيع ؟»

«ما لم تريدى أن تكونى ناسكة».

ضربت حذائى الرياضى بطرف تنورتها فنثرت التراب عليه. «ولكن كيف تظل على اتصال ببقية العالم؟ أحيانًا أجد مشقة كبيرة فى البقاء على اتصال بنفسى».

قلت: «ليس هذا شيئًا ينبغى عليك أن تفكرى فيه، بل تعرفينه وحسب.. لأنك متصلة بما يدور حولك».

على الأرض، انبعث صوت ضعيف من حقيبتها: كان الفأر سينامون يتحرك. ارتسمت على وجه ستار جيرل سلسلة من التعبيرات انتهت بأن هتفت فجأة وهى تنشج: «أنا لست متصلة بما يدور حولى!» مالت نحوى وتعانقنا على المقعد الطويل فى فناء المدرسة ثم مشينا إلى المنزل معًا.

واصلنا هذه المحادثة فى اليومين التاليين وشرحت لها أحوال الناس وطبائعهم، وقلت لها إنها لا يمكنها أن تهتف مشجعةً

Twitter: @alqareah

الجميع. قالت ولم لا؟، فقلت إن كل إنسان ينتمى إلى جماعة، ولا يمكنك أن تنتمى إلى كل الناس. قالت ولم لا؟ قلت لا يمكنك أن تحضرى جنازة شخص غريب تمامًا عليك. قالت ولم لا؟ قلت لا يمكنك وحسب. قالت ولم لا؟ قلت لأن. قلت ينبغى عليكى أن تحترمى خصوصية الناس الآخرين، وأن هناك شيئًا اسمه «ألا تكون موضع ترحيب». قلت ليس كل الناس يحبون أن يغنى لهم شخص ما أغنية «عيد ميلاد سعيد» على قيثارة . فقالت: «ألا يحبون ذلك؟»

قلت إن روح الانتماء للجماعة قوية للغاية وربما كانت غريزة. إنك تجدينها فى كل مكان من الجماعات الصغيرة مثل الأسر إلى الجماعات الكبيرة مثل البلدة أو المدرسة وهناك جماعات كبيرة حقًا مثل بلد بأسره. قالت وماذا عن الجماعات الكبيرة جداً مثل الكواكب؟ قلت أيًا كان حجم الجماعة، فإن النقطة الجوهرية هى أنه فى الجماعة يتماثل سلوك الجميع بدرجة كبيرة، وهذا ما يربط أفراد الجماعة ببعضهم. قالت الجميع؟ قلت: حسنًا معظمهم.. وهذا هو الغرض من إنشاء السجون ومستشفيات الأمراض العقلية.. للمحافظة على ذلك التماثل. قالت هل تعتقد أنه يجب

Twitter: @alqareah

إيداعى السجن؟ قلت يجب أن تحاولى أن تكونى مثلنا بدرجة أكبر.

قالت: «لماذا؟»

قلت: «لأن».

قالت: «أخبرنى».

قلت: «من الصعب على قول السبب».

قالت: «قله».

قلت: «لأن لا أحد يحبك.. هذا هو السبب.. لا أحد يحبك».

قالت: «لا أحد؟ غطتنى عيناها كالسماء. لا أحد؟»

حاولت أن أبدو متبلد المشاعر، ولكننى لم أستطع. قلت لا تنظرى إلى.. إننا نتكلم عنهم.. عنهم.. لو كان الأمر بيدى ما غيرت شيئًا، فأنت تروقين لى كما أنت، ولكننا لسنا بمفردنا.. أليس كذلك؟ إننا نعيش فى عالمهم، شئنا أم أبينا.

حاولت أن ألقى باللوم عليهم ولم أذكر نفسى. لم أقل لها غيرى من نفسك من أجلى.. لم أقل لها إذا لم تتغيرى، فسوف تنتهى علاقتنا.. لم أقل ذلك أبدًا.

وبعدها بيومين اختفت ستار جيرل.

Twitter: @alqareah

الفصل السادس والعشرون

كنت أشاهدها فى فناء المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسى عادةً، ولكننى لم أشاهدها فى ذلك اليوم. كنا نمر بجوار بعضنا بين الحصص مرة أو مرتين على الأقل قبل الغداء. ولكن ليس ذلك اليوم. فى الحقيقة عندما مددت بصرى إلى مائدتها وقت الغداء، شاهدت دورى ديلسون جالسةً كالمعتاد، لكن فتاة أخرى كانت تجلس معها، ولا أثر لستار جيرل على مرمى البصر.

سمعت وأنا أهم بالخروج من قاعة الغداء ضحكةً خلفى، ثم صوتًا.. صوت ستار جيرل: «ما الذى ينبغى أن تفعله لتلفت انتباه شخص ما هنا؟»

استدرت ولكنها لم تكن ستار جيرل. كانت الفتاة الواقفة أمامى تبتسم وترتدى سروالاً من الجينز وصندلاً، وقد طلت أظافر أصابعها وشفتيها بلون أحمر محروق وحددت عينيها بالكحل والمسكرا، وتلبس خواتم فى أصابعها وفى أصابع قدميها وتضع فى أذنيها قرطين على شكل طوق كانا من الاتساع بحيث كان يمكننى أن أدخل يدى خلالهما، وشعرها..

Twitter: @alqareah

وقفت أحدق ببلاهة فيما أخذ الطلاب يمرون بجوارى. ابتسمت لى ابتسامة خرقاء وبدأت قسمات وجهها تلوح مألوفة لى. همست بتردد: «ستار جيرل؟»

طرفت رموش عينيها المصبوغة بلون الشيكولاتة وقالت: «ستار جيرل؟ أى اسم هذا؟ أنا اسمى سوزان».

وهكذا اختفت ستار جيرل ببساطة وحلت محلها سوزان.. سوزان چوليا كاراواى.. الفتاة التى كان من الممكن أن تكونها منذ البداية.

لم أستطع أن أحول بصرى عنها. كانت تحتضن كتبها بين ذراعيها، وقد اختفت الحقيبة المصنوعة من نسيج الكنفاه والمرسوم عليها زهرة عباد الشمس واختفى الفأر واختفت القيثارة. أخذت تدور حول نفسها ببطء بينما رحت أنا أتفحصها وأنا فاغر ثغرى ومذهول. لم أر شيئًا مختلفًا أو أحمقًا، فقد بدت عادية بصورة رائعة مذهلة.. بدت مثل مئات الفتيات الأخريات فى مدرسة ميكا الثانوية العليا. لقد ذابت ستار جيرل وسط بحرهن وغمرنى شعور بالإثارة والسرور. كانت تضع فى فمها قطعة من العلكة وتمضغها بصوت مرتفع .. كانت تغمز لى.. كانت تمد يدها وتقرص وجنتى

Twitter: @alqareah

مثلما كانت ستفعل جدتى وتقول: «ما الأمر يا عزيزى؟» وأمسكت يدها خارج قاعة الغداء ووسط جموع الطلاب، غير مبالٍ برؤيتهم لنا. فى الحقيقة كنت آمل أن يرونا أمسكت يدها وضغطتها. لم أشعر أبدًا بهذه السعادة والفخر فى حياتى.

رحنا نبحر خلال الزمن، فكنا نسير متشابكى اليدين فى الردهات وعلى السلالم وفى الفناء. وفى قاعة الغداء جذبتها نحو مائدتنا. ونظرت لأدعو دورى ديلسون، ولكنها كانت قد اختفت أيضًا. جَلَسْت هناك مُفتَّر الثغر عن ابتسامة عريضة، بينما أخذ كيڤين وسوزان يثرثران وهما يتناولان شطائرهما، ويمزحان بشأن ظهورها الكارثى فى برنامج المقعد الساخن. واقترحت سوازن أن أظهر أنا أيضًا فى برنامج المقعد الساخن يومًا ما فقال كلا إنه شديد الخجل فقلت له: لم أعد كذلك، وضحكنا جميعًا.

لم أكن أمشى بل أتبختر مختالاً.. كنت صديق سوزان كاراواى. أنا . حقًا؟ سوزان كاراواى تلك؟ تلك الفتاة التى تضع مشابك صغيرة فى شعرها وتلبس خواتم فى أصابع قدميها؟ نعم.. هذه الفتاة.. صديقتى.. يمكنك أن تدعونى مستر سوزان.

Twitter: @alqareah

بدأت أقول «نحن» بدلاً من «أنا» كأن أقول «سوف نتقابل هناك» أو «نحن نحب الفاهيتا».

وكلما وسعنى ذلك، كنت أنطق اسمها بصوت مرتفع، وكأننى أنفخ فقاعات، وأقوله لنفسى بقية الوقت.

سوزان... سوزان

كنا نؤدى واجباتنا المدرسية معًا، ونخرج مع كيفين، وبدلاً من التسلل خلسة وراء الغرباء كنا نذهب إلى السينما ونمد أيدينا معًا داخل عبوة سوبر تاب للفيشار والتى كان ثمنها 6 دولارات. وبدلاً من شراء زهور البنفسج الأفريقية، كنا نشترى فطائر القرفة ويلعق كلٌ منا السكر من أصابع الآخر.

كنا نذهب إلى مطعم بيزا بيتزا ونمر أمام لوحة النشرات المعلقة بجوار الباب وكنا نتقاسم فطيرة البيتزا الواحدة: النصف مغطى بالببرونى والنصف الآخر الأنشوجة.

قلت: «أنشوجة؟!»

قالت: «وما عيب الأنشوجة؟»

«كيف تستطيعن أكلها؟ لا أحد يأكل الأنشوجة».

Twitter: @alqareah

كنت أمزح، لكن وجهها كان جاداً. «لا أحد؟»

«لا أحد أعرفه».

التقطت الأنسوجة من الشرائح الخاصة بها وألقتها داخل كوب الماء أمامها.

حاولت أن أوقفها.. «مهلاً ـ ».

ولكنها أزاحت يدى، وأسقطت قطعة الأنسوجة الأخيرة فى الكوب. «لا أريد أن أكون مثل لا أحد».

وفى طريقنا للخروج، تجاهلنا لوحة النشرات.

كانت مجنونة بالتسوق، وكأنها اكتشفت الملابس لتوها، فكانت تشترى بلوزات وسراويل وشورتات واكسسوارات للزينة وأدوات مكياج. وبدأت ألاحظ وجود شىء مشترك بين قطع الثياب: كانت تحمل اسم المصمم فى مكان بارز. لقد بدا أنها تشترى ليس على أساس اللون أو الموديل، بل على أساس حجم البطاقة التى تحمل اسم المصمم.

كانت تسألنى باستمرار عما يفعله الأولاد الآخرون وما يشترونه وما يقولونه وما يعتقدونه. واخترعت شخصية وهمية

Twitter: @alqareah

أسمتها إيفيلين إيفرى بودى. «هل كانت إيفيلين ستحب الشيء الفلانى؟» «هل كانت إيفيلين ستفعل الشىء العلاني؟»

وأحيانًا كانت تبدو مضطربة وفى حالة غير طبيعية، فقد حدث ذات مرة أن ظلت تضحك بصورة هيستيرية عدة أيام، حتى أن الرءوس كانت تستدير ناحيتها فى قاعة الغداء، وكنت أحاول أن أتمالك أعصابى لأقول شيئًا عندما نظرت إلى كيفين ولى وقالت: «هل كانت إيفيلين ستضحك كل هذا الضحك؟» حدق كيفن في شطيرته وهززت أنا رأسي في ارتباك، وتوقف الضحك، وبدأت منذ تلك اللحظة تتقمص شخصية مراهقة مقطبة الجبين مزمومة الشفتين.

من كل النواحى بدت فتاة مراهقة نمطية وعادية كاللاتى نراهن كل يوم.

إلا أن الأمر لم يفلح.

فى بادئ الأمر لم ألاحظ ولم أبالِ كثيراً باستمرار الإعراض، فقد كنت مشغولاً بالاستمتاع بالتحول الذى طرأ عليها وجعلها واحدة منا، وكان الشىء الوحيد الذي أسفت له هو أننا لم نستطع اللعب فى موسم كرة السلة من جديد. وتصورتها بعين الخيال

Twitter: @alqareah

توجه كل حماسها وطاقتها اللذين لا يصدقان إلى فريق إليكترونز وحده. لقد كان بوسعنا أن نفوز فى المباريات بفضل تشجيعها وحده.

كانت هي من قالها أولاً: «إنهم لا يزالوا لا يحبوننى». كنا واقفين خارج الاستديو التليفزيونى بعد المدرسة، وكالمعتاد كان الناس يمرون بجوارنا وكأننا لسنا موجودين. ارتعشت شفتاها. «ما الشيء الخطأ الذى أفعله؟» وبدت عيناها أوسع بسبب الدموع.

ضغطت يدها وطلبت منها أن تصبر قليلاً، وقلت لها إن نهائيات دورة الولاية فى كرة السلة ستجرى فى فينيكس السبت القادم، وأن ذلك سيختتم الموسم ويمهد الطريق لنسيان الجرائم التى اقترفتها أثناء قيامها بالتشجيع.

كانت خطوط الماسكرا قد سالت على وجنتيها. لقد شاهدتها حزينة مرات كثيرة من قبل، ولكنها فى كل مرة كانت حزينة من أجل شخص آخر. إلا أن الأمر اختلف هذه المرة، فقد كانت حزينة على نفسها، وكنت أنا عاجزاً عن مساعدتها. لم أجد فى نفسى القدرة على تشجيع فتاة التشجيع.

Twitter: @alqareah

فى تلك الليلة أدينا الواجب المدرسى معًا فى منزلها، وذهبت إلى غرفتها لأتفقد عربة سعادتها، فوجدت داخلها حصوتين فقط.

وعندما جئت إلى المدرسة فى اليوم التالى، كان هناك شىء ما مختلف فى الغمغمة المختلطة فى الفناء. وكان بعض الطلاب القادمون يتجول على غير هدى والبعض الآخر يمشى فى جماعات، إلا أننى عندما اقتربت لاحظت وجود مساحة خالية واضحة حول نخلة البلميط، فمشيت فى ذلك الاتجاه وخلال الحشد المجتمع أبصرت شخصًا ـ سوزان ـ يجلس على المقعد الطويل. كانت تجلس منتصبة وتبتسم، وتحمل فى يدها عصا طولها قدم وطرفها على شكل مخلب، وحول عنقها تدلت لافتة مربوطة بخيط وكتب عليها: **تكلم معى وسوف أهرش ظهرك**. إلا أن أحدًا لم يقترب منها لمسافة 20 قدمًا حولها.

استدرت بسرعة وشققت طريقى وسط الجمع المحتشد، وتظاهرت بأننى أبحث عن شخص ما.. تظاهرت بأننى لم أر ما حدث، وتمنيت من كل قلبى أن يدق الجرس.

وعندما شاهدتها فيما بعد فى ذلك الصباح، كانت اللافتة قد اختفت. ولم تقل هى شيئًا عنها، ولا أنا.

Twitter: @alqareah

وفى صباح اليوم التالى، أقبلت تعدو نحوى فى فناء المدرسة. كانت عيناها تفيضان بشراً وحبوراً للمرة الأولى منذ أيام. أمسكتنى بكلتا يديها وهزتنى. «سيكون كل شىء على ما يرام! كل هذا سينتهى! لقد رأيت رؤيا!»

حكت لى عن الرؤيا، وكانت قد ذهبت إلى مكانها المسحور بعد العشاء فى اليوم السابق، وهناك جاءتها الرؤية، فرأت نفسها تعود منتصرة من مسابقة ولاية أريزونا فى الإلقاء والخطابة، بعد أن فازت بالجائزة الأولى.. الأفضل فى الولاية، وعندما عادت استقبلت استقبال الفاتحين، واجتمعت المدرسة كلها فى موقف السيارات لتحيتها مثلما حدث فى الفيلم. كان هناك رايات خفاقة وقصاصات من الورق الملون وأبواق مدوية، وكان فى استقبالها العمدة وأعضاء مجلس المدينة الذين اصطفوا للترحيب بها ثم جلست على مسند المقعد الخلفى فى سيارة مكشوفة ورفعت طبق الفوز الفضى عاليًا ليراه الجميع وانعكست وجوه زملائها السعيدة على بريقه. أخبرتنى بذلك ورفعت ذراعيها فى الهواء وصاحت قائلة: «سأصبح محبوبة!»

كانت مسابقة الولاية ستجرى بعد أسبوع، وأخذت هى تتدرب يوميًا على خطبتها، وفى أحد الأيام نادت بيتر سينكوفيتز الصغير

Twitter: @alqareah

ورفاقه فى اللعب وألقت الخطبة أمامنا وهى واقفة على عتبة دارها، فصفقنا وصفرنا، وانحنت هى بعظمة، وبدأت أنا أيضًا أرى رؤيتها. رأيت الرايات تخفق وسمعت الجموع تهتف وتهلل وصدقت.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل السابع والعشرون

«.. ولك منا أخلص التمنيات بالفوز يا سوزان كاراواى».

دوى الصوت عبر ميكروفون الإذاعة الداخلية فى بهو المدرسة، وانطلقنا إلى فينيكس. كان السائق هو السيد ماكشين مندوب إدارة مدرسة ميكا الثانوية العليا فى مسابقة الولاية ـ وسوزان وأنا. وقد جلست وسوزان فى الخلف. أما والدا سوزان فقد استقلا سيارتهما وكانا سيقابلانا فى فينيكس.

أثناء خروجنا من موقف السيارات، هزت أصبعها فى وجهى وقالت: «لا تدع الغرور يصيبك أيها السيد، فقد سمح لى بدعوة صديقين لمرافقتى، وأنت لست الشخص الوحيد الذى طلبت منه ذلك».

فقلت: «ومن هو الشخص الآخر؟»

«دورى»

قلت: «حسنًا.. ينبغى على إذًا أن أغتر بنفسى، فدورى ليست شخصا آخر».

ابتسمت وقالت: «كلا.. إنها ليست واحدة من هؤلاء». فجأة فكت حزام مقعدها ـ وكان كلٌ منا يجلس بجوار نافذة خلفية.

Twitter: @alqareah

هتفت قائلة: «مستر ماكشين، سوف أنتقل من مكانى لأجلس بالقرب من ليو. إنه فى غاية الجاذبية، وأنا لا أستطيع أن أتمالك نفسي».

فى مرآة المنظر الخلفى، رمشت عينا المدرس «كما ترغبين يا سوزان، فاليوم يومك».

تحركت من مكانها وربطت حولها الحزام الأوسط، ثم وكزتنى وقالت: «هل سمعت؟ اليوم يومى.. أنا أحصل على ما أريد».

قلت: «وماذا حدث عندما طلبت من دورى ديسلون مرافقتك؟»

«رفضت، وكانت غاضبة جداً منى».

«كنت أستشعر ذلك».

«منذ أن أصبحت سوزان. إنها تعتقد أننى خنت نفسى، ولا تفهم مدى أهمية أن تكون محبوبًا».

لم أكن واثقًا مما يجب أن أقوله رداً على عبارتها تلك، وكنت أشعر بشيء من القلق والاضطراب، ولحسن الحظ أن التساؤل عما يجب قوله لم يكن مشكلة كبيرة بالنسبة لى أثناء رحلة الذهاب التى استغرقت ساعتين، لأن سوزان أخذت تثرثر مثل ستار جيرل القديمة طوال الوقت.

Twitter: @alqareah

قالت: «ولكننى أعرف دورى وسوف أقول لك شيئًا».

«وما هو؟»

«ستكون فى مقدمة المستقبلين المهللين عندما نعود غداً».

علمت فيما بعد أننا بعد أن غادرنا المدرسة تكلم مدير المدرسة عبر الإذاعة الداخلية وأعلن أن الموعد المتوقع لعودتنا هو السبت واقترح أن يخرج الجميع لاستقبالنا سواء فزنا أم خسرنا.

واتضح لى أن الهزيمة لم تخطر على بال المتسابقة نفسها قط.

قالت: «هلاَّ أسديت لى معروفًا؟»

قلت: «بالتأكيد»

«ذلك الطبق الفضى الذى يحصل عليه الفائز. إننى لا أجيد التعامل مع الأطباق فى المنزل، فهلا حملته عنى عندما تندفع جموع المستقبلين نحوى؟ أخشى أن أسقطه».

حدقت إلى وجهها: «أى جموع؟ وأى تدافع؟»

«فى موقف سيارات المدرسة. عندما نعود غداً.. سيكون هناك جمع فى انتظار الأبطال العائدين. هل تذكر الفيلم الذى شاهدناه فى المدرسة؟ رؤيتى؟».

Twitter: @alqareah

عطفت رأسـها وحدقت فى عـينى، ثم نقرت جـبهتـى بمفاصل أصابع يدها. «أنت هناك.. مرحبًا.. هل يوجد أحد بالمنزل؟»

قلت: «أوه.. ذلك الجمع».

أومأت برأسـها: «بالضبط. بالطبع سنكون فـى أمان طالما مكثنا فى السـيارة، ولكن مـا أن نخرج منهـا من يدرى ماذا سـيحـدث، فالجمـاهير يمكن أن تفقـد السيطرة على نفسهـا.. أليس كذلك يا مستر ماكشين؟»

أومأ برأسه. «هذا ما أسمعه».

كانت تـتحدث مـعى وكأنهـا تدرِّس لتلميـذ فى الصف الأول الابتدائى. «ليو لم يحدث هذا من قبل فى ميكا.. الفوز فى مسابقة ولاية أريزونا فى الإلقاء والخطابة. وعندما يسمعـون الخبر، سيجن جنونهم، وعندمـا يقع نظرهم على وعلى تلك الجـائزة ـ» ثم قلبت عينيها وصفَّرت «آمل فقط أن يستطيعوا السيطرة على انفعالاتهم».

قلت: «سـتـحـافظ الشـرطـة على النظام والانضـبـاط، وربما استدعوا أيضًا الحرس الوطنى».

حدقـت فى وقـالت: «هل تعـتقـد ذلك؟» ولـم تدرك أننى كنت أمزح. قـالت: «حسـنًا.. إننى لا أخاف على نفسى، فلن أبالى إذا

Twitter: @alqareah

تزاحموا حولى ودفعونى قليلاً. هل تظن أنهم سيدفعوننى يا مستر ماكشين؟»

فى المرآة تحول بصره إلينا: «لا يمكن لأحد أن يعرف أبدًا».

«وإذا أرادوا حملى على أكتافهم، فلا بأس بذلك أيضًا، ولكن الأفضل ألا يفعلوا» ـ ثم لكزتنى بأصبعها ـ » الأفضل ألا يصيبوا جائزتى بسوء، ولهذا «ـ ثم وكزة أخرى ـ» سوف تحمله عنى.. جيدًا».

تمنيت أن يقول السيد ماكشين شيئًا. قلت: «سوزان.. هل سمعت من قبل المثل القائل: «لا تحصِ دجاجاتك؟

«قبل أن تفقس.. هل هذا ما تعنيه؟»

«تمامًا.»

أطرقت مفكرة ثم قالت: «طالما وجدت هذا المثل غير منطقى، فإذا كنت تعرف إنها ستفقس فلم لا تحصيها؟»

قلت: «لأنه لا يمكنك أن تعرفى.. لا توجد ضمانات.. أكره أن أقول لك ذلك ولكنك لستِ الشخص الوحيد المشارك فى المسابقة. من الممكن أن يفوز شخص آخر، ومن الممكن أن تخسري.. كل شىء جائز».

Twitter: @alqareah

فكرت فى كـلامى لحظة ثم هزت يدها. «كـلا ليس هذا ممكنًا. وإذًا...» ثم طوحت ذراعيـها وافتـر ثغرها عن ابتسـامة كبـيرة» لم ننتظر حتى يتحقق الفـوز ونحس بنشوته؟ فلنحتفل الآن.. هذا هو شعارى» ثم لكزتنى قائلة: «فما هو شعارك أيها الفتى الكبير؟»

قلت: «لا تحصِ دجاجاتك».

ارتعـدت فى تهكم وقالت: «يا لك من عـاقل يا ليو.. ومـا هو شعارك يا مستر ماكشين؟»

فقال: «قد باحتراس، فقد يكون فى سيارتك فائزة».

هنا أطلقت صوتًا كصوت العواء استحسانًا.

قلت: «يا مستر ماكشين، إنك لا تساعدنى».

«آسف».. لقد كذب.

نظرت إليـهـا وقلت: «إنك ذاهبـة إلى مـسـابقـة الولاية، ألا تشعرين ببعض التوتر والعصبية».

اختفت الابتسامة من وجهها وقالت: «نعم إننى كذلك بالفعل. أشعـر بتـوتر شديد. وكل مـا آمله هو ألا تخرج الأمـور عن نطاق السيطرة عندمـا نعود إلى المدرسـة، فلم يسبق أن أحاطتنى جـموع

Twitter: @alqareah

من الناس بمظاهر الحب، ولا أعرف بالضبط كيف سيكون رد فعلى. وآمل ألا يدير ذلك رأسى ويصيبنى بالغرور. هل تعتقد أننى مغرورة يا مستر ماكشين؟»

رفعت يدى قائلاً: «هل يمكننى الإجابة عن هذا السؤال؟»

قال المدرس: «لا أظن أنك كذلك».

لكزتنى بكوعها وقالت: «هل سمعت ما قاله أيها العارف بكل شيء؟»

لاحت فى عينيها نظرة اعتداد بالنفس، ولكنها سرعان ما اختفت عندما رفعت ذراعيها إلى أعلى وصاحت: «سوف يحبوننى!»

هز السيد ماكشين رأسه وضحك ضحكة نصف مكبوته، وأسقط فى يدى فلذت بالصمت.

أشارت خارج النافذة وقالت: «انظر حتى الصحراء تحتفل».

بدا أن كلامها صحيح، فقد كانت نباتات الصبار والأشجار الشوكية القصيرة الكئيبة المنظر عادة ترفل فى حلة مصطبغة بألوان الربيع كأن رساما عظيما مر بفرشاته على الصحراء، ناثراً لوناً أصفر هنا ولوناً أحمر هناك.

Twitter: @alqareah

مالت سوزان إلى الأمام وقالت: «مستر ماكشين.. هل يمكننا التوقف هنا دقيقة واحدة فقط؟ من فضلك؟» وعندما تردد المدرس أردفت قائلة: «لقد قلت إن اليوم يومى ويمكننى أن أحصل على أى شيء أريده».

أبطأت السيارة من سرعتها حتى توقفت على جانب الطريق غير المعبد، وخلال لحظة واحدة، كانت سوزان خارج السيارة وتركض عبر الصحراء. راحت تقفز وتدور وتتشقلب على شكل عجلة العربة بين الأشجار الشوكية. انحنت أمام نبات yucca ورقصت الفالس مع شجرة ساجوارو، وانتزعت برعمًا أحمر من صبار برميلى وثبتته فى شعرها، وأخذت تتمرن على الابتسام والإيماء والتلويح - بيد واحدة وباليدين الاثنتين - للجموع المحتشدة للاحتفال بعودتها الظافرة. وانتزعت إبرة من شجرة صبار ثم تظاهرت - من خلال تمثيل صامت هزلى يشبه أداء مهرج السيرك - بأنها تنظف أسنانها بها.

كنا - السيد ماكشين وأنا - مستندين إلى السيارة ونضحك عندما توقفت فجأة وأمالت رأسها وأخذت تحدق فى اتجاه آخر. ولبثت جامدة فى مكانها بلا حراك مدة دقيقتين أخريين، ثم استدارت فجأة وعادت إلى السيارة.

Twitter: @alqareah

بدا من وجهها أنها مستغرقة فى التفكير، وقالت والمدرس يتحرك بالسيارة من جديد: «مستر ماكشين، هل تعرف أية طيور منقرضة؟»

فقال: «الحمام الزاجل.. ربما كان أشهر الطيور المنقرضة ويقولون أنها كانت تعيش بأعداد كبيرة لدرجة أن السماء كانت تظلم عندما تحلق أسرابها فى الجو. وهناك أيضًا طائر الموة؟»

«الموة؟»

«إنه طائر ضخم».

قلت: «كالكوندور(*)؟»

فضحك ضحكة نصف مكبوتة وقال: «إن الكوندور لا يصل إلى ركبتيه. طائر الموة يجعل النعامة تبدو صغيرة بجواره، حيث يصل ارتفاعه إلى 12 أو 13قدمًا، وربما كان أكبر طائر على ظهر الأرض، ولم يكن يستطيع الطيران، وكان يعيش فى نيوزيلندة وانقرض منذ مئات السنين ـ قتله بنو البشر».

قالت سوزان: «رغم أن حجم الإنسان نصف حجم طائر الموة».

(*) الكوندور نسر أمريكى ضخم.

Twitter: @alqareah

أومأ السيد ماكشين برأسه موافقًا. «مم.. لقد كتبت تقريراً عن طيور الموة حينما كنت تلميذاً فى المدرسة الابتدائية، وكنت أعتقد أنها أعظم الطيور».

كانت عينا سوزان متلألئتين. «هل كان لطيور الموة صوت».

فكر المدرس فى السؤال برهةً ثم قال: «لا أعرف.. لا أعرف إن كان هناك من يعرف».

نظرت سوزان خارج النافذة إلى الصحراء وقالت: «حينما كنت هناك سمعت طائراً محاكيًا(*)، وجعلنى ذلك أفكر فى شىء قاله آرتشى».

قال السيد ماكشين: «السيد بروبيكر؟»

«نعم. لقد قال إنه يعتقد أن الطيور المحاكية تفعل ما هو أكثر من تقليد الطيور الأخرى. أقصد الطيور الحية الأخرى. وهو يعتقد أنها تقلد أيضًا أصوات الطيور المنقرضة، وأن أصوات الطيور المنقرضة تتوارثها الطيور المحاكية من جيل إلى جيل عبر السنوات.

(*) الطائر المحاكى طائر مغرد يتميز بقدرته الفائقة على تقليد أصوات الطيور الأخرى.

Twitter: @alqareah

قال مستر ماكشين: «وجهة نظر مثيرة للاهتمام».

«إنه يقول عندما يغرد طائر محاك لا نعرف شيئًا سوى أنه يطلق أصوات الحيوانات والطيور الأحفورية في الهواء. إنه يقول: من يدرى أى أغانٍ كانت ترددها المخلوقات الغابرة قد نسمعها فى الفضاء».

ران الصمت على السيارة بعد سماع كلمات آرتشى بروبيكر، وكأن السيد ماكشين قرأ أفكارى، لأنه أوقف تشغيل مكيِّف الهواء وأنزل النوافذ، وتطايرت شعورنا بينما تسللت إلى أنوفنا رائحة نبات الميسكيت الشوكى.

بعد برهة شعرت بلمسة يد سوزان وأحسست بأصابعها تتشابك مع أصابعى.

قالت: «مستر ماكشين.. إن أيدينا متشابكة فى المقعد الخلفى».

فقال: «هذا تصرف طبيعى بين المراهقين».

«ألا تعتقد أنه وسيم يا مستر ماكشين؟»

قال المدرس: «لم أفكر فى ذلك فى الحقيقة».

قالت: «حسنًا.. انظر إليه». ثم أمسكت وجهى بيدها وجذبته إلى الأمام، فتفحصتنى عيناه فى مرآة المنظر الخلفى برهةً من الوقت.

Twitter: @alqareah

«أنتِ على حق.. إنه جذاب فعلاً».

تركت سوزان وجهى المتورد وقـالت: «ألم أقل لك. ألا تحبه يا مستر ماكشين؟»

«ليس إلى هذه الدرجة».

بعد دقـيقة قالـت: «مستر مـاكشين..» الآن شـعرت بشىء فى أذنى. «إننى أضع أصبعى فى أذنه...»

استمرت هذه الأفعال السخيـفة إلى أن استدرنا حول ميسة(*) وشاهدنا ضبابًا بنيًا فى الأفق فعرفنا أننا نقترب من مدينة فينيكس.

●●●

(*) هضبة مستوية السطح منحدرة الجوانب.

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن والعشرون

التقى بنا أبواها فى بهو الفندق حيث قضى كلٌ منا - سوزان والسيد ماكشين وأنا - الليلة فى غرفة خاصة به. وبعد الانتهاء من إجراءات التسجيل فى الاستقبال، تناولنا نحن الخمسة بوفيه غداء فى مطعم الفندق ثم شاهدنا سوزان تستقل الحافلة التى كانت ستقلها مع 18 متسابقًا آخرين إلى مدرسة غرب فينيكس الثانوية العليا. وكان هناك 38 متسابقًا، ألقى 19 منهم خطبهم بالفعل فى ذلك الصباح.

وبحلول وقت العصر، سيتم اختيار عشرة لدخول النهائيات، وكان من المقرر أن تقام النهائيات مساء ذلك اليوم.

للأمانة لم يندهش أيٌ منا لفوز سوزان، فقد أجادت بشكل لا يصدق، أما ما أدهشنا فقد كان أن خطبتها كانت جديدة. لم تكن الخطبة التى ظلت تتمرن عليها لأسابيع أمامى وأمام بيتر سينكوڤيتز وأشجار الساجوارو. لم تكن الخطبة التى سمعتها فى اليوم السابق.

ولكنها كانت رائعة.

تضمنت بعضًا من عناصر الخطبة القديمة، إلا أن معظمها كان جديدًا كذلك الصباح. كالفراشة طارت كلماتها من صورة إلى

Twitter: @alqareah

أخرى، وانتقلت من الماضي البعيد (بارني وجمجمة القارض الپاليوسيني الموجودة عند آرتشي) إلى الحاضر (الفأر سينامون) إلى المستقبل البعيد (وفاة الشمس).. من الأشياء العادية جداً هنا (الرجل العجوز الذي يومئ برأسه على المقعد الطويل في تيودور ڤيليدج) إلى الأشياء الأكثر طرافة وغرابة هناك (مجرة مكتشفة حديثًا قرب نهاية الكون). تطرقت إلى شاحنات الغداء الفضية وبطاقات أسماء مصممي الأزياء والأماكن المسحورة، وعندما قالت إن أعز أصدقائها سمح لفأرها الداجن بالركوب على كتفه، اغرورقت عيناي بالدموع. كانت خطبتها مزيجًا من الأشياء المختلطة ولكنها نجحت على نحو ما في صنع شيء متناغم متجانس منها، ونظمت كل شيء مختلف خلال صوت طائر محاكٍ وحيد يغرد في الصحراء. وقد أسمت خطبتها «ربما أكون قد سمعت طائر موة».

كانت قاعة المسرح مملوءة إلى نصفها بمجموعات صغيرة من الطلاب وأولياء الأمور من المدارس المشتركة في المسابقة، وبعد أن كان المتنافس ينتهي من إلقاء خطبته، كان مشجعوه يصفرون ويهتفون، ظنًا منهم أنهم سيؤثرون بذلك على لجنة التحكيم، أما بقية الحاضرين، فكانوا يصفقون بأدب.

Twitter: @alqareah

وعندما انتهت سوزان، أطلقنا صيحة تشجيع واستحسان متواضعة، ولا شيء غيرها.. لا صفارات.. لا هتافات. أعتقد أننا لم نكن بنفس جرأة ملقية الخطبة ذاتها.

في الفندق تجمهرنا ـ السيد ماكشين وأنا ـ حولها، إن كان من الجائز اعتبار فردين جمهرة. وكان أبواها أكثر تحفظًا، وأخذا يبتسمان ويمطراها بعبارات الاستحسان والإطراء، وإن لم يبد عليهما أنهما أكثر اندهاشًا لنجاحها من سوزان ذاتها.

وعندما ذهب الكبار للتسوق في متجر الهدايا التذكارية، انفردت بها وقلت: «من أين جاءت تلك الخطبة؟»

ابتسمت وقالت: «هل أعجبتك؟»

«بالتأكيد ولكنها ليست الخطبة التي ظللت أسمعها الشهر الماضي. ماذا كنتِ تفعلين؟ تتدربين على خطبة سرية من وراء ظهري؟»

اتسعت الابتسامة أكثر: «كلا.. كانت تلك أول مرة أسمعها فيها أيضًا».

حدقت إلى وجهها، محاولاً استيعاب كلماتها: «هل تريدين أن تقولي أنك أعددتيها هذا الصباح فقط؟»

Twitter: @alqareah

«بل أقــول أنــنى لم أعــدّها عــلى الإطلاق بل كــانــت هناك وحسب، وكل مـا فعلته هو أننى فتـحت فمى وتركتهـا تخرج» ثم مدت يديها الاثنتين نحوى وطرقعت أصابعها قائلة: !Presto».

نظرت إليها فى دهشة وأنا فاغـر فاهى وقلت: «وماذا ستقولين الليلة؟»

فطوحت ذراعيها قائلة: «من يدرى؟»

تناولنا نحن الخمسـة عشاءً مبكرًا فى مطعم الفندق، وفيـما بعد انتظرنا فى البهو ريثما تغيـر سوزان ملابسها. خطت سوزان خارج المصعد وكانت ترتدى بذلة بلون الخـوخ، ثم أخذت تتمشى أمامنا فى البهو مسـتعرضة ملابسها، وجلست على ركبـتى أمها وقالت: «لقد صنعتـها خياطتي الشخصيـة من أجلى». فصفقنا لها تصـفيقًا خفيفًا ورافقناها إلى الحافلة.

كـانت الدعوة قـد وجهت لعـامـة الجمـهور لحـضور العـرض المسائى، فـغصت قـاعة المسرح بالحـاضرين، حـتي أن كثيـرًا منهم اضطر إلى الوقــوف فى الخلف. وفى مـقــدمـة القــاعــة عـزفت

Twitter: @alqareah

أوركسترا المدارس الثانوية العليا موسيقى رائعة من تأليف جون فيليب سوزا، جلس المتسابقون العشرة على المسرح، وكان سبعة منهم من الذكور. وبدا جميع المتسابقين متجهمين ومتوترين وجامدين كدمى عرض الملابس فى المحلات التجارية، إلا سوزان، فقد راحت تثرثر فى أذن الفتى الجالس بجوارها بينما أخذ هو يومئ برأسه من وقت لآخر، وإن ظلت عيناه وعموده الفقرى متنبهين وبدا من تعبيرات وجهه أنه يتمنى أن تكف عن الكلام. ضحك والدا سوزان ضحكة نصف مكبوتة على سلوكها، بينما حاولت أنا إخفاء شعوراً بالغيرة راودنى.

واحداً تلو الآخر قطع المتسابقون المسافة الطويلة إلى منتصف المسرح لإلقاء خطبهم، ونال كلٌ منهم تصفيقًا حاراً، وقدمت تلميذة فى الابتدائى ترتدى فستانًا أبيضًا بكرانيش باقة من الورود لكل متسابق.. ورود صفراء للبنات وورود حمراء للأولاد، وبينما احتضنت البنات ورودهن، نظر الأولاد لها وكأنها قنابل يدوية.

كانت سوزان المتسابقة قبل الأخيرة وعندما نودى اسمها، هبت واقفة وركضت نحو الميكروفون. دارت على قدم واحدة كما فى الباليه وانحنت انحناءة احترام كما تفعل النساء ولوحت بيدها بحركة تشبه حركة غاسل النوافذ وقالت مرحبًا، فرد الجمهور

Twitter: @alqareah

بإطلاق ضحكات نصف مكبوتة نمّت عن حيرتهم، فقد اعتادوا على رؤية المتسابقين متصلبين مشدودين، ولم يستطيعوا فهم تصرفات هذه الفتاة المراهقة غير التقليدية مثلما حدث لنا نحن في اليوم الأول من العام الدراسي. تشجع العديد من الحاضرين وقالوا «مرحبًا» ولوحوا ردًا عليها.

لم تبدأ .. على الأقل ليس بالمعنى المعتاد، فلم يكن هناك مقدمة رنانة، بل وقفت هناك وحسب وأخذت تدردش بعفوية وتلقائية وكأننا جميعًا جالسون على مقاعد هزازة في شرفة منزلها الخلفية وسرت في القاعة غمغمة، فقد كان الناس ينتظرون أن تبدأ، ثم خفت حدة الغمغمة عندما أدركوا أن هذه كانت مقدمة الخطبة دون أن يدروا، وعندئذ خيمً صمت تام على قاعة المسرح. كنت منتبهًا إلى الجمهور أكثر من انتباهي للمتكلمة، ولو أن أحدًا تنفس خلال الدقائق الخمس الأخيرة في خطبتها، لاستطعت سماع أنفاسه. وعندما أنهت حديثها بسؤال هامس ـ «هل يمكنكم سماعه؟» ـ ومالت بجسمها إلى الأمام وهي تضع يدها خلف أذنها، بدا وكأن 1500 شخص يميلون إلى الأمام محاولين سماع الصوت ومرت عشر ثوانٍ من السكون التام، ثم استدارت فجأة

Twitter: @alqareah

وعادت إلى مـقعدهـا. لم يكن هناك أى رد فعل. قلت لنفـسى ما الذى يحدث؟ أما سوزان فقد كانت جالسة ويداها مضمومتان فى حجرها. ثم جاء رد الفعل.. مفاجـئًا.. هادراً.. متفجراً، وكأننا كنا جمـيعًـا نيامًـا واستيـقظنا فجـأة، ووقفنا جـمـيـعًا نصفق ونـصيح ونصفر. ووجدت نفسى أجهش بالبـكاء.. فقد كان التهليل شديداً كتهليل الجمهور فى مباراة على بطولة كرة السلة.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع والعشرون

فازت سوزان كما توَقَعت.

وتلألأ الطبق الفضى الذى حصلت عليه كأنما نجمة انفجرت فى مجرة من الكاميرات الوامضة، وأغرقها طاقمان تليفزيونيان بالأضواء وأجريا معها مقابلات فى كواليس المسرح وتزاحم الغرباء حولها وقال لها مواطنو فينيكس إنهم يحضرون المسابقة منذ سنوات ولكنهم لم يشاهدوا أبدًا أداءً بهذه الروعة. ومد تلاميذ المدارس الأتوجرافات نحو وجهها ليحصلوا على توقيعها. كل أب وأم تمناها ابنته وكل معلم تمناها طالبته.

كانت فى غاية السعادة والفخر، وصرخت ثم بكت عندما رأتنا، وعانقت كل واحد منا على التوالى ولما جاء دورى عانقتنى بشدة حتى ظننت أننى سأختنق.

وفى الفندق بدا أن الجميع يعرفون: البواب ومدير المكتب الأمامى (الاستقبال) ونزلاء الفندق فى البهو والمصعد. فجأة أصبح لها هذه القوة السحرية الرائعة: كل من ينظر إليها يبتسم، واختزلت اللغة الإنجليزية إلى كلمة واحدة ظلت تتردد مرارًا وتكرارًا: «مبروك!».

Twitter: @alqareah

مـشـينا ـ بل قل طرنا ـ حـول الفنـدق لنحـرق طاقـتنا الزائدة، وعندمـا عـدنا إلى الفندق دُعـينا للذهاب إلى النـادى الليلى برغم أننى وسوزان كنا دون السن القانونية، فشربنا جعة الجنزبيل وطلبنا شراب جالا بينو المصنوع من الفلفل الأخضر الحار ورقصنا جميعًا على الموسيقى الريفية وموسيقى الغرب الأمريكى (الويسترن) التى عزفتـها الفرقة الموسيقـية بينما أطل وجه سوزان فى نشـرة الأخبار المسـائية من جـهاز التليـفزيـون الموجود أعلى البـار. كانت حلبـة الرقص المكان الوحيد الذى لم تحمل فيه طبقها الفضى.

فى صبيحة اليوم التالى، كان أول شىء فعلته هو أنها دست من تحت باب غـرفـتى فى الفندق صـورتهـا المنشـورة على الصفـحـة الأولى فى جريدة «أريزونا ريبـابليك». جلست على حافـة السرير وأخذت أحـدق فى الصورة والشـعور بالفـخر والخيـلاء يملؤنى. قرأت المقال المنشور عنها والذى وصف خطبتها بأنها كانت «مؤثرة بشكل غـامض وكـان لها تأثيـر التنويم المغنـاطيسى». وتصـورت جرائد الصـباح المطوية تقذف من السيـارات لتستقـر على الممرات المخصصة لوقوف السيارات فى جميع أنحاء ميكا.

التقـينا جميـعًا على بوفيـه الفطور، وأخذ الناس يحدقـون فينا ويومئون برءوسـهم ويبتـسمون ولسـان حالهم يقول «تـهانينا» فى

Twitter: @alqareah

أرجاء المطعم، ثم تحركنا فى قافلة مكونة من سيارتين عائدين إلى ميكا.

ظلت سوزان تثرثر كعادتها بعض الوقت ووضعت الطبق الفضى على المقعد الأمامى بجوار مستر ماكشين وقالت له إنه سيركب بجواره 10 دقائق كاملة وأن بإمكانه أن يلمسه كما يشاء، مكافأة له على المعلومة التى قالها عن طائر الموة، وما أن انتهت الدقائق العشر حتى استردت الطبق.

حينما اقتربنا من البلدة، خفت الثرثرة وتوقفت فى النهاية، وظللنا صامتين فى الأميال الأخيرة. أخذت سوزان يدى وكنا كلما اقتربنا ضغطت عليها أكثر، وعندما وصلنا إلى مشارف البلدة، استدارت نحوى وقالت: «هل أبدو بصورة جيدة؟»

فقلت لها إنك تبدين رائعة.

بدا أنها لم تصدقنى فرفعت الطبق الفضى أمام وجهها وأخذت تتفحص صورتها المنعكسة عليه.

ثم استدارت نحوى من جديد ونظرت إلى بعض الوقت قبل أن تقول: «كنت أفكر وقررت أننى سأحمل الطبق الفضى بنفسى ـ موافق؟»

Twitter: @alqareah

فأومأت برأسى.

«إلى أن.. إلى أن.. يرفعونى فوق أكتافهم. ثم سأعطيك إياه. اتفقنا؟»

فأومأت برأسى موافقًا.

«وإذًا عليك أن تظل بجوارى.. فى كل ثانية.. فالجماهير يمكن أن تفصلنا عن بعضنا كما تعلم.. إنهم يفعلون ذلك. موافق؟»

فأومأت برأسى وقلت: «موافق».

كانت يدها ساخنة وتتصبب عرقًا.

مررنا بجوار رجل فى ممر إيقاف السيارات المجاور لمنزله، وكان يغطس فرشاة كبيرة شبيهة بالممسحة فى دلو ويدهن الأسفلت بمادة عازلة سوداء، وكان منصرفًا بكل حواسه إلى العمل تحت شمس الظهيرة. فى تلك اللحظة عرفت ما سيحدث.. استطعت أن أراه وأردت أن أصيح بمستر ماكشين قائلا: «كلا.. لا تنعطف! لا تذهب إلى هناك!».

ولكنه انعطف، فلاحت المدرسة أمامنا. فى حياتى لم أر مكانًا خاويًا إلى هذه الدرجة. لم تكن هناك رايات ولا ناس ولا سيارات.

Twitter: @alqareah

قال مستر ماكشين بصوت أجش: «ربما كانوا فى الخلف.. فى موقف السيارات».

درنا حول المبنى متجهين إلى موقف السيارات و ـ نعم ـ كانت هناك سيارة وسيارة أخرى، وكان هناك ناس .. ثلاثة أشخاص يضعون أيديهم أمام وجوههم ليحجبوا عن عيونهم أشعة الشمس ويتطلعون إلينا.. اثنان منهم من هيئة التدريس، أما الثالث فقد كان طالبة.. دورى ديلسون. وقفت بعيداً عن المعلمين.. وحيدة فى البحر الأسفلتى الأسود الوامضى. وحينما اقتربنا رفعت لافتة.. لافتة كبيرة مصنوعة من الكرتون وأكبر من اللوح الخلفى المثبتة عليه السلة فى كرة السلة، وكانت الكلمات المكتوبة عليها باللون الأحمر هى:

تهانينا يا سوزان

نحن فخورون بك

توقفت السيارة أمام اللافتة، وكان كل ما ظهر من دورى ديلسون مجموعتان من الأصابع تمسكان جوانب اللافتة، وحينما اقتربنا أكثر من اللافتة لاحظنا أنها كانت ترتعش، فعرفت أن دوري تبكى وراءها. لم يكن هناك ورق ملون منثور ولا أبواق ولا رايات. لم يهلل شيء ولا حتى طائر محاكى.

Twitter: @alqareah

الفصل الثلاثون

حينما توقفنا أمام لافتة دورى ديلسون مصعوقين وصامتين، جاء والدا سوزان وأخذاها من سيارة مستر ماكشين، وكعادتهما لم يبدوا مندهشين أو منفعلين بصورة غير عادية، وبدت سوزان شاردة ذاهلةً عما حولها. جلست بجوارى تتأمل اللافتة بعينين خاليتين من التعبير خلال زجاج السيارة، ولم تعد يدها تمسك يدى. فتشت فى ذهنى عن كلمات فلم أجد، وعندما جاء والداها، ذهبت معهما فى هدوء واستسلام. وبينما كانت تهم بالخروج من السيارة انزلق الطبق الفضى من فوق حجرها وسقط على الأرضية الأسفلت فانبعث منه رنين كرنين الجرس، وانحنى أبوها والتقطه، فظننت أنه سيأخذه ولكنه بدلاً من ذلك مال نحو المقعد الخلفى حيث كنت أجلس وناولنى إياه وعلى وجهه ابتسامة غريبة.

لم أرها بقية عطلة نهاية الأسبوع، ولكن عندما جاء يوم الاثنين، أصبحت ستار جيرل من جديد بتنورة طويلة تكاد تلامس الأرض وشرائط فى شعرها.. هكذا بكل بساطة.

أخذت تتنقل من مائدة إلى أخرى فى قاعة الغداء وتوزع بسكويتًا مصنوعًا على هيئة وجه باسم سعيد، إنها حتى أعطت

Twitter: @alqareah

بسكويتة لهيلارى كيمبل، فما كان من الأخيرة إلا أن خلعت حذاءها واستخدمته كمطرقة لتسحق البسكويتة الموضوعة على مائدتها. تجولت ستار جيرل بيننا وهى تداعب أوتار قيثارتها وتسأل إن كانت لنا أغنيات مفضلة نطلب سماعها. وكان الفأر سينامون جاثمًا فوق كتفها، وقد رُبط حوله حزام قيثارة لعبة ضئيلة الحجم. أطلقت صوتًا قصيرًا حادًا كصوت الفأر ومنعت شفتيها من الحركة وبدا الأمر وكأن سينامون يغنى معها. وقفت دورى ديلسون - بارك الله فيها - وصفقت. كانت الوحيدة التى فعلت ذلك، فقد كنت مصعوقًا بدرجة منعتنى من الانضمام إليها... كنت أجبن من أن أفعل ذلك وغاضبًا ولم أرد إظهار موافقتى على عودتها إلى شخصية ستار جيرل. ولم ينظر معظم الطلاب حتى، بل لم يبد عليهم أيضًا أنهم كانوا ينصتون. وعندما دق الجرس وبينما كنا نهم بمغادرة قاعة الغداء نظرت خلفى، فشاهدت البسكويت متناثرًا على الموائد.

قلت لها ونحن نسير معًا بعد المدرسة فى ذلك اليوم: «أعتقد أنك يئست.. هه؟»

نظرت إلى وقالت: «يئستُ؟ من ماذا؟»

Twitter: @alqareah

«من أن تكونى محبوبة.. من أن تكونى.. كيف يمكننى أن أقولها؟»

ابتسمت وقالت: «طبيعية؟»

هززت كتفى.

قالت بحزم: «نعم».

«نعم؟»

«إننى أجيب عن سؤالك. الجواب هو نعم.. لقد يئست من محاولة أن أكون محبوبة وطبيعية». لم تبد قسمات وجهها ولغة جسمها منسجمة مع كلماتها، فقد لاحت مبتهجة مرحة، وكذلك سينامون الجائم فوق كتفها.

قلت: «ألا تعتقدين أنك يجب أن تتروى قليلاً وألا تعودى إلى شخصية ستار جيرل بهذه الدرجة من القوة والإصرار؟»

ابتسمت لى، ثم مدت يدها ومست طرف أنفى بطرف أصبعها وقالت: «لأننا نعيش فى عالمهم؟ لقد قلت لى ذلك ذات مرة».

أخذ كلٌ منا يحدق فى الآخر ثم طبعت قبلة على وجنتى ومشت بعيداً ثم استدارت وقالت: «أعرف أنك لن تطلب منى

Twitter: @alqareah

مرافقتك إلى حفل أوكوتيلو الراقص.. لا بأس»، ثم ابتسمت لى تلك الابتسامة التى تفيض عطفًا ورقة وتفهمًا.. تلك الابتسامة التى رأيتها توجهها لأناس آخرين كثيرين كانوا فى أمس الحاجة لها، وفى تلك اللحظة شعرت بأننى أكرهها.

فى تلك الليلة بالذات، اتصل بى كيفين هاتفيًا وقال وكأنه يؤدى دورًا مكتوبًا: «وإذًا من ستصحب إلى حفل أوكوتيلو الراقص؟»

تهربت من الإجابة وقلت: «ومن ستصحب أنت؟»

قال: «لا أعرف».

«لا أعرف أنا أيضًا».

أطرق كيفين على الجانب الآخر من الخط ثم تساءل: «ليس ستار جيرل؟»

قلت: «ليس بالضرورة».

«هل تحاول أن تقول لى شيئًا».

«ماذا يمكن أن أرغب فى إخبارك به؟»

«كنت أعتقد أنكما صديقان وأن ذهابكما معًا مسألة مفروغ منها».

Twitter: @alqareah

فقلت: «ولم تسأل إذًا؟ ثم وضعت السماعة».

في تلك الليلة وأنا مستلق على سريري ازداد شعوري بالضيق كلما زحف ضوء القمر على ملاءتي، وفعلت شيئًا لم أفعله من قبل.. فأنزلت الستارة الحاجبة للضوء. ورأيت في أحلامي الرجل العجوز الجالس على المقعد في المول يرفع رأسًا مرتعشة ويقول: «كيف تجرؤ على مسامحتي».

في الصباح التالي، أضيف شيءٌ جديد إلى اللوح الخشبي المصنوع على هيئة طائر الجواب.. كان ورقة بيضاء، كتب في أعلاها:

وقع هنا للانضمام إلى

مجموعة موسيقية جديدة

اليوكي دووكس

لا يشترط الخبرة

كان هناك عمودان مرقمان لكتابة الأسماء، والعدد الكلي أربعون.

Twitter: @alqareah

وبحلول نهاية اليوم كانت الفراغات الأربعون قد مُلئت بأسماء غريبة مثل مينى ماوس، ودارث ڤادر، وذا سوامب ثينج، وكان اسم مدير المدرسة مكتوبًا أيضًا وكذا اسم وين بار ودورى ديلسون.

قال كيڤين: «أرأيت؟ شخص ما كتب اسم بار».

كنا فى غرفة التحكم بالاستديو، فى شهر مايو، وكانت حلقات برنامج المقعد الساخن لذلك العام قد انتهت، ولكننا فى بعض الأيام كنا نجد أنفسنا مشدودين للذهاب إلى الاستديو بعد المدرسة بقوة مغناطيسية.

قلت: «رأيت».

وقف أمام شاشة مونيتور مطفأة وراح يتفحص صورته المنعكسة عليها ثم قال: «لم أر اسمك مكتوبًا فى القائمة».

«كلا».

«ألا تريد أن تكون يوكى دووك؟»

«لا أعتقد ذلك»

أخذنا نعبث بالأجهزة برهة من الوقت ثم سار كيڤين صوب المسرح واعتلاه، وحرك مفتاحًا كهربائيًا، وأخذ فمه يتحرك،

Twitter: @alqareah

ولكننى لم أستطع سماعه، فوضعت السماعة على أذنى، وبدا أن صوته آت من عالم آخر. «لقد بدأت تتحول إلى فتاة بلهاء مرة أخرى.. أليس كذلك؟ أسوأ من قبل».

حدقت إليه عبر الزجاج ثم خلعت السماعة وخرجت.

فهمت ما كان يفعله. لقد قرر أنه لا بأس الآن من قول أشياء سيئة عن ستار جيرل، ولا بد أنه استنبط من سلوكى أنه مسموح له بذلك، ويبدو أن ستار جيرل نفسها كانت أول من قرأ ما بداخلى، وكنت لا أزال أحس باللدغة التى خلّفتها عبارتها عن حفل أوكوتيلو الراقص فى نفسى.

هل كنت واضحًا إلى هذه الدرجة؟

★ ★ ★

الفصول .. الممرات.. الفناء.. قاعة الغداء ـ فى كل مكان كنت أذهب إليه سمعتهم يحطون من شأنها ويسخرون منها ويقولون عنها ما تكره. لقد منيت محاولتها كسب حبهم والتشبه بهم بالفشل الذريع، والأدهى من ذلك أنهم صاروا يمقتونها أكثر الآن، ويجاهرون بذلك فى حضورى، أم أن قدرتى على السمع صارت أفضل؟

Twitter: @alqareah

كونت ستار جيرل ودورى ديلسون ـ اليوكى دووكس الوحيدتان ـ ثنائيًا فى فناء المدرسة فى أحد الأيام بعد المدرسة، وأخذت ستار جيرل تعزف على القيثارة وتغنى الاثنتان «هاواى الزرقاء». كان من الواضح أنهما تتدربان، وكانتا شديدتى البراعة، كما كانتا أيضًا محل تجاهل. وعندما انتهت الأغنية لم يبق سواهما فى فناء المدرسة.

فى اليوم التالى، ذهبتا إلى هناك من جديد، ولكنهما كانتا ترتديان قبعات عريضة الحواف كالتى يرتديها المكسيكيون هذه المرة، وأنشدتا أغنيات مكسيكية. Cielito Lindo و Vaya Con Dios, My Darling. مكثت داخل المدرسة، فقد كنت أخشى المرور بجوارهما، وكأنهما ليستا موجودتين وكنت أخشى أيضًا الوقوف والاستماع، فنظرت من النافذة وشاهدت ستار جيرل ترقص الفلامنكو وترامى إلى عبر لوح زجاج النافذة صوت طقطقة الصنج.

مر بهما الطلاب دون أن ينظروا نحوهما وشاهدت وين بار وهيلارى كيمبل يمران وهيلارى تضحك بصوت عالٍ، وكيفين ولاعبى كرة السلة. عندها أدركت أن الإعراض لن ينتهى أبدًا، وعرفت ماذا ينبغى على أن أفعل.. ينبغى أن أخرج إلى هناك

Twitter: @alqareah

وأقف أمامهما وأصفق.. ينبغى أن أظهر لستار جيرل والعالم أننى لست مثلهم وأننى أقدرها وأحترم إصرارها على أن تكون ذاتها. ولكننى بقيت بالداخل، وانتظرت حتى غادر آخر طالب الفناء ولم يعد هناك متفرجون على أداء ستار جيرل ودورى. ولدهشتى استمرت الاثنتان تؤديان العرض. كان منظرًا مؤلمًا لم أقو على مشاهدته فغادرت المدرسة من باب آخر.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الحادي والثلاثون

كما تَوَقعت، لم أطلب منها مرافقتي إلى حفل أوكوتيلو الراقص، ولم أطلب من أي أحد آخر، فأنا لم أذهب على الإطلاق.

ولكن هي ذهبت.

أقيم الحفل مساء يوم سبت في أواخر مايو في ملعب تنس نادي ميكا الريفي، وعندما مالت الشمس إلى المغيب فلاحت قرصًا أبيضًا تولت عنه حيويته وبردت حرارته وانطفأ توهجه، وبزغ القمر في الشرق، ركبت دراجتي ومررت بجوار النادي، وبدا الحفل الراقص المزين بالفوانيس الكانتونية كسفينة تمخر عباب البحر.

لم أستطع تمييز أفراد، بل فقط ألوانًا ممتزجة مضطربة، غلب عليها اللون الأزرق الفاتح، ففي اليوم التالي لقول وين بار إنه اختار الأزرق الفاتح ليكون لون سترة عشائه، طلب ثلاثة أرباع الأولاد بذلات بنفس اللون من محل توكسيدو جنكشن.

أخذت أذرع المكان ذهابًا وجيئة في الليل بعيدًا عن الأضواء، وتناهت إلى أذني الموسيقى من بعيد. كانت الزهور الصحراوية

Twitter: @alqareah

التى نمت بوفـرة فى شهر أبريل تحـتضر الآن، وراودتنـى فكرة أنها تنادي على بعضها.

ظللت أقود دراجتى ساعات، وصعد الـقمر فى السماء كبالونة تائهـة، وفى مكان ما فى جنبـات جبال مـاريكوبـاس المظلمـة عوى ذئب صحراوى.

فى الأيام والأسـابيـع والسنوات التى تلت ذلـك الحـفل، اتفق الجميع على أنهم لم يروا له مثيلاً أبدًا.

وصلت سـتـار جيـرل فى عربة جانبـية مثـبتـة فى دراجة وذات عجلة واحـدة من الخارج أمـا الجانب الداخلى فـقد كان مـثبـتًا في الدراجة. كانت العربة الجانبية كبـيرة بما يكفى لجلوسها فيها، وكان كل شيء عدا مقعد الدراجة ومقعد العربة الجانبية مغطى بالزهور، وقد تدلت من حـاجز الاصطدام الخلفى زهورٌ متـشابكة بطول 10 أقدام كقطار عُرس، بينما زين مقود الدراجة بسعف النخيل فبدت الدراجة مثل عـربة فى استعراض الورود، وكـانت دورى ديلسون تقود الدراجة.

فيمـا بعد أخبرنى شهـود العيان بما لم أستطع رؤيته: كـاميرات أولياء الأمور الوامـضة.. الأضواء الكاشفـة التى حولت الليل إلى نهار.. وثنائيات الطلاب والطالبات تهبط من السيارات الليموزين

Twitter: @alqareah

والسيارات المكشوفة المقترضة وتتهادى نحو الملعب المزدان.. التصفيق. وفجأة يتوقف الوميض وتخفت الأضواء الكاشفة ويخيم الصمت على الحشد، وبينما كانت سيارة ليموزين بيضاء طويلة بصورة غير عادية تتحرك بعيدًا عن المدخل، جاءت هذه الباقة المتحركة على ثلاث عجلات.

كانت السائقة دورى ديلسون ترتدى سترة بيضاء بذيل وقبعة حريرية عالية، إلا أن الراكبة الجالسة بجوارها هى التى لفتت انتباه الحشد على نحو آسر. كان فستانها بلا حمالات ولونه أصفر فاقع كأنما صُنع من عشبة الحوذان ذات الزهور الصفراء، ولا بد أنها كانت ترتدى تحته تنورة أطواق موسّعة لأن الجزء السفلى من الفستان ـ ابتداء من خصرها ـ كان منتفخًا كفنجان شاى مقلوب رأسًا على عقب. وكان شعرها لا يصدق، وتضاربت التوصيفات، فقال البعض إنه كان بلون العسل وقال بعض آخر إنه كان بلون الفراولة، وكان زغبًا كحلوى المرينج المخفوفة فوق رأسها، فقال البعض إنه كان شعرًا مستعارًا وقال البعض الآخر إنه شعرها، وكان الفريقان متأكدين مما قالاه.

وتدلى قرطان من أذنيها.. كانا عبارة عن أشياء فضية صغيرة ولكن ما هى؟ لقد حجبتها جزئيًا حلقات صغيرة متدلية، وقدمت

Twitter: @alqareah

إجابات كثيرة عن السؤال كانت أكثرها رواجًا وشعبية: قطع مونوبولى، بيد أنه اتضح فيما بعد أنها إجابة خاطئة.

وتدلت من دوبارة مصنوعة من الجلد الخام حول رقبتها بقية بيضاء من حيوان أحفورى على شكل موزة وبطول بوصة واحدة، تعريفًا لها كعضوة فى جماعة العظام الصخرية.

بينما ارتدت الأخريات زهرة الأوركيد، زينت ستار جيرل معصمها بزهرة عباد شمس صغيرة أو زهرة سوسن ضخمة، أو ربما زهرة السوسن. لا أحد متأكد فيما عدا أن الألوان كانت الأصفر والأسود.

وقبل أن تتابع سيرها، دارت على عقبيها وعادت إلى الدراجة وانحنت فوق سلة صغيرة متدلية من مقودها، وكانت السلة مغطاة أيضًا بالزهور، وبدا أنها تقبل شيئًا ما بداخلها، ثم لوحت لدورى ديلسون فحيتها دورى وتحركت الدراجة بعيدًا، ولمح الناس الواقفون قريبًا منها أذنين صغيرتين بلون القرفة وعينين كحبات الفلفل الأسود تحدقان خارج السلة.

Twitter: @alqareah

«غير عادية».

«مثيرة للاهتمام».

«مختلفة»

«راقية»

كانت تلك هى الكلمات التى قالها فيما بعد الآباء المصطفون حولها، أما الآن فلا توجد سوى نظرات محدقة وهى تتهادى من المدخل إلى الحفل الراقص. ويتذكر أحدهم أن كاميرا واحدة أومضت، ولكن هذا كل شيء، فهى ليست ابنة أحد، بل هى الفتاة التى سمعوا عنها. وأثناء مرورها أمامهم لم تحاول تحاشى عيونهم، بل على العكس كانت تنظر فى أعينهم مباشرة، ملتفتة صوب هذا الجانب ثم صوب الجانب الآخر، وتبتسم وكأنها تعرفهم.. وكأنهم تشاركوا فى أشياء عظيمة وخاصة. وأشاح البعض بوجوههم محاولين مداراة ما اعتراهم من اضطراب لم يدروا له سببًا، بينما شعر البعض الآخر بخواء فجأة بعد أن تحولت عيناها عن أعينهم.

لقد شدَّت انتباههم إلى حد أنها مضت قبل أن يدرك كثيرون أنه لم يكن هناك مرافق معها.. أنها كانت بمفردها. كان استعراض من شخص واحد.

Twitter: @alqareah

أذكر أننى رفعت بصرى إلى السماء وجعلت أتطلع إلى مجموعة النجوم التى نسميها درب اللبانة وأنا جاثم على دراجتى على البعد، وأتذكر أننى رحت أتساءل إن كانت تستطيع هى أيضًا رؤيتها أم أن النجوم ضاعت وسط أضواء المصابيح الكاشفة؟

جرى الرقص فى ملعب التنس الأوسط بعد أن غُطى بأرضية باركيه، وهناك فعلت ستار جيرل ما فعله الآخرون فى الحفل الراقص: لقد رقصت. على موسيقى جاى جريكو وفرقة «عازفى السيرينيدرز» رقصت الرقصات البطيئة والرقصات السريعة. بسطت ذراعيها وألقت رأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها وأعطت الجميع انطباعًا بأنها مستمتعة لأقصى حد. بالطبع هم لم يتحدثوا إليها ولكنهم لم يستطيعوا مقاومة الرغبة فى النظر إليها من فوق أكتاف رفقائهم. وصفقت هى فى نهاية كل فقرة.

إنها بمفردها.. هذا ما ظلوا يقولونه لأنفسهم بالتأكيد هى لم ترقص مع أحد، ومع ذلك فقد بدا أن أهمية ذلك تلاشت رويدًا رويدًا، ومع مرور ساعات المساء وامتزاج أصوات الموسيقى بعواء الذئاب الصحراوية فيما وراء أضواء المصابيح الكاشفة بدأ سحر ستراتهم الزرقاء الفاتحة وزهرة الأوركيد يخبو وتسلل إلى نفوسهم إحساس بأنهم أكثر وحدةً منها.

Twitter: @alqareah

من كان البادئ؟ لا أحـد يعرف. هل مسَّهـا أحدهم مسًا رفـيقًا عند مـائدة المشـروبات؟ هـل انتـزع ورقـة من زهرتهـا؟ (إحـدى الورقات كانت مـفقودة) هل همس «مرحبًـا»، إلا أن الأمر المؤكد هو أن فتى يدعى «ريموند شتود يماخر» رقص معها.

بالنسبة للطلاب على وجه العموم لم يكن لريموند شتود يماخر وجود مـادى كاف لجعل باب سـوبر ماركت كهربـائى ينفتح، فلم يكن ينتمـى إلى أى فريق أو منظمة، ولم يكن يـشارك فى الأنشطة المدرسيـة وكانت درجاته عادية ومـلابسه عادية ووجهـه عاديًا. لم يكن له شخصـية متميزة، ولأنه كـان نحيلاً كعقرب الدقـائق، فقد بدا مـفتقـدًا القدرة حـتى على حـمل اسمـه، والحقيـقة أنه عنـدما تحـولت كل الأنظار إليـه على حلبـة الرقص، كـشًـر أولئك الذين اختـرعـوا له اسـمًا عند رؤية سـتـرته البـيضـاء وهمـسوا قـائلين: «ريموند صمثنج»؛ أى «ريموند شيء ما».

ومع ذلك فقد مضى ريموند نحوها ـ اتضح فيما بعد أن رفيقته هى التى اقـترحت عليـه ذلك ـ وتحدث معـها ثم شـرعا يرقـصان وبدأت الثنائيات الراقصة تتحرك بعـيدًا عنهما لكى تحظى بمشاهدة أفـضل. وفى نهـاية الفقـرة، انضم لهـا فى التـصفـيق ثم عـاد إلى رفيقته، وأخبرها أن القرطين الفضيين بدوا كالعجلات الصغيرة.

Twitter: @alqareah

خيم على الحفل الراقص جوٌ من التوتر فنزعت البنات باقات الزهور الصغيرة التي زينت فساتينهن، وتحطم الجليد وتخاصم العديد من الفتيان مع رفيقاتهم، وبينما هم مقبلون نحوها، اتجهت هى إلى جاى جريكو وقالت له شيئًا، فالتفت إلى الفرقة الموسيقية وحرك عصاه، فانطلقت أنغام تلك الرقصة القديمة الخاصة بالشباب المراهقين: وثبة الأرنب، وخلال ثوانٍ معدودات كان طابور طويل قد بدأ يتلوى كالحية فى حلبة الرقص تتقدمه ستار جيرل. فجأة عاد ديسمبر من جديد، وخلبت ستار جيرل لب المدرسة بسحرها.

انضمت كل الثنائيات تقريبًا إلى الرقصة فيما عدا هيلارى كيمبل ووين بار.

تموج الطابور ذهابًا وجيئةً عبر ملاعب التنس الخالية من الشباك، وبدأت ستار جيرل ترتجل، فبسطت ذراعيها أمامها أمام حشد وهمى وكأنها شخصية مشهورة فى عرض، وهزت أصابعها فى وجه النجوم وحركت قبضتى يديها بعنف كمضرب البيض، وكانت كلما فعلت شيئًا قلدها الراقصون وراءها، وتحولت وثبات الأرنب الثلاث إلى ثلاث خطوات متبخترة لامرأة غاوية فى مسرحية هزلية ثم إلى طريقة طائر البطريق فى المشى ثم إلى رقص

Twitter: @alqareah

على أطراف أصابع الأقدام، وأثارت كل حركة جديدة الضحك وسط الراقصين خلفها.

وعندما أنهى جاى جريكو الموسيقى، انطلقت صيحات الاحتجاج، فأشارت إلى الفرقة بالعزف من جديد.

على صوت صيحات الابتهاج، قادتهم ستار جيرل خارج حلبة الرقص إلى الملاعب الأخرى ـ ثم خلال السياج السلكى وخارج ملاعب التنس تمامًا، والتمعت زهور القرنفل الحمراء والحلى فى المعاصم فيما اتجه الطابور صوب المساحة الخضراء العشبية الموجودة فى نهاية ملعب الجولف، وأخذ الطابور يتحرك حول الحفر، وداخل وخارج بقع الضوء المنبعث من المصابيح الكاشفة. وبدا الأمر بصورة مختلفة من حلبة الرقص: مائة زوج ومائتا شخص و400 ساق راقصة شكلت مخلوقًا احتفاليًا زهريًا.. دودة ألفية خرافية، ورويدًا رويدًا بدأت الرأس تختفى وبقية جسم الدودة يتلوى خلال حواشى الضوء ويتبعها كذيل تنين بلونه الأزرق الفاتح إلى جوف الظلمة.

تشاحنت فتاة ترتدى فستانًا من الشيفون مع رفيقها وركضت صوب أول موضع لوضع كرة الجولف صائحةً «انتظرنى!» وبدت كفراشة ضخمة خضراء بلون النعناع الأخضر.

Twitter: @alqareah

ترامت أصـواتهم بوضـوح من داخـل ملعب الجـولف، وبدت الضحكات والأصـوات الشبـيهة بالعـواء متناقضـة في تناوب مع إيقـاع رقـصـة وثبـة الأرنب الرتيب المنتـظم اللامـتناهى، ولاحت خيـالاتهم فى لحظة فى ضوء القـمر غيـر المكتمل الاسـتدارة على مساحة خضـراء بعيدة ومستديرة كالقبـة، كأشباح ترقص فى حلم راود إنسانًا نائمًا.

وفجـأة! اختفت كأنمـا استيقظ النائـم الذي يحلم من نومه.. لا أثر لهم.. ولا صوت، ونادى شخص ما قائلاً «هاى!»، إلا أن هذا كان كل شىء.

قال أولئك الذيـن تخلفوا عن اللحاق بهـم إن الأمر كان أشـبه بانتظارعـودة غـواص إلى سطح الماء، إلا أن هيـلارى كيـمـبل لم تشـاركـهم ذلك الشـعـور وقـالت: «لقـد جـئت هنا لأرقص» ثم جذبت وين بار إلى مكان الفرقة الموسيقية وطلبت عزف «موسيقى عادية».

أمال جاى جريكو رأسه ليسـتمع، إلا أن عصاه لم تتوقف، ولا الفرقة الموسيقية.

Twitter: @alqareah

فى الحقيقة، مع مرور الدقائق بدت الموسيقى أعلى صوتًا.. ربما كان وهمًا.. ربما شعرت الفرقة بأن هناك صلة ما بينها وبين الراقصين... ربما شعرت بأن عليها أن تعزف بصوت أعلى كلما توغل الطابور داخل ظلمة الليل.. ربما كانت الموسيقى طَوْلاً(*)... أو خيطًا مربوطًا فى طائرة ورقية.

جذبت هيلارى كيمبل وين بار إلى منتصف حلبة الرقص الباركيه، ورقصا رقصًا بطيئًا ورقصًا سريعًا، بل وجربا أيضًا رقصة الجتربج القديمة، إلا أن شيئًا من هذا لم ينجح، ولم ينسجم شيء مع إيقاع الطلبة الثلاثى الدقات إلا رقصة وثبة الأرنب نفسها. تساقطت أوراق زهرة الأوركيد من حول معصم هيلارى عندما دقت بقبضتها صدر وين بار وهى تقول: «افعل شيئًا!». انتزعت من جيبه علبة علكة ومضغتها بعصبية ثم قسمت الغلاف الورقى إلى قسمين ودسَّت كل قسم داخل إحدى أذنيها.

واصلت الفرقة الموسيقية العزف.

وفيما بعد، كانت هناك تخمينات كثيرة بشأن المدة التى غابها راقصو وثبة الأرنب فعلاً، واتفق الجميع على أنها بدت ساعات.

(*) الطول: حبل يشد إلى وتد ويطول للدابة فترعى وهى مقيدة به.

Twitter: @alqareah

وقف الطلاب أسفل الصف الأخير من المصابيح الكاشفة وأصابعهم متشابكة خلال أسلاك السياج المطلية بالبلاستيك ويحدقون فى الظلمة الشاسعة الممتدة أمامهم، محاولين ما استطاعوا رؤية أى شيء وأرهفوا السمع لالتقاط أى صوت، ولكن كل ما سمعوه كان نداء ذئب صحراوى. اندفع أحد الفتيان يعدو بسرعة داخل الظلام، ولكنه عاد يمشى الهوينى، وسترته الزرقاء ملقاة على كتفه ويضحك. وارتجفت فتاة تضع حليًا صغيرة لامعة فى شعرها، واهتزت كتفاها العاريتان وكأنها مصابة بالبرد وبدأت تبكى.

وقفت هيلارى كيمبل بجوار السياج، وراحت تطبق أصابع يديها وتفتحها، وبدا أنها عاجزة عن الوقوف جامدة بلا حراك.

أخيراً.. صاح متفرج كان يقف بمفرده عند الطرف البعيد «لقد عادوا!» فالتفت مائة شاب وفتاة ـ فقط هيلارى كيمبل هى التى تخلفت ـ وأسرعوا يعدون عبر ثمانية ملاعب تنس، وتنورات البنات الفاتحة اللون ترفرف كطيور فلامنجو متدافعة، ومال السياج إلى الخارج عندما اصطدموا به، وأخذوا يحدقون خلاله محاولين رؤية أى شيء، إلا أنهم لم يروا إلا بصيصًا خافتًا من الضوء فوق أديم الأرض الممتدة وراء السياج.. كان ذلك هو الجانب الصحراوى.

Twitter: @alqareah

«أين؟.. أين؟»

ثم ترامت إلى الأسماع هتافات مرحة صاخبة من مكان ما هناك تضاربت مع الموسيقى، ثم ـ هناك ! ـ ظهر وميض أصفر وقفزت ستار جيرل من داخل الظلام، وخلفها بقية الراقصين، مشكلين دودة طويلة كثيرة الرءوس بلون الأزرق الفاتح. هوب ـ هوب ـ هوب.. كانوا لا يزالون على حيويتهم ونشاطهم، بل إنهم بدوا أكثر نشاطًا وحيوية من قبل، وتلألأت أعينهم فى ضوء المصابيح الكاشفة، وكانت فتيات كثيرات يضعن زهوراً نصف ميتة ضاربة إلى اللون البنى فى شعورهن.

قادتهم ستار جيرل بطول الجانب الخارجى للسياج، وشكل الواقفون بالداخل طابوراً خاصًا بهم وراحوا يثبون على قدم واحدة بمحاذاة طابور ستار جيرل، وحينما قرع جاى جريكو الطبلة ثلاث مرات أخيرة ـ هوب ـ هوب ـ هوب تصادم الطابوران عند البوابة فى نوبة من العناق والصياح والقبلات.

بعد فترة وجيزة، وعندما بدأت الفرقة الموسيقية تعزف «ستار داست» مشت هيلارى كيمبل حتى وقفت قبالة ستار جيرل وقالت لها: «إنك تفسدين كل شىء» ثم صفعتها على وجهها.

Twitter: @alqareah

خيم الصمت على الجميع، ومرت دقيقة طويلة والفتاتان متواجهتان، وشاهد الواقفون بقربهما كتفى هيلارى وعينيها تجفلان: لقد كانت تنتظر أن ترد لها ستار جيرل الصفعة، والحقيقة أنه عندما تحركت ستار جيرل أخيراً أجفلت هيلارى وأغمضت عينيها، إلا أنها أحست بشفتين تلمسانها وليس راحة يد، فقد طبعت ستار جيرل قبلة رقيقة على وجنة هيلارى، وما كادت هيلارى تفتح عينيها حتى كانت ستار جيرل قد ذهبت.

كانت دورى ديلسون فى انتظارها، فأسرعت إليها ستار جيرل وصعدت داخل العربة الجانبية وانطلقت الدراجة المزدانة بالزهور واختفت فى ظلمة المساء، وكانت تلك آخر مرة نشاهدها فيها.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثانى والثلاثون

كان ذلك قبل 15 عامًا... 15 عيد حب.

تتراءى فـى مخيلتـى ذكريات ذلك الصـيف الحزين بعـد حفل أوكوتيلو الراقص بوضوح شديد، فـفى أحد الأيام، وبينما الشعور بالوحدة والخـواء يعتـصرنى مضـيت إلى منزلها، فـوجدت لافـتة «للبيع» مغروسة فى الأرض أمامه، وحدقت خلال إحدى النوافذ، فلم أر إلا جدرانًا وأرضيات عارية.

ذهبت لرؤية آرتشى.. شىء ما فى ابتسامته وشى بأنه كان يتوقع قدومى وجلسنا فى الشرفة الخلفـية. بدا كل شىء كالمعتاد: آرتشى يشعل غـليونه والصحـراء مصطبـغة باللون الذهبى عـند الغروب وسنيور ساجوارو يفقد سرواله.

لم يتغير شىء البتة.

تغير كل شىء.

قلت: «أين؟»

انفـرجت إحـدى زاويتى فـمه وانبـعث منهـا الدخـان حـريريًا أشـعث ثم توقف برهة كـأنه يريد أن يشـاهده الحـاضرون مـضى بعدها متجاوزًا أذنه. «الغرب الأوسط. مينسوتا».

Twitter: @alqareah

«هل سأراها ثانية؟»

هز كتفه قائلاً: «بلد كبير .. عالم صغير.. من يدرى؟»

«إنها لم تكمل حتى عامها الدراسى».

«كلا».

«لقد رحلت وحسب».

«مم».

«لقد حدث كل شىء فى أسابيع فقط، ولكنه يبدو كالحلم. هل كانت هنا حقًا؟ من كانت؟ هل كانت حقيقية؟»

نظر إلىَّ مليًا، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وعيناه تتلألأن، ثم هز رأسه وكأنه أفاق توًا من شروده وقال بوجه خالٍ من التعبير: «أوه.. إنك تنتظر إجابة.. ماذا كان سؤالك؟»

«كف عن التحامق يا آرتشى».

نظر صوب الغرب. كانت الشمس قد استحالت زبدًا مصهورًا فوق جبال ماريوكوباس. «حقيقية؟ أوه.. بلى.. حقيقية مثلنا تمامًا.. لا يساورنك شك فى ذلك أبدًا، وهذه هى الأخبار السارة» ثم أشار بساق الغليون نحوى وقال: «واسمها جيد أيضًا..

Twitter: @alqareah

ستارجيرل، وإن كنت أعتقد أن عقلها كان مشغولاً بأشياء أكثر بساطة.. إن أناس النجوم نادرون، وستكون محظوظًا لو قابلت أخرى».

قلت: «أناس النجوم؟ لا أفهمك».

ضحك ضحكةً نصف مكبوتة وقال: «لا عليك، فأنا نفسى لا أفهم نفسى أحيانًا، وهذه هى طريقتى الغريبة فى وصف شخص لا أفهمه أكثر مما تفهمه أنت».

«وإذًا متى تلعب النجوم دورها؟»

أشار بساق الغليون وقال: «سؤال ممتاز.. فى البداية.. هذا هو الوقت الذى تلعب فيه دورها، فقد وفرت المكونات التى شكلت هوياتنا فيما بعد.. العناصر البدائية الأساسية.. إننا من صنع النجوم.. نعم؟»

ثم رفع جمجمة بارنى.. القارض الپاليوسيني وقال: «بارنى أيضًا؟»

فأومأت برأسى متماشيًا معه.

«وأعتقد أنه بين الفينة والفينة يأتى شخص أكثر بدائية منا، وأقرب إلى بداياتنا، وأوثق صلة بفطرتنا التى خلقنا الله عليها».

Twitter: @alqareah

بدت الكلمات منطبقة عليها، وإن كنت لم أستطع إدراك معناها.

شاهد النظرة الخالية من التعبير المرتسمة على وجهى وضحك ثم قذف بارنى إلى وحدق فى وقال: «لقد أحبتك أيها الولد». جعلت نظرة عينيه ونبرة صوته عينى ترمشان وقلت: «نعم».

«لقد فعلت ذلك من أجلك وأنت تعلم ذلك».

«فعلت ماذا؟»

«تخلت عن ذاتها بعض الوقت. لقد أحبتك كثيراً.. يا لك من فتى محظوظ».

لم أستطع النظر إليه. «أعلم».

هز رأسه وقد ارتسم على وجهه حزن كئيب. «كلا لا تعرف.. لا يمكنك أن تعرف بعد.. ربما يومًا ما..»

أدركت أنه يريد أن يقول المزيد. لعله أراد أن يقول لى أننى تسببت بغبائى وجبنى فى إضاعة أفضل فرصة فى حياتى. إلا أن الابتسامة عادت إلى شفتيه وأطلت الرقة والعذوبة من عينيه من جديد ولم يخرج من فمه شىء أقسى من دخان الكرز.

Twitter: @alqareah

واصلت حضور اجتماعات جماعة العظام الصخرية فى أيام السبت، ولم نتكلم عنها مجدداً حتى الصيف التالى، قبل مغادرتى للالتحاق بالجامعة بعدة أيام. وكان آرتشى قد طلب منى الحضور.

أخذنى إلى الخلف، ولكن هذه المرة ليس إلى الشرفة، بل إلى سقيفة الأدوات. أزاح الرتاج إلى الوراء وفتح الباب، فلم أجد أمامى سقيفة أدوات. قال: «كانت هذه غرفة مكتبها» وأومأ إلى بالدخول.

هنا كانت كل أشيائها التى توقعت رؤيتها فى غرفتها بالمنزل... «غرفة المكتب» التى أبت أن تبوح لى بمكانها. شاهدت عجلات من الشرائط وورق التغليف، وأكوامًا من ورق رسم الأشكال الهندسية الملون وصناديق من الورق المقوى مليئة بقصاصات الصحف وألوانًا مائية وعلب دهان وكومة صفراء من أدلة التليفون.

على أحد الجدران كانت هناك خريطة لبلدة ميكا، غرست فيها مئات الدبابيس الملونة، ولم يكن هناك ما يمكن الاستدلال منه على معناها، وغطت روزنامة ضخمة مصنوعة منزليًا الحائط المقابل، وقد رسم مربع حول كل يوم من أيام السنة، وداخل المربعات كتبت أسماء بالقلم الرصاص، وكتبت كلمتان عند رأس

Twitter: @alqareah

الروزنامة: أعياد الميلاد. وكانت هناك نقطة واحدة ملونة على الروزنامة قلب صغير أحمر بجوار اسمى.

ناولنى آرتشى دفترًا سميكًا أشبه بألبوم عائلى، كتب عليه «الحياة المبكرة لبيتر سينكوفيتز». رحت أتصفحه فشاهدت الصور التى التقطتها فى ذلك اليوم: بيتر وهو يتشاجر مع البنتين الصغيرتين بسبب زلاجته المفضلة التى كانت على هيئة موزة.

قال آرتشى: «على أن أنتظر خمس سنوات ثم أعطيه لأبويه».

وأشار إلى خزانة لحفظ الملفات فى الركن.

كانت الخزانة تحتوى على ثلاثة أدراج ففتحت أحدها فشاهدت العشرات من الملفات المعلقة الحمراء، وقد برزت من كل منها بطاقة تحمل اسمًا. ثم شاهدت بورلوك.. أنا.. فجذبت الملف خارجًا وفتحته. كان بداخله خبر عيد الميلاد الذى نشر فى صحيفة ميكا تايمز قبل 3 سنوات، ومعلومات عنى مأخوذة من صحيفة الحائط المدرسية وصور فوتوغرافية: صور لى وأنا فى موقف سيارات ولى وأنا أغادر منزلى ولى وأنا فى المول. يبدو أن بيتر سينكوفيتز لم يكن الهدف الوحيد للكاميرا الخاصة بها.. وورقة مقسمة إلى عمودين: «أحب» و«لا أحب» وكتب على رأس قائمة

Twitter: @alqareah

الأشياء المذكـورة تحت «أحب» ربطات العنق المطبوع عليهـا قنافذ ثم مخفوق الفراولة والموز.

أعـدت الملف إلى مكانه وشـاهدت أسـماءً أخـرى: كـيـڤـين، دورى ديلسون، مسـتر ماكشين، دانى بايك، أنَّا جـريسديل وحتى هيلارى كيمبل ووين بار.

تراجعت إلى الوراء مصعوقًا.

«هذا شيء .. لا يصدق. ملفـات .. عن الناس، وكأنهـا كانت جاسوسة».

أومأ آرتشى برأسه باسمًا: «خيانة لطيفة.. أليس كذلك؟»

لم أنبس بكلمـة، واصطحبـنى هو إلى خارج السـقيـفة حيث ضياء النهار المبهر.

●●●

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث والثلاثون

خلال سنوات دراستى الجامعية، كنت أزور آرتشى كلما جئت إلى ميكا، ثم حصلت على وظيفة فى شرق البلاد فقلَّت زياراتى. ومع تقدُّم آرتشى فى السن، بدا أن الفرق بينه وبين سنيور ساجوارو يتضاءل رويدًا رويدًا. كنا نجلس فى الشرفة الخلفية، وبدا مبهورًا بعملى وكنت قد أصبحت مصمم مناظر، ولم يخطر ببالى إلا مؤخرًا أننى أصبحت كذلك يوم أن أخذتنى ستار جيرل إلى مكانها المسحور.

وفى آخر زياراتى له، استقبلنى عند الباب الأمامى، ودلى مفاتيح أمام عينى وقال: «قد أتت».

انبعث صوت قعقعة من دلو قطران قديم موضوع فى سيارته البيك أب العتيقة وهو يشير إلى جبال ماريكوباس فى الغرب، وكان يحمل على حجره كيسًا ورقيًا بنى اللون.

وفى الطريق قلت له، كما كنت أقول له دائمًا: «وإذًا هل استطعت فهمها؟»

كانت قد انقضت سنوات كثيرة منذ أن رَحَلت ومع ذلك فلم نكن بحاجة إلى ذكر اسمها، فقد كنا نعرف عمن نتحدث.

Twitter: @alqareah

قال: «لا زلت أحاول».

وما هي آخر الأخبار؟

كنا نتكلم وفقًا لسيناريو مألوف.

فى هذا اليـوم قال لى: «إنهـا أفـضل من العظام». وفى زيارتى السابقة كان قد قال: «عندما تبكى فتاة نجوم فإنها لا تذرف دمعًا بل ضـوءًا». وفى أيام أخرى فى سنوات أخـرى أسمـاها «الأرنب فى القبعة» و«المذيب العالمى» و«مدوِّرة قمامتنا».

كان يقول هذه الأشيـاء وعلى وجهه ابتسامة مـاكرة لعلمه أنها ستحيرنى وأظل أفكر فيها مليًا حتى موعد لقائنا التالى.

وصلنا إلى التلال الواقعة عند سـفح الجبال عصرًا، وطلب منى التـوقف عند أرض صخـرية بجانب الطـريق، ثم ترجلنا ومشـينا، وأحضر هو الكيس الورقى البنى وأحـضرت أنا الدلو، فأخرج منه قبعة زرقـاء عريضة لينة ووضعها على رأسـه. كانت الشمس التى بدت دافئة وزبدية على البعد قائظة الحرارة هنا.

لم نذهب بعيـدًا فقد كان السـير شاقًا عليـه، وتوقفنا عند بروز فى صـخرة مـلساء ذات لون رمـادى شـاحب، ثم أخـرج معـولاً صغيرًا من الدلو وهوى به على الصخرة.

Twitter: @alqareah

قال: «سيفى هذا بالغرض».

كنت أحمل الكيس الورقى وهو يضرب الصخرة بمعوله. وكان الجلد الذى يغطى ذراعيه قد أصبح جافًا ومقشراً وكأن جسده يجهز نفسه للعودة إلى تراب الأرض من جديد. استغرق آرتشى عشر دقائق لكى يحدث فجوة قدَّر أنها مناسبة.

ثم طلب منى الكيس الورقى، وذهلت عندما شاهدت ما أخرجه منه.

«بارنى!»

جمجمة الحيوان الپاليوسيني.

قال آرتشي: «هذا موطنه» ثم أردف قائلاً إنه آسف لعدم تمكنه من إعادة بارنى إلى موطنه الأصلى فى ساوث داكوتا. وضع بارنى فى الفجوة ثم أخرج من جيبه قصاصة ورقية ثم كرمشها وحشى بها الفجوة مع الجمجمة، ثم أخرج من دلو القطران إبريق ماء وكيسًا صغيراً من الأسمنت وأداة مزج وتسوية الأسمنت وصينية بلاستيكية ثم خلط الأسمنت بالماء وسد الفجوة التى أحدثها فى الصخرة بالمزيج، ولم يبد على البعد أن تغييراً طرأ على شكل الصخرة.

Twitter: @alqareah

سألته ونحن عائدان إلى السيارة عما كان مكتوبًا على الورقة.

فقال: «كلمة». فطنت من الطريقة التى نطق بها هذه الكلمة أننى لن أحصل على إجابة عن السؤال التالى.

اتجهنا صوب الشرق ووصلنا إلى ميكا قبل مغيب الشمس.

وعندما عدت فى المرة التالية، وجدت شخصًا آخر يعيش فى منزل آرتشى، واختفت السقيفة القائمة فى فناء المنزل الخلفى، وكذلك سنيور ساجوارو.

وتحتل الآن مدرسة ابتدائية جديدة مكان ستار جيرل المسحور.

●●●

Twitter: @alqareah

أكثر من مجرد نجوم

منذ أن تخرجنا، يلتقى صفنا كل خمس سنوات، ولكننى لم أحضر أيًا من لقاءات لمّ الشمل هذه بعد، ولكني لا زلت على اتصال بكيفين، وهو لم يغادر ميكا أبدًا وله أسرة فيها الآن، ولم ينته به الحال إلى العمل فى التليفزيون مثلى تمامًا ولكنه يستفيد استفادة مثلى من موهبة التحدث وطلاقة اللسان التى يتمتع بها: فهو يعمل مندوب مبيعات فى شركة للتأمين.

يقول كيفين إنه حينما يجتمع الصف فى لقاءات لمّ الشمل فى نادى ميكا الريفى، يدور كلام كثير عن ستار جيرل ويساور الحاضرين فضول بشأن مكانها، وهو يقول إن السؤال الأكثر شيوعًا هذه الأيام هو «هل كنت مشتركًا فى رقصة وثبة الأرنب؟». وفى آخر اجتماع لمّ شمل اصطف العديد من زملاء الدراسة على سبيل المزاح واضعين أيديهم على خصورهم وراحوا يحجلون فى أرجاء المساحة الخضراء العشبية من ملعب الجولف لبضع دقائق، لكن الأمر كان مختلفًا عما جرى فى تلك الليلة.

لا يعلم أحد يقينًا ماذا حلّ بورين بار، فيما عدا أن علاقته بهيلارى كيمبل انتهت بعد التخرج، وقال أحدهم أنه سمعه آخر مرة يتحدث عن اعتزامه الانضمام إلى الحرس الوطنى.

Twitter: @alqareah

ويوجد بالمدرسة الثانوية العليا نادٍ جديد يسمى زهور عباد الشمس، ولكى تصبح عضواً فيه يجب أن توقع اتفاقية تعد فيها «بفعل عمل واحد طيب يوميًا لشخص آخر غيري».

واليوم ربما تعد فرقة إليكترون الموسيقية الوحيدة التى تعزف على قيثارة فى أريزونا كلها.

وفى ملعب كرة السلة، لم يقترب فريق إليكترونز أبدًا من النجاح الذى حققه عندما كنت طالبًا فى السنة الأولى، إلا أن شيئًا من ذلك الموسم عاد إلى الظهور فى السنوات الأخيرة ويثير حيرة مشجعى المدارس الأخرى، ففى كل مباراة عندما يسجل الفريق المنافس أول هدف له، تنتفض مجموعة صغيرة من مشجعى إليكترونز واقفة على أقدامها وتهتف له مشجعةً.

وفى كل مرة أزور فيها ميكا، أمر بسيارتى أمام منزلها القديم فى بالو فيردى، وخلال آخر زيارة، أبصرت شابًا شعره أحمر فى الناحية المقابلة من الشارع، وكان يثبِّت زلاجات ماء على سطح سيارة فولكسفاجن صفراء من طراز الخنفساء (بيتل)، لا بد أنه بيتر سينكوفيتز .. ووجدت نفسى أتساءل إن كان شغوفًا بسيارته الخنفساء مثلما كان شغوفًا بزلاجته المصنوعة على هيئة موزة،

Twitter: @alqareah

وتساءلت إن كان كبيراً فى السن بما يكفى لأن يحب دفتر القصاصات الخاص به.

أما بالنسبة لى، فأنا مشغول تمامًا بعملى وأترقب مشاهدة شاحنات الغذاء الفضية وأتذكر. أحيانًا أسير تحت المطر بدون مظلة، وحينما أرى قطع نقود معدنية ملقاة على الرصيف، أتركها فى مكانها، وأسقط ربع دولار فى غفلة من المارة، وأحس بالذنب عندما أشترى بطاقة من هولمارك وأنصت إلى الطيور المحاكية.

إننى أقرأ الصحف .. أقرأها من الغلاف إلى الغلاف، متخطيًا الصفحات الأولى والعناوين الرئيسية ومركزاً على الصفحات الخلفية. أقرأ الأقسام الخاصة بأخبار المجتمع وشاغلات الفراغ، فأتعرف على الأعمال الخيرية الجارية من ولاية مين إلى ولاية كاليفورنيا.

أقرأ خبراً عن رجل من كنساس سيتى يقف عند تقاطع مرورى مزدحم كل صباح ويلوح لسائقى السيارات المتجهين إلى أعمالهم، وأقرأ عن فتاة صغيرة فى أوريجون تبيع الليمونادة أمام منزلها نظير 5 سنتات للكوب الواحد ـ وتحك ظهر كل زبون مجانًا.

Twitter: @alqareah

حينما أقـرأ عن أشياء كهذه أتسـاءل: هل هى هناك؟ وأتساءل عن الاسم الذي تسمى نفسهـا به الآن، وأتساءل إن كان النمش قد اختفى من أنفها وأتساءل إن كنت سـأحظى بفرصة ثانية.. أتساءل ولكننى لا أيأس، فبرغم أنه ليس لدى أسـرة خاصة بى، إلا أننى لا أشعـر أننى وحيـد، فأنا أعلم أننى مراقب، وصـدى ضحكتـها هو شـروق الشمس الثـانى الذى أسـتـيقظ عليـه كل يوم وفى المسـاء أحس أن هناك شـيئًـا ما أكـبر وأعـمق فى النجـوم المطلة علىَّ من عليائها. وفى الشهر الماضى وقبل عيد ميلادى بيوم واحد استلمت طردًا بريديًا ملفوفًـا بغلاف ورقى فاخر... كان ربطـة عنق مرسوم عليها قنفذ.

• • • • •

Twitter: @alqareah

اعرف المزيد عن ستار جيرل والمؤلف فى حديث خاص مع چيرى سبينيللى

س: ما هو المصدر الذى استلهمت منه شخصية ستار جيرل؟ هل اعتمدت فى خلق هذه الشخصية على أناس تعرفهم أم أنها من وحى خيالك؟

ج: لقد استقيت جوانب شخصية ستار جيرل من مصادر كثيرة: الذاكرة والأدب والخيال المفعم بالأمل. والشخص الوحيد الحقيقى الذى يجسد تلك الجوانب أكثر من أى إنسان آخر أعرفه فى حياتى هو أيلين زوجتى وشريكتى فى التأليف.

س: هل تعتقد أن أناسًا كستار جيرل موجودون حقًا فى الحياة أم أنها شخصية خيالية؟

ج: الإجابة القصيرة: أيلين سبينيللى موجودة.

الإجابة الطويلة: ستار جيرل شخصية حقيقية كالأمل كالإمكانية.. حقيقية كأفضل ما فى الطبيعة الإنسانية. تتصرف على سجيتها؟ آمل ذلك.. شكرًا لله على أنه خلق بيننا أناسًا يعيشون حياتهم على الفطرة، وأتمنى أن أكون مثلهم.. أتمنى أن تقل إمكانية التنبؤ بتصرفاتى وأن أكون لا واقعى بدرجة

Twitter: @alqareah

أكبر. أعلم أن القصة بها مسحة من الخيال ومن الحكايات الطويلة، فالهدف من وراء القصة والشخصية على وجه الخصوص إثارة الغبار فى أركان المصداقية وتحدى أساليبنا الروتينية فى رؤية أنفسنا. عندما يقول آرتشى لليو: «إنها نحن أكثر ما نحن.. نحن» يشير إلى جوهرها الإنسانى وإلى إمكاناتنا التى كثيراً ما نعجز عن تحقيقها. وليو نفسه يكاد يتهمها بأنها خيرةٌ إلى حد لا يوجد له مثيل فى عالم البشر ثم يقول لاحقًا: «لم تكن تلك قبلة قديسة بالمرة».

ماذا تقول لنا القصة إذا كنا نعتقد باستحالة وجود شخص كهذا؟ إن الرسالة التى تحملها القصة هى النقيض تمامًا: وجود شخصية كهذه أمر ممكن لدرجة أن ستار جيرل هي نحن، (كما قال آرتشي: «إنها من الأرض وإن وُجد عليها أحد»، ونحن أيضًا .

س: إذا أردت أن تتكلم عن تجربتك كطالب فى المدرسة الثانوية العليا، فكيف تصفها؟

ج: تعلُّم أن أكون إنسانًا غير كامل وسعيداً فى الوقت ذاته، والبحث عن هويتى.

Twitter: @alqareah

س: ما الكتب التى تهوى قراءتها؟ المؤلفون المفضلون لديك؟

ج: كتب متنوعة ، فاليوم على سبيل المثال اشتريت ثلاثة كتب هى Windows XP Simplified ورحلة فى عالم أينيشتاين ورواية لقاء المياه. وفى أوقات فراغى أحب قراءة قصص الجرائم الغامضة.

س: إذا أتيحت لك فرصة تناول العشاء مع أى شخص فى العالم فمن تختار ولماذا؟

ج: لورين أيسلى عالم الأنثروبولوجيا والشاعر/ كاتب المقالات الراحل، وسونى ليستون بطل الملاكمة السابق الراحل فى الوزن الثقيل.

لورين أيسلى لأن اسمه غالبًا ما يكون الإجابة عندما أُسأل «من هو كاتبك المفضل؟» إن براعته فى الكتابة أمر لا يصدق بالنظر إلى أنه كان عالمًا. أنا أحب بصيرته الثاقبة وآراءه حول البشرية والكون....

فى طريقة عودته إلى سانت لويس بعد فوزه بلقب الملاكمة فى الوزن الثقيل، كان سونى ليستون يتطلع إلى أن يلقى

Twitter: @alqareah

ترحيب الأبطال.. كان يتطلع إلى أن يستقبله الناس الذين اعتبروه وحش الحلبة بكل الحب، فلما خطا خارج الطائرة، لم يجد في استقباله شخصًا واحدًا، وحطم ذلك فؤاده، وأود أن أسأله عن ذلك اليوم.. أود أن أنثر حفنة من الورق الملون على رأسه.

س: متى أدركت أنك تريد أن تكون كاتبًا؟

ج: في الصف الحادى عشر... حينما نشرت لى قصيدة شعرية عن مباراة كرة قدم في الصحيفة المحلية. وأعتقد أنها كانت مسألة توقيت، فقد كنت في السادسة عشرة من عمرى، وكان حلمى بأن أكون لاعب بيسبول في الدورى الممتاز قد بدأ يخبو، وتحتم على أن أجد لنفسى طريقًا في الحياة وكنت أبحث لنفسى عن هوية وكيان، فجاءت نقطة الكتابه هذه، وكأنها مدت يدها وانتزعتنى خارج الحشد. أعنى أننى لم أجبر عليها ولم تكن مخططة.. لم يطلب منى أحد كتابة قصيدة بعد المباراة، بل وجدتنى مدفوعًا إلى ذلك ببساطة، ولم أسع إلى نشرها، ولم أسع وراء الشهرة التى نتجت عنها، لقد حدث ذلك وحسب. كل ما فعلته هو أننى مارست شيئًا من

Twitter: @alqareah

التفكير المنطقى: أنا أحب الكتابة ويبدو أننى بارع بعض الشىء فى ذلك، ويبدو أن الناس معجبون بما أكتب (أعترف بأن ذلك كان استنتاجًا كبيرًا بالنظر إلى أنها كانت قصيدة واحدة) - إذًا سأكون كاتبًا. . مسألة بسيطة!

س: ما أكثر ما يمتعك فى الكتابة للشباب؟

ج:رد الفعل الذي أتلقاه من القراء، والنوع الأكثر شيوعًا بالطبع هو بريد المعجبين، وأننى فخور بأن أقول إن خطابًا لطيفًا معينًا قُدِّم بواسطة القارئ/ الكاتب إلى مسابقة نظمتها مكتبة الكونجرس حول بريد المعجبين وفاز فيها. كان الخطاب عن روايتي «كراش». ويأتى بعض أكثر التقارير تأثيرًا فى نفسى من معلمين وأمناء مكتبات ألتقى بهم شخصيًا فى المؤتمرات ومعارض الكتاب، وعندما تخبرنى معلمة والدموع تترقرق فى عينيها أن كتابًا «أنقذ» أحد طلابها، أعرف أننى أعمل فى المجال الصحيح. وأذكر خطابًا وصلنى من معلمة فى چورچيا، أخبرتنى فيه أن التلاميذ فى صفها خيروا بين أمرين فى أحد الأيام: الذهاب لتناول الغداء أو مواصلة الاستماع إلى كتابى، فاختاروا جميعًا البقاء للاستماع إلى الكتاب.

Twitter: @alqareah

س: هل تستخدم الاقتراحات التى يطرحها القراء فى كتبك الجديدة؟

ج: أنا أقول للقراء إذا استخدمت فكرة من أفكارهم فى كتاب لى، سأوجه لهم الشكر فى القسم المعنون «شكر وتقدير»، وقد فعلت ذلك بخصوص طالب أعطانى فكرة أحد كتب سلسلة «ديز»، وهو: من علَّق ملابسى الداخلية على صارى العلم؟

س: كيف بدأت تأليف قصة ستار جيرل؟ أى أجزاء القصة تبلورت فى ذهنك أولاً؟

ج: منذ عام 1966 وأنا أدون ملاحظات ومذكرات من أجل الكتاب الذى أصبح فى النهاية قصة ستار جيرل. فى البداية كنت أنوى أن أجعل الشخصية المحورية فى القصة صبيًا، واخترت للقصة أسماءً كثيرة مثل «ظل القمر» و«تحت القنبلة»، وأثرت أشياء كثيرة قرأتها عبر السنين فى القصة، ولا سيما مسرحية «أوندين» تأليف چيرودو. وفى شكلها النهائى تبدو القصة مستوحاة بدرجة كبيرة من زوجتى أيلين التى سرنى أن أقتبس بعضًا من أفعالها الخيرة.

س: ما النصيحة التى تقدمها لشباب الكتَّاب؟

ج: بالنسبة لى هناك الكثير من القواعد الصغيرة، إلا أن أهمها القاعدة الذهبية التي تقول: اكتب عما يهمك.

Twitter: @alqareah

چيرى سـبينيللى هو مـؤلف الكثيـر من الكتب الموجهـة للقرّاء الشبان، ومنهـا قصة «ماجى المجنونة» الحائزة على وسـام نيوبيرى، وقصة «العـصّارة» الحائزة على جائزة شرف نيـوبيرى، و«الفاشل» و«كـراش» و«عُقَـدٌ فى خـيط لعـبة اليـويو الخـاصة بـى» (سيـرته الذاتيـة). وهو خريج كليـة جـتسـبرج ويعـيش فى بنسلڤانيـا مع زوجته الشاعرة والمؤلفة أيلين سبينللى.

●●●●●

Twitter: @alqareah

STARGIRL

Jerry Spinelli

يحتفى چيري سبينيللي الفائز بوسام نيوبيري بالاستقلالية فينسج خيوط قصة مؤثرة عن مخاطر الشعبية والإثارة والإلهام المرتبطين بالحب الأول.

منذ وصولها إلى مدرسة ميكا الثانوية العليا وسط ضجة من الألوان والأصوات، واسم ستارجيرل يتردد همساً فى ردهات المدرسة. تستحوذ ستارجيرل على قلب ليو بابتسامة واحدة، وتشعل ثورة فى الروح المدرسية بهتاف واحد فقط ويفتتن بها طلاب مدرسة ميكا ... فى بادئ الأمر. ثم انقلبوا عليها. فجأة تتعرض ستارجيرل للنبذ والإعراض لنفس الأسباب التى تجعلها مختلفة، ويحثها ليو الذي يحبها - وقد بلغ به الذعر واليأس مداه - على أن تصبح نفس الشىء الذى يمكن أن يدمرها: أن تتحول إلى إنسانة عادية.

ISBN 977-282-207-5

International House for Cultural Investments S.A.E
Cairo, Egypt